نزهة النظر
في
خطب المنبر

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب: نزهة النظر في خطب المنبر
تأليف فضيلة الشيخ: أبي الفداء أحمد بن حسن بن قايد النهاري الريمي
رقم الإيداع: ٢٠١٨/٩٨٧٩.
نوع الطباعة: لون واحد.
عدد الصفحات: ٥١٢.
القياس: ١٧X٢٤.

تجهيزات فنية:
مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية
أعمال فنية وتصميم الغلاف: الأستاذ / يسري حسن

٢٠١٨

الإدارة
دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

المبيعات
دار القمة لتوزيع الكتاب والشريط الإسلامي
١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢

E-mail
dar_aleman@hotmail.com

دار الإيمان المتحدة
أمام مستشفى الصوفى - أسفل مدارس اليمن الحديثة
مقابل بنك سبأ - شارع رداع - محافظة زمار
جوال : ٧٧٥٣٠٩٩٣٥

نزهة النظر

في

خطب المنبر

الجزء الثالث

تأليف فضيلة الشيخ
أحمد بن حسن بن قايد الريمي
عفا الله عنه

دار القمة
الإسكندرية

دار الإيمان
الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَــةُ

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فإن الدعوة إلى الله–تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ–هي سبيل الأنبياء وطريق المرسلين وصفات المؤمنين، قال رب العالمين : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف :١٠٨] .

والدعوة إلى الله –جَلَّ وَعَلَا– هي أحسن الأقوال، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت :٣٣].

وخصوصًا إذا كانت الدعوة على منهاج النبوة وكانت بالرفق ، واللين والقول الحسن ، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [البقرة :٨٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء :٥٣] .

وتأملوا معاشر المسلمين إلى قول ربنا –تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ– لموسى وهارون –عليهما الصلاة و السلام– لما أرسلهما إلى فرعون الذي أدعى الربوبية

والألوهية والقائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [القصص :٣٨] .

والقائل لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء :٢٩] .

ومع هذا التجاوز والإلحاد يقول الله تعالى لهما : ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه :٤٣-٤٤] .

ولله در من قال :

ولـــو أن فـــرعـــون لمـــا طغى وقـــال عـــلى الله إفـــكًـــا وزورًا

أنـــــاب إلى الله مستغفرًا لمـــا وجـــد الله إلا غـــــفورًا

قال يزيد الرقاشي –رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى– في قوله تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ يا من يتحبب إلى من يعاديه فكيف بمن يتولاه ويناديه.

وحينما قرأ الإمام قتادة –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– هذه الآيات: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه :٤٣-٤٤] .

قال : سبحانك ربي ما أحلمك بفرعون القائل ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ فكيف حلمك بمن قال : سبحانك ربي الأعلى .

وقال يحي بن معاذ –رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى– في هذه الآية هذا رفقك بمن يقول : أنا الإله فيكف رفقك بمن يقول : أنت الإله.

فالقول اللين يكسر سورة العتاة ، ويلين عريكة الطغاة،كما قال غير واحد من السلف، فنسأل الله أن يجعلنا من الدعاة إلى الله على بصيرة.

فكن يا أخي كما قال السلف الصالح: (بالخير موصوفًا ولا تكن للخير وصافًا) فإن الواو والراء والدال لا تُشم منها رائحة الورد.

ولهذا انظر إلى نبينا محمد ﷺ ، كيف جعله الله رؤوفًا رحيمًا رفيقًا سهلًا قال الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران :١٥٩] .

فما أحوج الدعاة إلى الله لا سيما في هذا العصر إلى الحكمة والرفق واللين وصدق الله القائل ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل :١٢٥] وعلى الله قصد السبيل .

وهذا هو الجزء الثالث من كتابنا الموسوم « **بنزهة النظر في خطب المنبر**» .

والله أسأله أن يجعله مباركًا ولوجهه خالصًا ، ولعباده نافعًا مفيدًا ، إنه جواد كريم ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

وكتبه

أحمد بن حسن بن قايد النهاري الريمي

عفا الله عنه

اليمن – ذمار

ت (٠٠٩٦٧)٧٧٠١٩٤١٥٢

(٠٠٩٦٦٥٣٧٤١٩٩١٦)

١ فضل النِّية الصالحة

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون: حديثي معكم عن النِّية وفضلها،والنِّية:هي الإرادة والقصد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: وإخلاص الدين هو النِّية(١).

وقد وردت آيات كثيرة في القرآن بلفظ الإرادة، ويراد بها النِّية ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

الحرث في اللغة: الكسب والعمل والمراد من كان يريد بعمله الآخرة نزد له في حرثه، أي بالتضعيف بالواحدة عشرًا إلى ما شاء الله من الزيادة.

وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥-١٦].

وقال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤].

وقال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

وما من عمل إلا وله نية، لكن الناس يختلفون في نياتهم، فمنهم من ينوي الخير، ومنهم من ينوي الشر.

(١) الفتاوى ج٢٦(٣١).

حتى قال بعض العلماء : لو كلفنا الله عملًا بلا نية ، لكان هذا من تكليف ما لا يُطاق.

عباد الله: النِّية هي أساس صلاح الأعمال.

قال بعض السلف -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : النِّية معيار لتصحيح الأعمال فحيث صلحت النِّية صلح العمل وحيث فسدت فسد العمل.

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله- :

ومن تأمل الشريعة في مصادرها ومواردها ، علم ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب ، وأنها لا تنفع بدونها ، وأن أعمال القلوب أفرض على العبد من أعمال الجوارح ، وهل يميز المؤمن عن المنافق إلا بما في قلب كل واحد منهما من الأعمال التي ميزت بينهما ، وهل يمكن أحد الدخول في الإسلام إلا بعمل قلبه قبل جوارحه ، وعبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح ، وأكثر وأدوم فهي واجبة في كل وقت.(١)

وقد ثبت في الصحيحين (٢) عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه**» .

وقد صدر الإمام البخاري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: كتابه الصحيح بهذا الحديث فقال: ليس في أخبار النبي ﷺ شيء أجمع وأغنى وأكثر فائدة من هذا الحديث.

وقال عبد الرحمن بن مهدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- لو صنفت كتابًا في الأبواب لجعلت حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالنيات في كل باب.

---

(١) بدائع الفوائد ج٣ (٣٣٠) .
(٢) البخاري برقم (١) ، ومسلم برقم (١٩٠٧) .

ولعظم هذا الحديث بين العلماء فضله ومنزلته:

قال الإمامان الكبيران ابن مهدي والشافعي رحمة الله عليهما: إنه ثلث الإسلام.

وقال الإمام الشافعي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : يدخل في سبعين بابًا من الفقه.

وقال الإمام أحمد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : ثلاثة أحاديث يدور عليها الإسلام حديث عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ « **إنما الأعمال بالنيات** » ، وحديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»، وحديث النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ « **الحلال بيِّن والحرام بيِّن** » .

وقال الحافظ ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : وقد تواتر النقل عن الأئمة في تعظيم قدر هذا الحديث.

ولله در أبي الحسن الأندلسي حينما قال:

عمدة الدين عندنا كلمات … أربع من كلام خير البريه

اتق الشبهات وازهد ودع ما … ليس يعنيك واعملن بنيه

ولعظم شأن النِّية فإن الناس يبعثون على نياتهم يوم القيامة ففي صحيح مسلم [١] عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « **يبعث كل عبد على ما مات عليه** » .

وفي سُنن ابن ماجه [٢] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **إنما يبعث الناس على نياتهم** » .

وفي البخاري [٣] عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ : « **يغزو**

(١) مسلم برقم (٢٨٧٨) .
(٢) صحيح ابن ماجه (٤٢٢٩) .
(٣) البخاري برقم (٢١١٨) .

جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض يُخسف بأولهم وآخرهم»قالت: قلت : يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟. قال « **يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم** ».

فعليك يا عبد الله بتصحيح نيتك وخلوص طويتك وسلامة صدرك من كل شائبة ، فالطريق إلى الله إنما تقطع بذل القلوب وانكسارها وإخلاصها لعلام الغيوب ، ولذا قال يحيى بن معاذ -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى-: مفاوز الدنيا تقطع بالأقدام ، ومفاوز الآخرة تقطع بالقلوب» .

وقال بعضهم: إنما تفاضلوا بالإرادات ولم يتفاضلوا بالصوم والصلاة.

وفي صحيح مسلم [(١)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « **إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم، وأشار بأصابعه إلى صدره** » ، وفي رواية « **إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم** ».

ولله در الحافظ الحكمي الذي قال:

العلم أحلى وأغلى ما له استمعت — أذن وأعرب عنه ناطق بفم

العلم أشرف مطلوب وطالبه — لله أكرم من يمشي على قدم

فقدِّس العلم واعرف قدر حرمته — في القول والفعل والآدابَ فالتزم

يا طالب العلم لا تبغِ به بدلًا — فقد ظفرت ورب اللَّوح والقلم

واجهد بعزم قوي لا انثناء له — لو يعلم المرء قدر العلم لم ينمِ

---

(١) مسلم برقم (٢٥٦٤) .

والنِّية اجعل لوجه الله خالصة إن البناء بـدون الأصـل لم يقمِ

وصلاح النِّية سبب في دخول الجنة: قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء :١٩].

والنِّية سبب لجمع الشمل وبلوغ المراد في الدنيا والآخرة: فعن أنس ابن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «**من كانت الآخرة همه ، جعل الله غناه في قلبه ، وجمع له شمله ، وأتته الدنيا وهي را غمة ، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه ، وفرق عليه شمله ، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له** » .[1]

وفي لفظ : (**من كانت الآخرة نيته ، جمع الله له أمره ، و جعل غناه في قلبه ، و أتته الدنيا و هي راغمه**) .[2]

وبالنِّية الصالحة يبلغ العبد المنزلة العالية والدرجة الرفيعة وينال الأجور العظيمة: قال الله تعالى: ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴾ [التوبة :٩٢].

وفي صحيح مسلم [3] عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : كنا مع النبي ﷺ في غزاة فقال : « **إن بالمدينة لرجالًا ما سرتم مسيرًا ، ولا قطعتم واديًا ، إلا كانوا معكم ، حبسهم المرض** » .

(١) صحيح الترمذي برقم (٢٤٦٥) .
(٢) الصحيحة للألباني: برقم (٩٥٠) .
(٣) مسلم برقم (١٩١١) .

وفي صحيح مسلم[١] أيضًا عن سهل بن حنيف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**من سأل الشهادة بصدق،بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**».

وفي صحيح البخاري[٢] عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ : « **إذا مرض العبد أو سافر ، كُتِبَ له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا** » .

وفي سُنن ابن ماجه[٣] عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ: « **من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم فيصلي من الليل فغلبته عينه حتى يصبح ، كتب له ما نوى ، وكان نومه صدقة عليه من ربه** » .

وفي صحيح البخاري[٤] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**من أخذ أموال الناس يريد أداءها ، أدى الله عنه ، ومن أخذها يريد إتلافها ، أتلفه الله** » .

وعند الطبراني[٥] عن ميمونة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: « **من ادَّان دينًا ينوي قضاءه أدى الله عنه**» .

ولابد من العمل مع النِّيةِ كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء :١٠٠].

وفقنا الله وإياكم لمراضيه وجعل مستقبل حالنا وحالكم خيرًا من ماضيه.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) مسلم برقم (١٩٠٩) .
(٢) البخاري برقم (٢٩٩٦) .
(٣) صحيح ابن ماجه برقم (١٣٤٤) .
(٤) البخاري برقم (٢٣٨٧) .
(٥) المعجم الكبير ج١٧(٢٤٦) صحيح الجامع برقم (٥٩٨٦) .

الخطبة الثانية :

الحمد لله العالم بالبواطن والظواهر والخفيات والجليات ، المطلع على مكنون الصدور ، وخبايا الأمور ودقيق المخلوقات في زوايا الظلمات ، يعلم السر وأخفى ، لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى وكامل الصفات ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الذي شهدت له بالربوبية جميع الموجودات ، وأذعن له بالألوهية والإخلاص خلاصة المخلوقات، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أفضل الرسل ، وسيد البركات ، اللهم صل وسلم وبارك على محمد وعلى آله وأصحابه ، أهل السرائر الصافيات، وعلى التابعين لهم بإحسان ، بصحة العقيدة وزكاة النيات .

أما بعد:

فيا أيها المسلمون: صلاح النِّية سبب عظيم في توفيق الله للعبد في كل أموره ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ [النساء : ٣٥] .

وصلاح النِّية صلاح لجميع الأعمال ففي الصحيحين [١] عن النعمان ابن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله ﷺ : « **إن الحلال بين وإن الحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات، لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ،كالراعي**

(١) البخاري برقم (٥٢) ومسلم برقم (١٥٩٩) .

يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ،ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه ،ألا وإن في الجسد مضغة ،إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب » .

ولقد بلغت عناية السلف بصلاح نياتهم غاية العناية ، فهذا عبد الله ابن المبارك -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- كان يقول: رُبَّ عمل صغير تعظمه النِّية ، رُبَّ عمل كبير تصغره النِّية.

وقال يحيى بن أبي كثير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- تعلموا النِّية فإنها أبلغ من العمل.

وقال بعضهم: تجارة النيات تجارة العلماء.

ولقد كان معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول : إني لأحتسب نومتي ، كما أحتسب قومتي. (١)

وكان زبيد بن الحارث اليامي يقول: يسرني أن يكون لي في كل شيء نية ، حتى في الأكل والنوم.

وقال بعض العلماء : لا تعملن عملًا إلا بنية.

واعلم بأن الأجر ليس بحاصل إلا إذا كانت له صفتان

لابد من إخلاصه ونقائه وخلوه من سائر الأدران

وكذا متابعة الرسول فإنها شرط بحكم نبينا العدنان

وقد ذكر بعض العلماء أن من صفات علماء السوء طلب الدنيا بالدين ، ومن الرياء الخفي أن يستشرف العالم إلى أن يسامحه الناس في البيع والشراء والإجارة وغير ذلك ، من أجل علمه ، حتى قال لقمان الحكيم لأبنه :

(١) البخاري برقم (٤٠٨٦) ومسلم برقم (٤٨٢٢) .

يابني اتق الله ولا تُرِ الناس أنك تخشاه ، ليكرموك وقلبك فاجر.

وكان أيوب السختياني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- يقول : تخلص النيات على العمال أشد عليهم من جميع الأعمال.

وقال سفيان الثوري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- ما عالجت شيئًا أشد عليَّ من نيتي ، لأنها تتقلب.

وكان ابن الجوزي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- يقول : ما أقل من يعمل لله مخلصًا.

وقال أبو إسحاق الآجر ي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : أعز شيء في الدنيا الإخلاص، وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي ، فكأنما ينبت على لون آخر.

وقال أبو سليمان الداراني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : طوبى لمن صحت له خطوة واحدة ، لا يريد بها إلا الله تعالى.

وقال الإمام أحمد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : يا بني انو الخير ، فإنك لا تزال بخير ما نويت الخير.

وقال الفضيل بن عياض -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : إنما يريد الله - عَزَّوَجَلَّ - منك نيتك وإرادتك.

وقد روي عن الحسن البصري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : أنه سمع رجلًا يعظ الناس فلم تقع موعظته في قلبه بمكان ، فقال: يا هذا إن بقلبك لشرًا أو بقلبي.

ولهذا قال من قال من السلف -رحمهم الله- : الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان.

وقال بعضهم : « الكلام الخالي من الإخلاص ، كالرعد بلا مطر ».

رزقنا الله وإياكم الإخلاص والعبادة ، وثبتنا عند الموت على الشهادة، وجعلنا من الفرقة الناجية التي هي للسُّنَّة منقادة ، وحفظنا من بدع أهل

الأهواء ، فإنها بئست العادة ، وحشرنا يوم الفزع الأكبر مع الصالحين والعلماء العاملين من أهل الشهادة .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

٢ خطر الرياء

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون : إن الرياء ذنب عظيم ، ومرض خطير من أمراض القلوب ، والرياء من الرؤية ، والمراد بالرياء العمل لغير الله تعالى .

قال سفيان بن عيينة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- : « إياكم والشهوة الخفية قالوا وما هي قال الذي يحب أن يُمدح على الخير» .

ولخطورة الرياء فلربما خفي حتى على صاحبه :

ففي مُسند الإمام أحمد [١] عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال : خطبنا رسولُ الله ﷺ ذات يوم فقال : « **أيها الناس اتقوا هذا الشرك ، فإنه أخفى من دبيب النمل** » ، فقال له من شاء الله أن يقول : وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله ؟، قال : « **قولوا اللهم انا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئًا نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلم**» .

والرياء أخوف عند نبينا صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله؛ من فتنة المسيح الدجال : فقد ثبت في سُنن ابن ماجه[٢] عن أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر المسيح الدجال فقال: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟**» ، قال: قلنا بلى، فقال: «**الشرك الخفي ، أن يقوم الرجل يصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل**».

عباد الله : الرياء قد بين الله -عَزَّوَجَلَّ- خطورته وسوء عواقبه: فقال تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [الماعون :٤-٧] ، والويل : العذاب .

وقال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ

---

(١) مُسند أحمد برقم (١٩٦٠٦)وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٣٦) .
(٢) صحيح ابن ماجه برقم (٤٢٠٤) .

﴿ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشورى :٢٠] .

وجاء في مُسند أحمد [(١)] عن أُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله ﷺ : (**بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة والنصر والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا ، لم يكن له في الآخرة نصيب**) .

والسناء : ارتفاع المنزلة والقدر عند الله تعالى .

وقال تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [هود :١٥-١٦] .

وفي صحيح مسلم [(٢)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد ، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها قال : قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن ، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن ، قال : كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم ، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله ، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ، قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال : كذبت ، ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار** » .

(١) أحمد برقم (٢١٢٢٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٨٢٥).
(٢) صحيح مسلم :برقم (١٩٠٥).

وفي هذا دليل على أن الرياء من أسباب دخول النار :ولهذا جاء في سُنن ابن ماجه[1]عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله ﷺ : « **من تعلم العلم ليباهي به العلماء ، ويجاري به السفهاء ، ويصرف به وجوه الناس إليه ، أدخله الله جهنم** » .

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[الكهف :١١٠] .

وقد أخبر سبحانه أن الرياء من صفات المنافقين :قال تعالى ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء :١٤٢] .

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « للمرائي ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده ، وينشط إذا كان في الناس ، ويزيد في العمل إذا أثني عليه وينقص إذا ذم » . [2]

وقد بين –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– أن الرياء من صفات الكافرين فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ الأنفال الآية (٤٧)

وأوضح –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– أن الرياء محبط للأعمال الصالحة قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة :٢٦٤].

(١) صحيح ابن ماجه برقم (٢٦٠).
(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر :ج١(١٠٢).

وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴾[النساء :٣٨] .

وقال تعالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ [فاطر :١٠] .

قال ابن كثير –رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى– [١] قال مجاهد، وسعيد بن جبير ، وشهر بن حوشب رحمهم الله جميعًا: هم المراؤون بأعمالهم، يعني: يمكرون بالناس ، يوهمون أنهم في طاعة الله ، وهم بغضاء إلى الله –عَزَّوَجَلَّ– يراؤون بأعمالهم ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء :١٤٢] .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هم المشركون .

والصحيح أنها عامة ، والمشركون داخلون من باب أولى، ولهذا قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ [فاطر :١٠].

أي :يفسد ويبطل ويظهر زيفهم عن قريب لأولي البصائر والنهى ، فإنه ما أسر عبد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه، وما أسر أحد سريرة إلا كساه الله تعالى رداءها ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًا فشر ، فالمرائي لا يروج أمره ويستمر إلا على غبي.

أما المؤمنون المتفرسون فلا يروج ذلك عليهم ، بل ينكشف لهم عن قريب ، وعالم الغيب لا تخفى عليه خافية .

(١) تفسير ابن كثير:ج٣(٥٢٧) .

وجاء عند أحمد في مُسنده (١) ، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : قال رسول الله ﷺ : « **من سمَّع الناس بعلمه ، سمَّع الله به سامع خلقه، وحقره وصغره** » .

وجاء عند الطبراني (٢) عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال : « **ما من عبد يقوم في الدنيا مقام سمعة ورياء ، إلا سمَّع الله به على رؤوس الخلائق يوم القيامة**» .

وجاء في سُنن ابن ماجه (٣) عن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « **إنما الأعمال كالوعاء ، إذا طاب أسفله طاب أعلاه ، وإذا فسد أسفله فسد أعلاه**» .

و في صحيح مسلم(٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**الإيمان يمان ، والكفر قبل المشرق ، والسكينة في أهل الغنم ، والفخر والرياء في الفدادين أهل الخيل والوبر**» .

والفدادين :هم الذين تعلوا أصواتهم في إبلهم وخيلهم وحرثهم.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول ما سمعتم ، واستغفروا الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) أحمد :برقم (٧٠٨٥) وصححه الألباني :صحيح الترغيب برقم (٢٥) وعزاه إلى الطبراني .
(٢) رواه الطبراني في الكبير برقم (٢٣٧) وصححه الألباني في صحيح الترغيب برقم (٢٨) .
(٣) سُنن ابن ماجه :برقم (٤١٩٩) وصححه الألباني .
(٤) صحيح مسلم :برقم (٥٢) .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين وعلى آله أصحابه الغر الميامين ، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المسلمون :قد سمعتم إلى بعض خطورة الرياء ومصير المرائين فما الذي يوقع الناس في الرياء .

هنا ك أسباب كثيرة يقع الأنسان في الرياء وهو لا يشعر فمن أهم تلك الأسباب:

أولًا- حب الثناء والمدح من الناس له : قال الله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران :١٨٨].

ثانيًا- الطمع لما في أيدي الناس: ولهذا ثبت في سُنن أبي داود [(١)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله ﷺ : « **من تعلم علمًا مما يبتغي به وجه الله** - عَزَّوَجَلَّ - **لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة** » يعني ريحها.

أيها الناس: وأما علاج هذا الداء العضال الذي هو الرياء: فيكون بأمور :

١-الإخلاص لله - عَزَّوَجَلَّ- في جميع الأعمال ومجاهدة النفوس على

(١) صحيح :أبي داود برقم (٣٦٦٤) .

ذلك في كل وقت :قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت :٦٩].

وجاء عند ابن حبان في صحيحه (١) عن فضالة بن عبيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **المجاهد من جاهد نفسه لله** –عَزَّوَجَلَّ– ».

وقال أبو سليمان الداراني –رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى– : إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوساوس والرياء. (٢)

ولكلام السلف حلاوة وتأثيرًا وما ذاك إلا لشدة إخلاصهم .

قال ابُنٌ لعمر بن ذر: « ما بال المتكلمين يتكلون فلايبكي أحد فإذا تكلمت يا أبت سمعت البكاء ها هنا وها هنا ، فقال : يابني لست النائحة المستأجرة كالنائحة الثكلى » .

وقال الفضيل بن عياض –رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى– : ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما . (٣)

وقال أيضًا: من أحب أن يذكر لم يذكر ومن كره أن يذكر ذكر. (٤)

٢– ومن علاج الرياء تحقيق التوحيد : فقد ثبت في جامع الترمذي(٥) عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا فقال : « **يا غلام إني أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على**

(١) صحيح ابن حبان برقم (٤٦٢٤) .
(٢) مدارج السالكين :ج٢(٩٦) .
(٣) سير أعلام النبلاء:ج ٨(٤٢٧) .
(٤) سير أعلام النبلاء:ج٨(٤٣٢) .
(٥) صحيح الترمذي :برقم (٢٥١٦) .

أن يضروك بشيء ، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفعت الأقلام وجفت الصحف» .

٣- ومن علاج الرياء أيضًا:الخوف من الله - عَزَّوَجَلَّ - :فقد صح في سُنن الترمذي [١] عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت سألت عن هذه الآية ﴿ **وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ** ﴾ قالت عائشة هم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ** ﴾ .

ولهذا كان السلف رحمهم الله في غاية الخوف من الرياء : يقو ل أبو أمامة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وقد أتى على رجل في المسجد وهو ساجد يبكي ويدعو ، فقال: «أنت أنت لو كان هذا في بيتك » [٢]

وقال يوسف بن الحسين- رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى-:أعز شيء في الدنيا: الإخلاص وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي فكأنه ينبت على لون آخر . [٣]

وقال بعض السلف: خوفوا المؤمنين بالله ، والمنافقين بالسلطان، والمرائين بالناس.

٤- ومن علاج الرياء: علم العبد أن ما به من نعمة فمن الله . قال تعالى : ﴿ **وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ** ﴾ [النحل :٥٣] .

فيا عبد الله لولا فضل الله عليك ما تزكيت ولا ذكرت بالخير بين الناس . قال تعالى : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ وَمَن يَتَّبِعْ**

---

(١) صحيح الترمذي :برقم (٣١٧٥) .
(٢) السير :ج٣ (٣٦١) .
(٣) مدارج السالكين:ج٢(٩٦) .

خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ [النور:٢١] .

٥- ومن علاج الرياء كتمان العمل: قال بعض السلف وقد سئل عن دواء الرياء فقال : كتمان العمل .

وقال بعضهم : أُكتم حسناتك كما تكتم سيئاتك .

فبعض الناس لا يكتم أعماله وقد يفضي به ذلك إلى السخرية من الناس والاستهزاء به مع حبط أعماله عياذًا بالله وقد ذكر الإمام القرطبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أمثلة على ذلك : فقال يحكى أن طاهر بن الحسين قال لأبي عبد الله المروزى: منذ كم صرت إلى العراق يا أبا عبد الله قال : دخلت العراق منذ عشرين سَنة ، وأنا منذ ثلاثين سَنَة صائم فقال: يا أبا عبد الله سألناك عن مسألة فأجبتنا عن مسألتين.

وحكى الأصمعي أن أعرابيًا صلى فأطال وإلى جانبه قوم فقالوا : ما أحسن صلاتك فقال : وأنا مع ذلك صائم » . (١)

٦- ومن علاج الرياء :النظر في عواقب المرائين في الدنيا والآخرة .

مثل وقوفك يوم الحشر عـــريانًا مستعطفًا قلق الأحشاء حيرانا

النار تزفــر من غيظ ومن حــنق على العصاة وتلقى الرب غضبانا

اقـــرأ كتابك يا عبدي على مهل وانظر اليه ترى هل كان ما كانا

لمـــا قرأت كتابًا لا يغــادر لي حــرفًا وما كـــان في سر وإعلانا

قال الجليل خـــذوه يا ملائكتي مروا بعبدي إلى النيران عطشانا

---

(١) مدارج السالكين:ج٢(٩٦) .

يا رب لا تخــزنا يوم الحساب ولا تجعل لنارك فينا اليوم سلطانا

ولهذا جاء في صحيح مسلم (١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ ، قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : « **أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري ، تركته وشركه**» .

وفي مُسند الإمام أحمد (٢) عن محمود بن لبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : « **إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر** »، قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟، قال : « **الرياء يقول الله** - عَزَّ وَجَلَّ - **لهم يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم ، اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء**» .

اللهم اجعلنا لوجهك عاملين ، ولجزائك راجين وراغبين ، لا نبتغي من أحدٍ جزاءً ولا شكورًا ، ولا تجعلنا من المرائين ، الذين حبطت أعمالهم فلا يقام لهم يوم القيامة وزنًا ، إنما جزاؤهم عند الله عذابًا وثبورًا.

واجعلنا اللهم من عباك المخلصين المتقين ، الذين استعملتهم لطاعتك وشملتهم بمرضاتك ، وأسكنتهم جنتك ، جنات النعيم، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) صحيح مسلم: برقم (٢٩٨٥) .
(٢) أحمد :برقم (٢٣٦٨٠) وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٩٥١) .

٣ التحذير من النفاق

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون: النفاق داء عضال ومرض خبيث وشر مستطير، لهذا

ذكر الله – عَزَّوَجَلَّ – المنافقين وصفاتهم كثيرًا في القرآن الكريم ، ففي أول سورة البقرة ذكر الله – عَزَّوَجَلَّ – طوائف العالم المؤمنين والكافرين والمنافقين ، فوصف الله – عَزَّوَجَلَّ – المؤمنين في أربع آيات ، والكافرين في آيتين ، والمنافقين في ثلاث عشرة آية ، وهذا يدل على خطر النفاق والمنافقين وأنهم بلاء على الإسلام وأهله .

قال الله – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – : ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى
لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ
بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ
وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ
تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ
وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم
بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ
﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ
﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ
إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ
قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا
لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ
مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمۡ
كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي
ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ

وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩ يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠ ﴾ [البقرة : ١-٢٠] .

وهكذا كشف الله أسرارهم وهتك أستارهم في سورة آل عمران ، وفي سورة النساء ، بل هناك سورة في القرآن الكريم أسمها سورة المنافقون ، حصر الله العداوة فيهم وبين جرائمهم فيها ، بل هناك سورة في القرآن الكريم هي سورة التوبة سماها ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا سورة الفاضحة ، كما في صحيح البخاري [(١)] عن سعيد بن جبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قلت لابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا سورة التوبة قال : « التوبة هي الفاضحة ، ما زالت تنزل ومنهم ومنهم ، حتى ظنوا أنها لن تبقي أحدًا منهم إلا ذكر فيها » .

لأن الله فضح المنافقين فيها ولكن الله- عَزَّوَجَلَّ - لم يذكرهم بأسمائهم لأمرين:

١- لأنه ستير يحب الستر.

٢- ولأنه لو سماهم لقال غيرهم من المنافقين لسنا منهم ، لأن المنافقين قد سماهم الله - عَزَّوَجَلَّ -.

والنفاق ينقسم إلى قسمين:

الأول:النفاق الإعتقادي: وهو أن يظهر صاحبه الإيمان ويبطن الكفر، وهذا صاحبه إن مات عليه فهو من المخلدين في نار جهنم

الثاني: النفاق العملي:وهذا من كبائر الذنوب ، وهو وسيلة إلى الوقوع في النفاق الإعتقادي.

قال الحافظ ابن رجب -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : والنفاق الأصغر وسيلة وذريعة

(١) البخاري برقم (٤٨٨٢) .

إلى النفاق الأكبر ، كما أن المعاصي بريد الكفر ، فكما يخشى على من أصر على المعصية أن يسلب الإيمان عند الموت ، كذلك يخشى على من أصر على خصال النفاق أن يسلب الإيمان ، فيصير منافقًا خالصًا. (١)

وقال الحافظ ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : فمن أصر على نفاق المعصية خشي عليه أن يفضي به إلى نفاق الكفر بالله . (٢)

وقد ثبت عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سئل من المنافق ؟ ، قال : الذي يصف الإسلام ولا يعمل به . (٣)

وقال ابن جريج -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : المنافق، يخالف قوله فعله، وسره علانيته ومدخله مخرجه، ومشهده مغيبه . (٤)

وقال إبراهيم بن يزيد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذبًا. (٥)

وقال علامة الشام الإمام الأوزاعي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : إن المؤمن يقول قليلًا ويعمل كثيرًا ، وإن المنافق يتكلم كثيرًا ويعمل قليلًا. (٦)

أيها المسلمون: لقد توعد الله - عَزَّ وَجَلَّ - المنافقين بأشد العذاب قال الله تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء : ١٤٠] .

---

(١) جامع العلوم والحكم ج٢(٤٩٢- ٤٩٣) .
(٢) فتح الباري ج١ (١١١) باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله.
(٣) صفة النفاق وذم المنافقين برقم (٦٩) للفريابي .
(٤) تفسير الطبري ج١(٢٧٧) وسنده قوي انظر تحقيق تفسير ابن كثير ج١(٢٧٣) .
(٥) رواه البخاري معلقًا ج١(١٣٥) باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله.
(٦) السير (٧/١٢٥) .

بل إن عذاب المنافقين أشد من عذاب الكافرين في جهنم كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٤٥] ، أي في أسفل طبقات جهنم .

وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٨] .

وقال تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٣٨] .أي موجعًا مؤلمًا للقلب وسائر البدن.

وقال تعالى: ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴾ [الأحزاب: ٧٣] .

وقد أخبر الله - عَزَّوَجَلَّ - أن المنافقين أنجاس ، قال الله تعالى : ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [التوبة: ٩٥-٩٦] .

ولقد خاف النبي ﷺ على أمته من المنافقين ففي مُسند أحمد [١] عن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : « **إن أخوف ما أخاف على أُمتي ، كل منافق عليم اللسان** » .

وفي مُسند البزار [٢] عن عمران بن حصين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال : « **حذرنا رسول الله ﷺ كل منافق عليم اللسان** » .

(١) أحمد برقم (١٤٣) وصحيح الجامع برقم (٢٣٩) .
(٢) البزار برقم (٣٥١٤) وصحيح الترغيب برقم (١٣٢) .

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يهدم الإسلام ثلاثة : زلة عالم ، وجدال المنافق بالقرآن ، وأئمة مضلون . (١)

وعند أبي داود (٢)عن عمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **من كان له وجهان في الدنيا ، كان له يوم القيامة لسانان من نار** » لسان يتكلم به مع المؤمنين، ولسان يتكلم به مع الكافرين.

وفي الصحيحين (٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال : «**تجدون الناس معادن ،خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، وتجدون خير الناس في هذا الشأن أشد له كراهية ،وتجدون شر الناس ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه ، ويأتي هؤلاء بوجه** » .

وفي صحيح مسلم (٤) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عن النبي ﷺ قال « **مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين ، تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة** ».

ومعنى العائرة: المترددة الحائرة التي لا تدري أيهما تتبع .

ولهذا قال بعض السلف: احذر التلون في الدين لأنه صفة المنافقين.

يقول الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَى– : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ [البقرة : ٢٠٤-٢٠٦] .

---

(١) صفة النفاق وذم المنافقين برقم (٣٠) .
(٢) صحيح أبي داود برقم (٤٨٧٣) .
(٣) البخاري برقم (٣٤٩٤) ومسلم برقم (٢٥٢٦) .
(٤) مسلم برقم (٢٧٨٤) .

ولله در من قال:

لا خـير في ود امـرئ متملق حلو اللسان وقلبه يتلهب
يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويـروغ منك كما يروغ الثعلب
يلقاك يحــلف أنه بك واثق وإذا توارى عنك فهو العقرب

فالمنافقون أجسامهم معجبة ، وأقوالهم معسولة ، ولكن بواطنهم خبيثة وخربة.

قال ربنا -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المنافقون: ٤] .

فأحوالهم كما قال البيحاني [(١)] -رَحِمَهُ اللَّهُ- :

يدور مع الزجاجة حيث دارت ويلبس للسياسة ألـف لبس
وعنــد المسلمين يُعد منهم ويطلب سهمه من كل خُمس
وعـند الملحـدين يـعد منهم وعن ماركس يحفظ كل درس
ومـثـل الإنجليز إذا رآهـم وفي بـاريـس محسوب فرنسي

فالمنافقون شر ووبال على الإسلام والمسلمين في كل زمان وكان بل إن ضررهم على الإسلام وأهله أعظم من ضرر اليهود والنصارى فهم يتربصون بالمؤمنين الدوائر يتمونون لهم المصائب والهزائم .

(١) رباعيات البيحاني ص (٨٢) .

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١].

نسأل الله – عَزَّوَجَلَّ – أن يكفي المسلمين شرهم وبلائهم وأن يصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأن يختم بالصالحات أعمالنا، وأن يصلح لنا جميع أحوالنا.

والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية :

الحمد لله الذي أمر عباده بكل ما فيه خير لهم وصلاح ، ونهاهم عن جميع المضار والأعمال القباح ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، الكريم الفتاح ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ، أولي الرشد والتقى والنجاح .

أما بعد:

فيا أيها المسلمون ، يقول الله - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ ﴾ [محمد : ٢٥-٣٠] .

فقد بيَّن الله -عَزَّ وَجَلَّ- في هذه الآيات المباركة لعباده المؤمنين صفات المنافقين،وصفاتهم كثيرة وقبيحة،كما بين الله في القرآن المجيد،ومن أعظمها خطرًا وأشدها إثمًا موالاة الكافرين،قال تعالى:﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴾[المائدة: ٥٢] .

وقال الله – عَزَّوَجَلَّ – : ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ [النساء: ١٣٨-١٣٩] .

ومن صفاتهم الكذب ، قال الله – عَزَّوَجَلَّ – : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [المنافقون: ١] .

ومن صفاتهم قلة الذكر ،قال الله تعالى: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [المجادلة: ١٩].

ومن صفاتهم الكسل عن العبادات ، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٤٢] .

قال أوس بن عبد الله –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– : نقل الحجارة أهون على المنافق من قراءة القرآن.

ومن صفاتهم الجبن وعدم الشجاعة ، قال الله تعالى: ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [الأحزاب: ١٩] .

ومن صفاتهم البخل ، قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[التوبة: ٧٥-٧٧] .

أيها المسلمون: يجب أن نخاف من الوقوع في النفاق ولهذا كان الصحابة

من أعظم الناس خوفًا على أنفسهم من النفاق ففي مُسند أبي يعلى [١] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال : غدا أصحاب النبي ﷺ ذات يوم، فقالوا : يا رسول الله ، هلكنا ورب الكعبة فقال : « **وما ذاك ؟** » ،قالوا: النفاق ، النفاق قال : « **ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله ؟** » ، قالوا : بلى ، قال : « **ليس ذاك النفاق** » ، قال : ثم عادوا الثانية ، فقالوا : يا رسول الله ، هلكنا ورب الكعبة ، قال : « **وما ذاك ؟** » ، قالوا : النفاق ، النفاق قال : « **ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ؟** » ،قالوا : بلى ، قال : «**ليس ذاك النفاق** » ، قال : ثم عادوا الثالثة ، فقالوا : يا رسول الله ، هلكنا ورب الكعبة ، قال: « **وما ذاك ؟** » ، قالوا : النفاق ، قال : « **ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ؟** » ،قالوا : بلى ، قال : «**ليس ذاك النفاق** » ،قالوا : إنا إذا كنا عندك كنا على حال، وإذا خرجنا من عندك همتنا الدنيا وأهلونا، قال : « **لو أنكم إذا خرجتم من عندي تكونون على الحال الذي تكونون عليه ، لصافحتكم الملائكة بطرق المدينة** ».

وقال ابن أبي مليكة -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى-: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه ، ما منهم أحد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل. [٢]

وفي مُسند أبي يعلى[٣] عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنه دخل عليها عبد الرحمن ابن عوف فقال : يا أمه قد خفت أن يهلكني كثرة مالي ، أنا أكثر قريش

(١) مُسند أبي يعلى ج٦(٥٨) والصحيحة برقم (٢٢٣٥) وصححه الشيخ مقبل الوادعي في الصحيح المُسند برقم (٨٤) .

(٢) رواه البخاري معلقًا ج١(١٣٥) باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله .

(٣) مُسند أبي يعلى برقم (٦٩٩٧) وصححه شيخنا مقبل بن هادي الوادعي -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى- في الصحيح المُسند برقم (١٦٤٧) .

مالًا، قالت : يا بني أنفق ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن من أصحابي من لم يرني بعد أن أفارقه** » فخرج عبد الرحمن فلقي عمر فأخبره بالذي قالت أم سلمة ، فجاء عمر فدخل عليها فقال : بالله منهم أنا ؟ ، قالت : لا ، ولن أبرئ أحدًا بعدك .

وفي مُسند البزار [١] عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : دعي عمر لجنازة فخرج فيها أو يريدها فتعلقت به فقلت : اجلس يا أمير المؤمنين فإنه من أولئك ، فقال: نشدتك الله أنا منهم ، قال: لاَ ، ولا أبرىء أَحَدًا بعدك.

وسمع رجل أبا الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يتعوذ من النفاق في صلاته ، فلما سلم، قال له : ما شأنك وشأن النفاق ؟، فقال : اللهم غفرًا ثلاثًا لا تأمن البلاء، والله إن الرجل ليفتن في ساعة واحدة ، فينقلب عن دينه . [٢]

وسئل الإمام أحمد –رَحِمَهُ اللَّهُ– ما تقول فيمن يخاف على نفسه النفاق، فقال : ومن يأمن على نفسه النفاق .

اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والبخل والهرم ، والقسوة والغفلة ، والذلة والمسكنة ، وأعوذ بك من الفقر والكفر ، والشرك والنفاق، والسمعة والرياء ، وأعوذ بك من الصمم والبكم ، والجنون والبرص ، والجذام وسيء الأسقام .

اللهم طهر قلوبنا من النفاق ، وأعمالنا من الرياء ، وألسنتنا من الكذب، وأعيننا من الخيانة ، إنك تعلم خائنة الأعين ، وما تخفي الصدور.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) مُسند البزار برقم (٢٨٨٥) وصححه شيخنا مقبل الوادعي في الصحيح المُسند برقم (٢٩٤).
(٢) جامع العلوم والحكم ج٢ (٤٩٢) .

٤ الصلاح وثمراته

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون: إن الله – عَزَّوَجَلَّ – أمر بالصلاح ونهى عن الفساد قال

تعالى ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف :٥٦] .

والصلاح هو سلوك طريق الهدى.

والصالح هو القائم بما عليه من حقوق الله وحقوق عباده.

ولا يستوي الصالح والطالح في ميزان الله :قال -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [غافر :٥٨] .

ولقد أخبر النبي ﷺ عن قلة الصالحين في آخر الزمان ففي صحيح البخاري [(١)] عن مرداس الأسلمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال النبي ﷺ: « **يذهب الصالحون الأول فالأول ويبقى حفالة كحفالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله بالة** » والحفالة أو الحثالة الرديء من كل شيء.

ومعنى قوله ﷺ : «**لا يباليهم الله بالة**» ، أي لا يرفع لهم قدرًا ولا يقيم لهم وزنًا.

عباد الله: إن الإنسان إذا فرط في الصلاح سوف يندم حين لا ينفع الندم قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المنافقون :٩-١١] .

ومنزلة الصالحين منزلة رفيعة قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ

(١) البخاري برقم (٦٤٣٤) .

﴿وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء:٦٩] .

وأعظم الناس صلاحًا بل خيرة الصالحين واسوة الصالحين هم الأنبياء والمرسلون ولهذا وصفهم الله بالصلاح في كثير من الآيات المباركات بداية بنوح -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- وختامًا بنبينا محمد -عليه الصلاة والسلام- قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- عن إبراهيم -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- : ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٢١ وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٢٢﴾ [النحل:١٢٠-١٢١] .

وقال تعالى عن إسحاق ويعقوب -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء:٧٢] .

وقال -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- عن يونس بن متّى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- ﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القلم:٥٠] .

وقال تعالى عن نبيه عيسى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٤٥ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٤٦﴾ [آل عمران:٤٥-٤٦] .

وقال -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- عن نبيه يحيى مبشرًا لأبيه زكريا -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- : ﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[آل عمران:٣٩] .

وقال تعالى عن نبيه لوط-عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-:﴿وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعۡمَلُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَٰسِقِينَ ٧٤ وَأَدۡخَلۡنَٰهُ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء:٧٤-٧٥] .

وقال -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عن مجموعة من الأنبياء الصالحين: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنبياء :٨٣-٨٦] .

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام :٨٣-٩٠] .

وهذا نبينا محمد ﷺ لما عُرِجَ به إلى السموات العلى رحب به كل نبي من سكانها وهو يقول له : «**مرحبًا بالنبي الصالح ، والأخ الصالح**» كما في الصحيحين(١) .

أيها المسلمون: وهكذا أصحاب رسول الله ﷺ هم في الدرجة الثانية

---

(١) البخاري برقم (٣٤٩) ومسلم برقم (١٦٣) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

بعد الأنبياء في الصلاح والاستقامة على دين الله - عَزَّوَجَلَّ - ، وأعظمهم صلاحًا أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، ثم سائر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

وهذا سعد بن أبي وقاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من عباد الله الصالحين ، ففي الصحيحين (١) عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت أرق النبي ﷺ ذات ليلة فقال : « **ليت رجلًا صالحًا من أصحابي يحرسني الليلة ، إذ سمعنا صوت السلاح قال : من هذا ؟، قال : سعد يا رسول الله جئت أحرسك فنام النبي ﷺ حتى سمعنا غطيطه** » زاد مسلم « **فدعا له رسول الله ﷺ ثم نام** ». ومعنى أرق أي سهر.

وهذا عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا كان في غاية الصلاح ، جاء في صحيح مسلم (٢) عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال : رأيت في المنام كأن في يدي قطعة إستبرق وليس مكان أريد من الجنة إلا طارت إليه ، قال: فقصصته على حفصة ، فقصته حفصة على النبي ﷺ ، فقال النبي ﷺ : « **أرى عبد الله رجلًا صالحًا** ».

وهذا عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من عباد الله الصالحين ، ففي صحيح مسلم (٣) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[المائدة :٩٣] .

قال لي رسول الله ﷺ : « **قيل لي أنت منهم** ».

(١) البخاري برقم (٧٢٣١) ومسلم برقم (٢٤١٠) .
(٢) مسلم برقم (٢٤٧٨) .
(٣) مسلم برقم (٢٤٥٩) .

وكان عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول : إِذَا ذُكِرَ الصَّالِحُونَ فَحَيَّهَلاً بِعُمَر. (١)

وهذا أسامة بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أيضًا من الصالحين، ففي الصحيحين (٢) عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : أن رسول الله ﷺ قال وهو على المنبر : « **إن تطعنوا في إمارته -يريد أسامة بن زيد -فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله ، وأيم الله إن كان لخليقًا لها ، وأيم الله إن كان لأحب الناس إليَّ ، وأيم الله إن هذا لها لخليق - يريد أسامة بن زيد -، وأيم الله إن كان لأحبهم إلي من بعده ، فأوصيكم به ، فإنه من صالحيكم** ».

ومن عباد الله الصالحين أصحمة النجاشي فقد نزلت فيه هذه الآيات تبين صلاحه ، قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾** ﴾ [المائدة :٨٣-٨٥] .

وقال ﴿ **وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴾ [آل عمران :١٩٩] .

وفي الصحيحين (٣) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال :قال النبي ﷺ : « **قد توفي اليوم رجل صالح من الحبش ، فهلم فصلوا عليه ، قال:فصففنا فصلى النبي ﷺ عليه ونحن معه صفوف** » .

---

(١) ابن أبي شيبة برقم (٣٢٥١١) وسنده صحيح.
(٢) البخاري برقم (٣٧٣٠) ومسلم برقم (٢٤٢٦) .
(٣) البخاري برقم (١٣٢٠) ومسلم برقم (٩٥٢) .

وقد جعل الله - عَزَّوَجَلَّ - للصالحين صفات ومن صفاتهم القيمة ما ذكر في هذه الآيات قال الله تعالى: ﴿ لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [آل عمران :١١٣-١١٥] .

وقال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [العنكبوت :٩] .

وقال تعالى عن النساء الصالحات ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء :٣٤] .

وفي صحيح مسلم [(١)] عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال :« **الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة** » الدنيا متاع أي شيئًا يتمتع به حينًا ما وخير متاعها المرأة الصالحة.

قال الإمام القرطبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-:فسرت في الحديث بقوله ﷺ : « **هي التي إذا نظر إليها سرته ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله**» . [(٢)]

وفي الصحيحين [(٣)] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : « **خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش ، أحناه على ولد في صغره ، وأرعاه على زوج في ذات يده** » .

ومعنى أحناه: أي أكثره شفقة.

---

(١) مسلم برقم (١٤٦٧) .
(٢) المفهم ج٨(١٤٨).
(٣) البخاري برقم (٥٠٨٢) ومسلم برقم (٢٥٢٧) .

ومعنى أرعاه: أي أحفظ وأصون لماله.

اللهم يا من فاز بطاعته المفلحون ، ورجا مغفرته العاصون ، اجعلنا ممن بالمواعظ يتعظون ، وجُد علينا يا ربنا بأفضل ما سألك السائلون ، وكن لنا يا ربنا في الحركة والسكون ، وارحمنا إذا نزلت بنا المنون ، وأنلنا ما ناله عبادك الصالحون ، إنك على كل شيء قدير.

الخطبة الثانية :

الحمد لله ولي الصالحين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، الصادق الأمين ، وعلى آله وصحابته الراشدين والتابعين .

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ، واستمسكوا بالعروة الوثقى.

الـزم يديك بحبل الله معتصماً ... فإنه الركن إن خانتك أركان

عباد الله: إن الصلاح له ثمرات كثيرة في الدنيا والآخرة منها:

أولًا: أن الصلاح سبب للنصر والتمكين في الأرض :

قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور :٥٥] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ [الأنبياء :١٠٥] .

ثانيًا: أن الصلاح سبب في الحصول على مغفرة الله ورحمته :

قال الله تعالى: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾ [الإسراء :٢٥] .

ثالثًا : أن الصلاح سبب للحصول على الرزق الحسن :

قال الله تعالى: ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور :٣٢] .

رابعًا: أن الصلاح سبب في حفظ الله للعبد ولماله وذريته في حياته وبعد مماته:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [الأعراف :١٩٦] .

وقال تعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [النساء :٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف :٨٢] .

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ [إبراهيم :١٣-١٤] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- : أي وعدهم بنصر الدنيا وثواب الآخرة.

وقال محمد بن المنكدر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده ، وولد ولده ، وقريته التي هو فيها ، والدويرات التي حولها فما

يزالون في حفظ من الله وستر.[١]

وقال عمر بن عبد العزيز -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : (ما من مؤمن يموت إلا حفظه الله في عقبه وعقب عقبه).

وكان سعيد بن المسيب -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- يقول لبنه : (يا بني إني لأزيد في صلاتي من أجلك رجاء أن أحفظ فيك) ، وقرأ الآية ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾.

خامسًا : أن الصلاح سبب للنجاة من العذاب في الدنيا والآخرة إذا كان مقترنًا مع الإصلاح :

قال الله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [هود :١١٦-١١٧] .

وفي صحيحي البخاري ومسلم[٢] عن أم حبيبة بنت أبي سفيان عن زينب بنت جحش رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ دخل عليها فزعًا يقول : « **لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه** » ، وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها قالت زينب بنت جحش فقلت يا رسول الله: أنهلك وفينا الصالحون؟، **قال** « **نعم إذا كثر الخبث** ».

سادسًا: أن الصلاح سبب في دخول الجنة:

قال الله تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ

(١) السير ج٥(٣٥٥) .
(٢) البخاري برقم (٣٣٤٦) و مسلم برقم (٢٨٨٠) .

وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴾ [الرعد:٢٣].

وقال تعالى ﴿ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩ ﴾ [غافر:٨-٩].

وفي الصحيحين (١)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقرءوا إن شئتم ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾**

وفي صحيح البخاري (٢) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: « **إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت: قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها أين يذهبون بها، يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعه صعق** ».

عباد الله: كان الإمام الشافعي -رحمه الله- يقول:

أحب الصالحين ولست منهم   لعلي أن أنال بهم شفاعة

وأكره من تجارته المعاصي   وإن كنا سواء في البضاعة

ويذكر عن الإمام أحمد أنه أجابه بقوله:

تحب الصالحين وأنت منهم   رفيق القوم يلحق بالجماعة

---

(١) البخاري برقم (٣٢٤٤) و مسلم برقم (٢٨٢٤).
(٢) البخاري برقم (١٣١٤).

وتكره من تجارته المعاصي حماك الله من تلك البضاعة

والصلاح أعظم الذخائر للإنسان ، كما قال الإمام يحيى بن معين -رحمه الله- :

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخرًا يكون كصالح الأعمال

وقال أبو العتاهية -رحمه الله- :

وإذا تناسبت الرجال فما أرى نسبًا يقاس بصالح الأعمال
وإذا بحثت عن التقي وجدته رجلًا يصدق قوله بفعال
وإذا اتقى الله امرئ وأطاعه فتراه بين مكارم ومعال

فإذا وجد الصالحون سعدت الأمة وانتصرت وحصل لها كل خير وسؤدد.

فهذا قتيبة بن مسلم لما صاف أمام الترك، وهاله أمرهم، سأل عن محمد بن واسع فقيل:هو ذاك في الميمنة جامح على قوسه، يبصبص بأصبعه نحو السماء قال: تلك الإصبع أحب إلي من مئة ألف سيف شهير وشاب طرير. [١]

وكان الإمام أحمد بن حنبل -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- إذا ذكر أحمد بن أبي الحواري يقول(أهل الشام به يمطرون) أي: بصلاحه يأتي إليهم المطر.

وقال أبو زرعة : كنت عند أحمد بن حنبل، فذُكر إبراهيم بن طهمان

---

(١) السير ج٦(١٢١) .

وكان متكئًا من علة فجلس، وقال : لا ينبغي أن يُذكر الصالحون فيُتكأ [١]

فينبغي لنا معاشر المسلمين احترام الصالحين ومحبتهم ومجالستهم والاقتباس من نورهم فقد قال ﷺ : « **مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذ يك وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد ريحًا خبيثة**» . [٢]

اللهم اختم بالصالحات أعمالنا ، وأجرنا من خزي الدنيا ، وعذاب الآخرة ، وتوفنا وأنت راض عنا.

اللهم أمتنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين ، اللهم اغفر لنا ولولدينا ، ولجميع المسلمين ، الأحياء منهم والميتين .

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) السير ج٧(٣٨١).

(٢) البخاري برقم (٥٥٣٤) ومسلم برقم (٢٦٢٨) عن أبي موسى الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ .

٥ حكم تارك الصلاة

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أما بعد: فاتقوا الله عباد الله وراقبوه في السر والنجوى .

أيها المؤمنون ؛ قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ۝٦٠ ﴾ [مريم :٥٩-٦٠] .

هذه الآية ظاهرة في أن من أضاع الصلاة واتبع الشهوات فليس بمؤمن لأن الله قال : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ ﴾ .

وهذا يدل على عظم هذه الصلاة فشأنها عظيم وفضلها عند الله كبير فقد جعلها الله قرينة لكثير من العبادات فهي قرينة الزكاة في كتاب الله،قال تعالى : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [البقرة :٤٣].

وهي قرينة النسك- وهو الذبح قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝١٦٣ ﴾ [الأنعام :١٦٢-١٦٣] .

وهي قرينة النحر ، قال تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴾ [الكوثر :٢] .

وهي قرينة الذكر ، قال سبحانه: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ [طه :١٤] .

هذه الصلاة خصها الله بالذكر من بين كثير من الأعمال ، قال الله تعالى: ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴾ [العنكبوت :٤٥] .

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴾ [الأعراف :١٧٠] .

عباد الله:لقد خفَّ ميزان هذه الصلاة العظيمة عند كثير من الناس.

وقوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم :٥٩] .

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: خسرانًا.[1]

وقال الحسن البصري -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى-: عطلوا المساجد ولزموا الضيعات.[2]

وقال الله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾[المدثر:٣٨-٤٨] .

فقد أخبر الله سبحانه في هذه الآيات المباركة أن ترك الصلاة من صفات المجرمين.

ولهذا يقول الله تعالى: ﴿ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المرسلات :٤٦-٥٠] .

وقال سبحانه: ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ [القلم :٣٥] .

فكيف حالك يامن قطعت الصلاة وأنت تساق إلى ربك، قال تعالى: ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى ﴿٣١﴾ وَلَٰكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ ﴾ [القيامة :٢٦-٣٥] .

فحال هذا الكافر - فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى نسأل الله

(١) تفسير ابن كثير ج٥(٢٤٢) وأخرجه الطبري بسند ثابت من طريق عن علي به.
(٢) تفسير ابن كثير ج٥(٢٤١) .

السلامة والعافية »

وقال الله تعالى: ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الروم :٣١] ، فأخبر –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– في هذه الآية الكريمة:أن ترك الصلاة من صفات المشركين .

وقد ثبت صحيح مسلم [(١)] عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إن بين الرجل، وبين الشرك – والكفر – ترك الصلاة** » .

وقوله ﷺ : «الكفر» قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رَحِمَهُ اللَّهُ– [(٢)] : «وفرق بين الكفر المعرف باللام ، يعني الدال على الكفر المطلق ، وبين كفر منكر في الإثبات » .

وقد ثبت عند الإمام الترمذي –رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى–[(٣)] : عن عبد الله بن شقيق العقُيلي –رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى– قال: « **كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة** » .

وقال الله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الماعون :٤-٥] .

قال عطاء بن دينار –رَحِمَهُ اللَّهُ– [(٤)] : الحمد لله الذي قال: ﴿ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ﴾ ولم يقل في صلاتهم ساهون .

وفي مُسند أبي يعلى [(٥)] عن مصعب بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت لأبي:

---

(١) مسلم برقم (٨٢) .
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ج١ (٢٣٧) .
(٣) الترمذي برقم (٢٦٢٢) صححه الألباني صحيح الترمذي.
(٤) تفسير ابن كثير ج٧(٦٦٢) .
(٥) مُسند أبي يعلى برقم (٧٠٤) صحيح الترغيب برقم (٥٧٦) .

يا أبتاه أرأيت قوله ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ [الماعون :٥] ، أينا لا يسهو أينا لا يحدث نفسه؟! ، قال: ليس ذلك إنما هو إضاعة الوقت يلهو حتى يضيع الوقت.

فهذا له الويل وهو العذاب لمن ضيع الصلاة حتى خرج وقتها ، فكيف إذا تركها بالكلية .

وقد ثبت عند أحمد وغيره [(١)] عن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**» .

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة»[(٢)].

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « من لم يصلِ فلا دين له » . [(٣)]

وجاء في مُسند أحمد [(٤)] عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أوصاني رسول الله ﷺ « **بعشر كلمات قال : لا تشرك بالله شيئًا ، وإن قتلت وحرقت ، ولا تعقن والديك ، وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك ، ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدًا ، فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمدًا فقد برئت منه ذمة الله ، ولا تشربن خمرًا فإنه رأس كل فاحشة ، وإياك والمعصية ، فإن بالمعصية حل سخط الله** – عَزَّوَجَلَّ – ، **وإياك والفرار من الزحف ، وإن هلك الناس، وإذا أصاب الناس موتان وأنت فيهم ، فاثبت وأنفق على عيالك من طولك، ولا ترفع عنهم عصاك أدبًا ، وأخفهم في الله**» .

وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «**لا إيمان لمن لا صلاة له، ولا صلاة لمن لا**

---

(١) أحمد برقم (٢٢٩٣٧) الترمذي برقم (٢٦٢٢) وابن ماجه برقم (١٠٧٩) ، صحيح الترغيب برقم (٥٦٤) .
(٢) شرح السُّنَّة للإمام البغوي ج٢(١٧٩) ، والبيهقي برقم (٦٢٩١) .
(٣) الإيمان لابن شيبة برقم (٤٧) وسنده صحيح .
(٤) أحمد برقم (٢٢٠٧٥) صحيح الترغيب برقم (٥٧٠) .

وضوء له» .[١]

وثبت في مسلم[٢] عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال « من سره أن يلقى الله غدًا مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس ، حيث ينادى بهن فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سُنن الهدى ، وإنهن من سُنن الهدى ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سُنَّة نبيكم، ولو تركتم سُنَّة نبيكم لضللتم ، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ، ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ، ورفعه بها درجة ويحط عنه بها سيئة ، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف».

فمن حافظ على هؤلاء الصلوات فهو مؤمن حقًا ومن ضيعهن فليس من أهل الإيمان . قال تعالى : ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة :١١] .

وقد صح عند البخاري[٣] عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من صلى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا ، فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله ، فلا تخفروا الله في ذمته»** .

هذه الصلاة يا عباد الله هي أول ما نحاسب عليها يوم القيامة ، فعند أحمد والترمذي وأبو داود[٤] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ قول : « **إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن**

---

(١) تعظيم قدر الصلاة برقم (٩٤٥) وسنده صحيح .
(٢) مسلم برقم (٦٥٤) .
(٣) البخاري برقم (٣٩١) .
(٤) أحمد برقم (٩٤٩٤) الترمذي برقم (٤١١) أبوداود برقم (٨٦٤) .

صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن فسدت فقد خاب وخسر ، فإن انتقص من فريضته شيء قال الرب -تبارك وتعالى-: انظروا هل لعبدي من تطوع؟ ، فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ، ثم يكون سائر عمله على ذلك » .

أيها المسلمون .تارك الصلاة إن كان تركه لها جحودًا - أي لوجوبها فهو كافر بالإجماع ، وإن كان متهاونًا لتركها أو متكاسلًا .ففي خلاف بين أهل العلم والراجح أنه كافر كفرًا مخرجًا من الملة ولهذا يقول أيوب السختياني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: ترك الصلاة كفر لا يختلف فيه . وبناءً على هذا فإنه يترتب على تاركها أحكام دنيوية وأحكام أخروية.

أما الأحكام الدنيوية :

أولًا: أنه من المرتدين عن الإسلام فإن تاب وإلا وجب قتله من قبل ولي الأمر لقول النبي عليه الصلاة والسلام ، كما جاء في البخاري [1] عن عكرمة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- قال: أتي علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بزنادقة فأحرقهم فبلغ ذلك ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله ﷺ: «**لا تعذبوا بعذاب الله**» ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ : «**من بدل دينه فاقتلوه**».

ثانيًا: أنه لا يزوج بالمسلمة لقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ [الممتحنة :١٠] .

لكن للأسف إذا جاء الخاطب اليوم لا يسأل ولي المرأة عن صلاته ، إنما يسأل عن عمله وراتبه ونسبه ، وكم سيدفع من المال ، أما الصلاة فلا

(١) البخاري برقم (٣٠١٧) .

يسأل عنه ولا يستشير أهل الدين في مصاهرته إلا من رحم الله تعالى .

وأما الأحكام الأخروية فهي:

أولًا : إذا مات لا يرثه أهله وأولاده المصلون ، فقد جاء في البخاري ومسلم [١] عن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا يرث المسلم الكافر ، ولا الكافر المسلم**» إلا إذا كانوا تاركين للصلاة جميعًا فكلهم كفار يرث بعضهم بعضًا.

ثانيًا: لا يصلى عليه إذا مات ولا تشيع جنازته ولا يدعى له ولا يستغفر له ولا يقبر في مقابر المسلمين بل تحفر له حفرة ويوضع فيها .

ثالثًا: يحشر يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف كما أخبر بذلك نبينا محمد بن عبد الله ﷺ. [٢]

هذا والله نسأله أن يهدينا جميعًا ، وأن يردنا إليه ردًا جميلًا ، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ، من كل ذنب وخطيئة ، إنه هو التواب الرحيم .

(١) البخاري برقم (٦٧٦٤) مسلم برقم(١٦١٤) .
(٢) أحمد برقم (٦٥٧٦) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الخطبة الثانية :

الحمد لله الذي وعد المحافظين على الصلاة أجرًا عظيمًا ، وأعد لهم جنات الفردوس نعيمًا مقيمًا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، فأنعم به ربًا رحيمًا كريمًا ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، أفضل المصلين وإمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين ، صلى الله عليه وعلى آله ، وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم .

أما بعد :

فيا معاشر المسلمين ، لقد وردت الأدلة الكثيرة في الوعيد الشديد في شأن من يترك صلاة واحدة ، فكيف إذا كان تاركًا لها بالكلية ، ففي صحيح البخاري (١) عن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «.. ....**أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر، فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه ، وينام عن الصلاة المكتوبة**» . ومعنى يرفضه -أي لا يعمل بما فيه هذا العذاب في البرزخ فكيف يوم القيامة : قال الله تعالى : ﴿ **كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ** ﴾ [القلم :٣٣] .

وقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ **وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ** ﴾ [طه :١٢٧] .

وقال الله: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾[فصلت :١٦] .

(١) البخاري برقم (١١٤٣) .

وفي صحيح البخاري [(١)] عن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله**» وفي رواية لأحمد [(٢)] عن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: « **من ترك صلاة العصر متعمدًا أحبط الله عمله**».

وفي الصحيحين [(٣)] عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **من فاتته صلاة العصر، فكأنما وتر أهله وماله** » ومعنى -وتر أهله -أي سُلب منه الأهل والمال ، وبقي وترًا فردًا بلا أهل ولا مال.

يا أخوة ، لو سلب أحدنا أهله أو ماله ، كيف تكون حالته ، وكيف يرحم الناس حاله ، وكل واحد يقدم له المساعدة ، لكن هذا الذي ضيع صلاته مصيبته عظيمة ، فكأنما وتر أهله وماله ، وهذا شيء سهل عند الناس ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

قال بعض السلف :عجبًا كيف تبكون على من مات جسده ، ولا تبكون على من مات قلبه.

واعلم بأن من الرجال بهيمة ... في صورة الرجل السميع المبصر

فطن بكل مصيبة في ماله ... وإذا يصاب بدينه لم يشعر

وهذا النص ورد في صلاة العصر لكن قد ورد أيضًا عند ابن حبان [(٤)] عن نوفل بن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال : « **من فاتته الصلاة ، فكأنما وتر أهله وماله**» فهذا الدليل عام في كل الصلوات.

ولعظم الصلاة أن الإسلام أمر بقتال تارك الصلاة قال تعالى: ﴿ فَإِذَا

---

(١) البخاري برقم (٥٥٣) .

(٢) أحمد برقم (٢٣٠٤٥) قال الشيخ شعيب صحيح.

(٣) البخاري برقم (٥٥٢) ومسلم برقم (٦٢٦) .

(٤) صحيح ابن حبان برقم(١٤٦٨) قال الأرنؤوط إسناده صحيح.

ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [التوبة :٥] .

وقد ثبت في الصحيحين (١) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: « **أمرت أن أُقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم؛ إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله** » .

وجاء في صحيح مسلم(٢) عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت قال رسول الله ﷺ: « **إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون ، فمن كره فقد برئ ومن أنكر فقد سلم ، ولكن من رضي وتابع** » ، قالوا : يارسول الله ألا نقاتلهم ؟ ، قال : « **لا ، ماصلوا** » .

وقوله ﷺ : « **فمن كره فقد برئ ومن أنكر فقد سلم أي من كره بقلبه وأنكر بلسانه**» .

وفي صحيح مسلم أيضًا (٣) عن عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، وتصلون عليهم ويصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذي تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنوهم ويلعنوكم**» قال: قلنا: يا رسول الله أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: «**لا ما أقاموا فيكم الصلاة ، لا ما أقاموا فيكم الصلاة ، ألا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئًا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ، ولا ينزعن يدًا من طاعة**» .

---

(١) البخاري برقم (٢٥) ومسلم برقم (٢٢) .
(٢) مسلم برقم (١٨٥٤) .
(٣) مسلم برقم (١٨٥٥) .

وفي الصحيحين [١] عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : **بعث علي وهو باليمن إلى النبي ﷺ بذهبية في تربتها، فقسمها بين أربعة الحديث ..الى أن قال خالد بن الوليد: يا رسول الله، ألا أضرب عنقه؟ قال: «لا، لعله أن يكون يصلي» فقال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه، قال رسول الله ﷺ: «إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم»** .

فاحذروا يا أمة محمدﷺ من تضييع الصلاة ومن الاستخفاف بها، وحرصوا غاية الحرص على العناية بها و المحافظة عليها،قال تعالى: ﴿ **حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ** ﴾[البقرة :٢٣٨] .

فالصلاة قرة العيون وطمأنينة النفوس فيها الراحة والسعادة .قال تعالى: ﴿ **وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾** ﴾ [البقرة :٤٥-٤٦] .

نسأل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- :أن يثبت قلوبنا على طاعته وأن لا يزغها بعد هدايتها اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد ، يُعز فيه أهل طاعتك، ويُذل فيه أهل معصيتك، ويُؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر .

اللهم فرج هم المهمومين من المسلمين، اللهم اشف مرضاهم ، وعاف مبتلاهم ، واجبر مصابهم برحمتك ياذا الجلال والإكرام .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين .

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) البخاري برقم (٤٣٥١) ومسلم برقم (١٠٦٤) .

٦ فضل المحافظة على صلاة الفجر

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أما بعد فإن الصلاة صلة بين العبد وربه الصلاة هي الفارقة بين

المؤمنين والكافرين والمحافظة على الصلاة صعب على المنافقين سهل على المؤمنين قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة :٤٥-٤٦] .

وبما أن التساهل عظيم والتفريط كبير لصلاة الفجر من كثير من الناس ، أحببت أن أجعل موضوع خطبتنا في هذا اليوم المبارك عن أهمية المحافظة على صلاة الفجر ، وما ورد من الفضل في ذلك .

عباد الله ، الفجر وقت مبارك ولهذا يقول نبينا محمد ﷺ ، كما عند الترمذي[١] عن صخر بن وداعة الغامدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللهم بارك لأمتي في بكورها**» وكان إذا بعث سرية أو جيشًا بعثهم من أول النهار وكان صخر تاجرًا فكان يبعث تجارته أول النهار فأثرى وكثر ماله.

والفجر وقت النقاء والصفاء وقت توزع فيه الأرزاق والبركات ، والفجر وقت عظيم أقسم الله به في كتابه الكريم ،قال الله تعالى: ﴿وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾﴾ [الفجر :١-٢] .

وقال الله تعالى: مبينًا - شرف صلاة الفجر ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء :٧٨] .

فأمر الله نبيه ﷺ في هذه الآية الكريمة أن يقيم الصلاة لدلوك الشمس، والدلوك الميلان أي عند ميلان الشمس إلى الأفق الغربي بعد الزوال ، فتدخل في هذا صلاة الفجر والعصر إلى غسق الليل - والغسق

(١) الترمذي برقم (١٢١٢) .

الظلمة ، فتدخل في ذلك صلاة المغرب والعشاء والفجر ، وقرآن الفجر - أي صلاة الفجر -إن قرآن الفجر كان مشهودًا.

وصلاة الفجر هي أفضل الصلوات عند الله - جَلَّ وَعَلَا - فعند أبي نعيم والبيهقي[١] عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ : «**أفضل الصلوات عند الله صلاة الصبح يوم الجمعة في جماعة**» .

والذي يصلي الفجر في جماعة فهو في ذمة الله وعهده ففي صحيح مسلم [٢] عن جندب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «**من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله ، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء ، إنه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه ، ثم يكبه على وجهه في نار جهنم**» .

وعند الطبراني [٣] عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال رسول الله ﷺ : «**من صلى الغداة فهو في ذمة الله حتى يمسي**» ، فقال له أبوه: مكيس، إنما سميناك سالمًا لتسلم » .

عباد الله : إن المحافظة على صلاة الفجر في جماعة ، والله إن ذلك لغنيمة عظيمة ، وجائزة ثمينة .

فقد صح عند الترمذي [٤] عن انس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله ﷺ : « **من صلى الفجر في جماعة ، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة ، تامة تامة تامة**» والمحافظة على صلاة الفجر من أسباب دخول الجنة .

---

(١) الحلية ج٧(٢٠٧) الشعب برقم (٢٧٨٣) صحيح الجامع برقم(١١١٩) .
(٢) مسلم برقم (٦٥٧) .
(٣) الطبراني الأوسط برقم (٣٤٦٤) .
(٤) الترمذي برقم (٥٨٦) حسنه الألباني .

ففي الصحيحين[(١)] عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلى البردين دخل الجنة**» ومعنى البردين - أي الفجر والعصر.

كما أن المحافظة عليها من أسباب النجاة من النار، ففي صحيح مسلم[(٢)] عن أبي زهير عمارة بن رؤيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها**» يعني الفجر والعصر.

وملائكة الله الكرام تشهد صلاة الفجر، كما قال الله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴾

وفي الصحيحين[(٣)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون**»

وصلاة الفجر سبب للنور العظيم يوم القيامة فقد صح عند ابن ماجه[(٤)] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بشر المشائين في الظلم إلى المساجد، بالنور التام يوم القيامة**».

قال الله تعالى: ﴿ يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ

(١) البخاري برقم (٥٧٤) ومسلم برقم (٦٣٥).
(٢) مسلم برقم (٦٣٤).
(٣) البخاري برقم(٥٥٥) ومسلم برقم (٦٣٢).
(٤) صحيح ابن ماجه برقم (٧٨١).

﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد: ١٢-١٥] .

وهكذا من يحافظ على صلاة الفجر يكتب الله له قيام ليلة ، ففي صحيح مسلم(٥) عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «**من صلى العشاء في جماعة ، فكأنما قام نصف الليل ، ومن صلى الصبح في جماعة ، فكأنما صلى الليل كله**» .

صلاة الفجر أمان من النفاق ففي الصحيحين(٦) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء، وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا، ولقد هممت أن آمر بالصلاة، فتقام، ثم آمر رجلًا فيصلي بالناس، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار**» .

وفي صحيح مسلم (٧) عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سره أن يلقى الله غدًا مسلمًا، فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سُنن الهدى، وإنهن من سُنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته، لتركتم سُنَّة نبيكم، ولو تركتم سُنَّة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن**

(٥) مسلم برقم (٦٥٦) .
(٦) البخاري برقم (٦٥٧) ومسلم برقم (٦٥١) .
(٧) مسلم برقم (٦٥٤) .

الطهور، ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد، إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف» يهادى: أي: يحمل.

وفي صحيح ابن حبان [١] عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: « كنا إذا فقدنا الإنسان في صلاة الصبح والعشاء أسأنا به الظن ».

فهذا الميزان الذي كان عند أصحاب النبي ﷺ من شهد الفجر أحسنوا به الظن ومن غاب عنها أساءوا به الظن.

والذي يحافظ على صلاة الفجر يكتب في وفد الرحمن، فعند الطبراني [٢] عن أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال **«من توضأ، ثم أتى المسجد فصلى ركعتين قبل الفجر، ثم جلس حتى يصلي الفجر كتبت صلاته يومئذ في صلاة الأبرار، وكتب في وفد الرحمن »**.

والمحافظة على صلاة الفجر سبب لرؤية الله - عَزَّ وَجَلَّ - في الآخرة: ففي البخاري ومسلم [٣] عن جرير بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كنا جلوسًا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: **«إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، فافعلوا»** ثم قرأ: ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴾ [طه: ١٣٠].

(١) صحيح ابن حبان برقم (٢٠٩٦).
(٢) الطبراني ج١ (٢٤١) صحيح الترغيب برقم (٥٤).
(٣) البخاري برقم (٥٥٤) ومسلم برقم (٦٣٣).

فالمحافظة على صلاة الفجر في جماعة من أسباب النظر إلى وجه الله تعالى الذي هو أعظم نعيم والذ نعيم في الجنة ، قال الله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [يونس :٢٦] . والزيادة فُسرت بالنظر إلى وجه الله الكريم .

وقال تعالى: ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣] .

وفقنا الله وإياكم لمرضاته ، وجنبنا وإياكم معاصيه .

الخطبة الثانية :

الحمد لله الذي وعد المحافظين على الصلاة أجرًا عظيمًا ، وأعد لهم جنات الفردوس نعيمًا مقيمًا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، فأنعم به ربًا رحيمًا كريمًا ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، أفضل المصلين وإمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم .

أما بعد: فقد سمعتم يا معاشر المسلمين ، بعض الأدلة في فضل صلاة الفجر، وهكذا أيضًا من فضائل صلاة الفجر ، أن من حافظ عليها فهو طيب النفس ، ومن لم يحافظ عليها فهو خبيث النفس كسلان .

ففي البخاري ومسلم[١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : «**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم، إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة مكانها ، عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقده كلها؛ فأصبح نشيطا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان**» .

وفي الصحيحين [٢] عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ذكر عند النبي ﷺ رجل نام ليله حتى أصبح، قال : «**ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه، أو قال: في أذنه** » .

وهذا البول يحمل على حقيقته نسأل الله السلامة والعافية من مكر

(١) البخاري برقم (١١٤٢) ومسلم برقم (٧٧٦) .
(٢) البخاري برقم (١١٤٢) ومسلم برقم (٧٧٦) .

الشيطان وكيده ونعوذ بالله من شره.

ومن فضائل صلاة الفجر أن ركعتي الفجر هذه السُّنَّة القبلية خير من الدنيا وما فيها . ففي صحيح مسلم [١] عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا عن النبي ﷺ قال: «**ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها**» وفي رواية : أنه قال في شأن الركعتين عند طلوع الفجر: «**لهما أحب إلي من الدنيا جميعًا**» [٢] ، فإذا كانت هذه الفضيلة لركعتي الفجر بنافلة فكيف بالصلاة نفسها الفريضة .

وفي البخاري [٣] عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا قالت: « **لم يكن النبي ﷺ على شيء من النوافل أشد منه تعاهدًا على ركعتي الفجر** ».

عباد الله ، ولقد ورد الوعيد الشديد في عقوبة من يترك صلاة الفجر وأنه يعذب في قبره ويوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾ [مريم :٥٩] .

ففي صحيح البخاري [٤] عن سمرة بن جندب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ في حديثه الطويل، وفيه أن النبي ﷺ قال : « **وإنا أتينا على رجل مضطجع ، وإذا آخر قائم عليه بصخرة ، وإذا هو يهوى بالصخرة لرأسه ، فيثلغ رأسه فيتهدهد الحجر ها هنا ، فيتبع الحجر فيأخذه ، فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان ، ثم يعود عليه ، فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى . قال قلت لهما سبحان الله ما هذان ....**» الحديث وفيه «**أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر ، فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن**

(١) مسلم برقم (٧٢٥) .
(٢) مسلم برقم (٧٢٥) .
(٣) البخاري برقم (١١٦٩) .
(٤) البخاري برقم (٧٠٤٧) .

الصلاة المكتوبة ..».

فيا أمة الإسلام احرصوا على العناية بالصلاة عمومًا وبصلاة الفجر خصوصًا وبذلوا قصارى جهدكم في الأسباب التي تعينكم على أداء صلاة الفجر في جماعة .

ومن تلكم الأسباب:

١- النوم المبكر ، فلا يجوز للإنسان أن يسهر حتى يضيع صلاة الفجر وقد جاء في الصحيحين [١] عن أبي برزة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ «**كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها**».

٢- على المسلم أن يوصي من يوقظه لصلاة الفجر أو يجعل عند رأسه المنبه أو الساعة التي فيها الأذان ليستيقظ لإداء الصلاة .

٣- العزم على الاستيقاظ لصلاة الفجر .

٤- أن يتذكر ما يترتب على صلاة الفجر من الأجر والثواب . قال بعضهم: (بالمعرفة هانت على العابدين العبادة)

وقال بعضهم أيضًا : (من لم يعرف ثواب الأعمال ثقلت عليه العبادة في جميع الأحوال .

٥- أن يتصل بالله دائمًا أما إذا اكثر من الذنوب سواء الذنوب التي يرتكبها في النهار أو يبيت على الذنوب ، فإنها ستكون حائلة بينه وبين قيام الليل وصلاة الفجر ، والذنوب مهلكة ومدمرة ، فكم من أناس حرموا الخير والصلاة ولذة العبادة ، بسبب الذنوب والمعاصي .

هذا والله نسأل أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

اللهم اجعلنا من المقيمين الصلاة ومن ذريتنا ربنا وتقبل دعاء.

---

(١) البخاري برقم (٧٠٤٧) ومسلم برقم (٦٤٧).

٧ ذم الكسل

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون: أمرنا الله بالطاعات واغتنام الصالحات وحذرنا من قلة

الرغبة في فعل الخيرات والتثاقل عن ذلك ، وإن الكسل مما يسبب التثاقل عن الطاعات ويضيع فرص اغتنام الخيرات ، ولذا فإنه من الصفات المذمومة لأنه مطية أصحاب الهمم الدنيئة.

والمراد بالكسل « التثاقل عن الشيء والقعود عن إتمامه».[١]

وقال الإمام النووي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : هو عدم انبعاث النفس للخير وقلة الرغبة مع إمكانه.[٢]

وقد حارب الإسلام الكسل ودعا إلى العمل وقد كان النبي ﷺ يستعيذ بالله من الكسل ، ففي الصحيحين[٣] عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال كان النبي ﷺ يقول: « **اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والهرم ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات ، وأعوذ بك من عذاب القبر**».

وفي صحيح مسلم [٤] عن زيد بن أرقم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال كان رسول الله ﷺ يقول : « **اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والبخل والهرم، وعذاب القبر ، اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها ، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها** » .

وفي صحيح ابن حبان [٥] عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : كان النبي ﷺ يدعو يقول : « **اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والبخل والهرم ، والقسوة والغفلة والذلة والمسكنة ، وأعوذ بك من الفقر والكفر ، والشرك والنفاق،**

(١) مقاييس اللغة ج٥(١٧٨) لابن فارس.
(٢) المنهاج ج١٧(٣٠).
(٣) البخاري برقم (٢٨٢٣) ومسلم برقم (٢٧٠٦).
(٤) مسلم برقم (٢٧٢٢).
(٥) ابن حبان برقم (١٠٢٣) وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وصححه شيخنا الوادعي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- في الصحيح المُسند برقم (٣٩).

والسمعة والرياء ، وأعوذ بك من الصمم والبكم ، والجنون والبرص ، والجذام وسيء الأسقام » .

ولقد علمنا نبينا ﷺ دعاءً ندعو به في كل صباح ومساء لنستعيذ بالله من الكسل ففي صحيح مسلم [١] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أمسى قال : « **أمسينا وأمسى الملك لله ، والحمد لله ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، اللهم أسألك خير هذه الليلة ، وأعوذ بك من شر هذه الليلة ، وشر ما بعدها ، اللهم إني أعوذ بك من الكسل ، وسوء الكبر اللهم إني أعوذ بك من عذاب في النار ، وعذاب في القبر** » .

والكسل عن الطاعات من صفات المنافقين ، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء :١٤٢] .

قال العلامة ابن العربي – رحمه الله – :

يعني متكاسلين متثاقلين ، لا ينشطون لفعلها ، ولا يفرحون لها ، وقد قال ﷺ في الآثار : « **أرحنا بها يا بلال** » . فكان يرى راحته فيها . وفي آثار أخر: « **وجعلت قرة عيني في الصلاة** ». وفي الحديث:« **أثقل صلاة على المنافقين العتمة والصبح** »؛ فإن العتمة تأتي وقد أنصبهم عمل النهار ، فيثقل عليهم القيام إليها ، وتأتي صلاة الصبح ، والنوم أحب إليهم من مفروح به ، وهم لا يعرفون قدر الصلاة دنيا ولا فائدتها أخرى ؛ فيقومون إليها بغير نية إلا خوفًا من السيف ومن قام إليها مع هذه الحالة بنية إتعاب النفس وإيثارها عليها ، طالبًا لما عند الله سبحانه فله أجران ، والذي يرى

(١) مسلم برقم (٢٧٢٣) .

راحته فيها مع الملائكة المقربين (١)

وقال تعالى ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾ [التوبة :٥٤] .

وقال تعالى ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة :٨١] .

وقال تعالى ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾ [التوبة :٨٦] .

وفي صحيح مسلم (٢) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : « **من سره أن يلقى الله غدًا مسلمًا ، فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُنن الهدى ، وإنهن من سُنن الهدى ، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته ، لتركتم سُنَّة نبيكم، ولو تركتم سُنَّة نبيكم لضللتم ، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ، ثم يعمد إلى مسجد من هذه ، المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ، ويرفعه بها درجة ويحط عنه بها سيئة ، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف** ».

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: للمنافق ثلاث علامات ، يكسل إذا كان وحده ، وينشط إذا كان بين الناس ، ويزيد في العمل إذا أُثني عليه ،

(١) أحكام القرآن ج١(٥١١) .
(٢) مسلم برقم (٦٥٤) .

وينقص إذا ذُم . [١]

وقال الإمام القرطبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : النفاق يورث الكسل في العبادة لا محالة . [٢]

والأصل أن الكسل من الشيطان ففي الصحيحين [٣] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: « **يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب كل عقدة ، عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقدة ، فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان** » .

وقد جاء أيضًا في الصحيحين [٤] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: « **التثاؤب من الشيطان ، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع ، فإن أحدكم إذا قال ها ضحك الشيطان** » .

فانظر يا أخي كيف يثبط الشيطان هذا الإنسان عن قيام الليل الذي هو سبب في مغفرة الله للعبد ، وحط ذنوبه عنه ونشاط بدنه ، ولهذا قال بعض السلف -رحمهم الله- : وفي قيام الليل من الفوائد أنه يحط الذنوب وينشط البدن.

ولقد كان النبي ﷺ لا يدع قيام الليل عبادة لله ومحاربة للكسل ففي سُنن أبي داود [٥] عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت : « **كان رسول الله ﷺ لا يدع قيام الليل ، وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعدًا** ».

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر ج١ (٤٢) .
(٢) تفسير القرطبي ج٨ (١٦٣) .
(٣) البخاري برقم (١١٤٢) ومسلم برقم (٧٧٦) .
(٤) البخاري برقم (٣٢٨٩) ومسلم برقم (٢٩٩٤) .
(٥) صحيح أبي داود برقم (١٣٠٧) .

وهل كانت بدعة التصوف إلا عن طريق الكسل ، كما قال الإمام الشافعي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : أسس التصوف على الكسل.[١]

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم ، وبهدي سيد المرسلين ، أقول قولي هذا ، واستغفروا الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

(١) تلبيس إبليس ص (٣٦٣) .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ .

أما بعد:

فقد حذر السلف الصالح من الكسل وذموه أيما ذم ، قال بعض السلف : الكسل مجلبة للفشل ، ومبطلة للعمل ، مخيبة للأمل .

ولله در من قال:

ومـن رام العلا مـن غـير كد   أضـاع العمر في طلب المحال

وقال بعض الحكماء: نكح العجز التواني فخرج منهما الندامة ونكح الشؤم الكسل فخرج منهما الحرمان.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– فإن العبد إذا كان زاهدًا بطالًا فسد أعظم فساد ، وهؤلاء لا يعمرون الدنيا ولا الآخرة .(١)

وقال الذهبي –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– : فإن رأيته ـ أي طالب العلم ـ مجدًا في طلب العلم، لا حظ له في القربات، فهذا كسلان مهين، وليس هو بصادق في حُسن نيته.(٢)

(١) الفتاوى ج٢٠(١٥٠) .
(٢) السير ج(٧)(١٦٧) .

وقال الإمام الماوردي -رحمه الله- :

اطلب العلم و لا تكسل فما أبعد الخير على أهل الكسل

في ازدياد العلم إرغام العدا وجمال العلم إصلاح العمل

لا تقل ذهبت أيامه كل من سار على الدرب وصل

واهجر النوم وحصله فمن يعرف المطلوب يحقر ما بذل

وقال آخر:

دع التكاسل في الخيرات تقبلها فليس يسعد بالخيرات كسلان

وقال خالد بن صفوان -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : مفتاح نجح الحاجة الصبر على طول المدة، ومغلاقها اعتراض الكسل دونها.

أيها المؤمنون: لقد سمعتم خطورة الكسل ، وأنه يحرم صاحبه خيرًا كثيرًا ، إلا أن هنالك أسبابًا إذا وقع الإنسان في واحد منها زاد كسله ، وقل خيره ، فمن ذلك ارتكاب المعاصي وكسب السيئات ، وهذه عقوبة عظيمة وأثر من آثر المعصية.

ومن أسباب الوقوع في الكسل التكلف في العبادة والغلو فيها ففي الصحيحين [(١)] عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا :أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة قال « **من هذه** » قالت فلانة تذكر من صلاتها قال « **مه عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا** » وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه.

وفي الصحيحين [(٢)] عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : « دخل النبي ﷺ

(١) البخاري برقم (٤٣) ومسلم برقم (٧٨٥) .
(٢) البخاري برقم (١١٥٠) ومسلم برقم (٧٨٤) .

فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال : ما هذا الحبل ؟، قالوا: هذا حبل لزينب ، فإذا فترت تعلقت ، فقال النبي ﷺ : « **لا ، حلوه ، ليصلِّ أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد** » .

ومن أسباب الوقوع في الكسل نسيان الموت والدار الآخرة ، ولهذا قال بعض السلف: من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة وقناعة القلب ، ونشاط العبادة ، ومن نسيه عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة ، وترك الرضا بالكفاف ، والتكاسل في العبادة.[1]

ومن أسباب الوقوع في الكسل صحبة الكسالى .

لا تصحب الكسلان في حالاته　　كم صالح بفساد آخر يفسد

عدوى البليد إلى الجليد سريعة　　كالجمر يوضع في الرماد فيخمد

كما أن هناك أسبابًا للتخلص من الكسل: فمن ذلك :

الاستعاذة بالله من الكسل ، ففي الصحيحين [2] عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول : « **اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم ، والمأثم والمغرم ، ومن فتنة القبر وعذاب القبر ، ومن فتنة النار وعذاب النار ، ومن شر فتنة الغنى ، وأعوذ بك من فتنة الفقر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، اللهم اغسل عني خطاياي بماء الثلج والبرد ، ونق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس ، وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب** » .

ومن أسباب التخلص من الكسل أن يعلم المسلم أن دين الإسلام

---

(١) فيض القدير ج٢(١٠٩) .

(٢) البخاري برقم (٦٣٦٨) ومسلم برقم (٨٥٩) .

دين عمل وجد في كل الأوقات ، وانظروا عباد الله إلى الصحابة كيف جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، وضحوا بكل غالٍ ونفيس ، وهم الذين كانوا يقولون:

نحن الذين بايعوا محمدًا ... على الجهاد ما بقينا أبدًا

فقد ترى الرجل موهوبًا ونابغة ، فيأتي الكسل فيخذل همته ، ويمحق موهبته ، ويطفئ نور بصيرته ، ويشل طاقته .

قال الفراء: لا أرحم أحدًا كرحمتي لرجلين ، رجل يطلب العلم ولا فهم له ، ورجل يفهم ولا يطلبه ، وإني لأعجب ممن في وسعه أن يطلب العلم ولا يتعلم .

قال المتنبي:

ولم أر في عيوب الناس شيئًا ... كنقص القادرين على التمام (١)

ولله در من قال:

احرص على كل علم تبلغ الأملا ... ولا تواصل لعلم واحد كسلا

النحل لما رعت من كل فاكهة ... أبدت لنا الجوهرين الشمع والعسلا

فالشمع بالليل يستضاء به ... والشهد يبري بإذن الواحد العللا

---

(١) علو الهمة ص(٣٣٦) للمقدم .

وقال آخر:

كن رابط الجأش وارفع راية الأمل ... وسر إلى الله في جد بلا كسل

وإن شعــــرت بنقص فيك تعرفه ... فغذ روحـك بالقرآن واكتمل

قال ابن الجوزي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : و اعلم أنك في ميدان سباق ، والأوقات تنتهي ، و لا تخلد إلى كسل ، فما فات مات إلا بالكسل ، و لا نال من نال إلا بالجد و العزم ، و إن الهمة لتغلي في القلوب غليان ما في القدور .(١)

نسأل الله أنفة من الرذائل ، وهمة في الفضائل ، ويقظة تامة تصرف عنا رقاد الغفلات ، وعملًا صالحًا نأمن معه من الندم عند الممات ، إنه سميع مجيب الدعوات .

والحمد لله رب العالمين.

(١) صيد الخاطر ص (٢٣١) .

٨ ذم اتباع الهوى

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

فيا أيها المسلمون: إن مما يجب الحذر منه اتباع الهوى ، فالهوى عدو

كبير للإنسان ، ولهذا حذر الله العباد من اتباع الهوى ، وبين أضراره وعواقبه السيئة.

والمراد بالهوى: هو ميل النفس إلى الشهوة؟ .

وسمي الهوى هوى لأنه يهوي بصاحبه إلى النار. (١)

وأصل الهوى الهوان كما قال الشاعر:

إن الهوان هو الهوى قُلب اسمه فـإذا هويت فقد لقيت هوانا

وسئل ابن المقفع: عن الهوى ، فقال : هوان سُرقت نونه فأخذه شاعر فنظمه وقال:

نون الهـوان من الهوى مسروقة فـإذا هويت فقد لقيت هوانا

أيها المسلمون: ولقد ذم الله - عَزَّوَجَلَّ - اتباع الهوى وحذر من أصحاب الأهواء قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء :١٣٥] .

وقال تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة :٧٧] .

وقال تعالى ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم

(١) تفسير القرطبي ج٢(٢٥) .

بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة :٤٩] .

وقال تعالى ﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الجاثية :١٨] .

وقال تعالى: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [الشورى :١٥٩] .

وقال تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾ [الكهف :٢٨] .

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشۡهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشۡهَدۡ مَعَهُمۡۚ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴾ [الأنعام :١٥٠] .

عباد الله : إن اتباع الهوى سبب للصمم والعمى قال الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ–: ﴿ لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ رُسُلٗاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ ٧٠ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٧١ ﴾[المائدة :٧٠-٧١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– : وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصمه ، فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك ولا يطلبه ، ولا يرضى لرضا الله ورسوله ، ولا يغضب لغضب الله ورسوله ، بل يرضى إذا حصل ما

يرضاه بهواه ، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه... [(١)]

واتباع الهوى سبب للوقوع في الضلال،قال تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴾[ص :٢٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص :٥٠] .

واتباع الهوى سبب للوقوع في الردى قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ [طه :١٥-١٦] .

ومعنى قوله تعالى: ﴿ فَتَرۡدَىٰ ﴾ أي تهلك وتعطب ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴾ [الليل :١١] .

وقال تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف :١٧٥-١٧٦] .

وثبت عند البزار [(٢)] عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال :قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **ثلاث مهلكات ، و ثلاث منجيات ، فقال : ثلاث مهلكات : شح مطاع و هوىً متبع وإعجاب المرء بنفسه ، و ثلاث منجيات : خشية الله في**

(١) منهاج السُّنَّة النبوية ج٥(٢٥٦) .

(٢) البزار برقم (٢٧٩٢) والصحيحة برقم (١٨٠٢) وقد جاء عن عدة من الصحابة.

السر والعلانية ، والقصد في الفقر و الغنى، والعدل في الغضب و الرضا».

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أنتم في زمان يقود الحق الهوى، وسيأتي زمان يقود الهوى الحق فنعوذ بالله من ذلك الزمان. (١)

عباد الله: والهوى إله يُعبد من دون الله ، قال الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية :٢٣] .

قال الحسن البصري– رَحِمَهُ اللَّهُ –:هو المنافق لا يهوى شيئًا إلا ركبه. (٢)

وقال – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – : ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ [الفرقان :٤٣] .

وقال بعض السلف – رَحِمَهُ اللَّهُ – : شر إله عُبد في الأرض الهوى. (٣)

ولله در من قال:

إن الهوى لهو الهوان بعينه فإذا هويت فقد لقيت هوانا
وإذا هويت فقد تعبدك الهوى فاخضع لحبك كائنًا من كانا

قال عبد الله بن المبارك –رحمه الله– :

ومن البلايا للبلاء علامة أن لا يرى لك عن هواك نزوع
العبد عبد النفس في شهواتها والحر يشبع تارة ويجوع

(١) تفسير القرطبي ج١٩(٢٠٨) .
(٢) صفة النفاق وذم المنافقين برقم (٤٣) للفريابي وسنده صحيح.
(٣) الهوى وأثره في الخلاف ص (٢٣) للغنيمان .

واتباع الهوى سبب في ظلمة القلب ، ولهذا قال أبو بكر الوراق : أصل غلبة الهوى مقاربة الشهوات ، فإذا غلب الهوى أظلم القلب ، وإذا أظلم القلب ضاق الصدر ، وإذا ضاق الصدر ساء الخُلق ، وإذا ساء الخُلق أبغضه الخَلق ، وإذ أبغضه الخَلق أبغضهم ، وإذا أبغضهم جفاهم ، وإذا جفاهم صار شيطانًا رجيمًا. (١)

واتباع الهوى يصد عن الحق ، قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :إن أخوف ما أتخوف عليكم اثنتين ، طول الأمل ، واتباع الهوى ، فأما طول الأمل فينسي الآخرة ، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق ، ألا وإن الدنيا قد ولت مدبرة ، والآخرة مقبلة ، ولكل واحدة منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغدًا حساب ولا عمل. (٢)

وقال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد -رَحِمَهُ اللَّهُ- : والهوى لا ضابط له، وهو مدعاة لمعارضة الحق أبدًا.

واتباع الهوى سبب للوقوع في الأخلاق القبيحة ، ولهذا يقول الإمام الماوردي -رَحِمَهُ اللَّهُ- : وأما الهوى فهو عن الخير صاد ، وللعقل مضاد ؛ لأنه يُنتج من الأخلاق قبائحها ، ويُظهر من الأفعال فضائحها ، ويجعل ستر المروءة متهوكًا ، ومدخل الشر مسلوكًا. (٣)

وقال العلامة ابن الجوزي -رَحِمَهُ اللَّهُ- : واعلم أن الهوى يسري بصاحبه في فنون ، ويخرجه من دار العقل إلى دائرة الجنون. (٤)

---

(١) ذم الهوى ص (٢٩) لابن الجوزي .
(٢) فضائل الصحابة برقم (٨٨١) للإمام أحمد تحقيق شيخنا وصي الله عباس حفظه الله .
(٣) أدب الدنيا والدين ص (٢٠) للماوردي .
(٤) ذم الهوى ص (١٦) لابن الجوزي .

وقال بعض السلف : الهوى مطية الفتنة ، والدنيا دار المحنة ، فاترك الهوى تسلم .[١]

نسأل الله – جَلَّ وَعَلَا – أن يسلمنا من اتباع الهوى ، وأن يجنبنا البلايا والردى ، والحمد لله رب العالمين .

(١) ذم الهوى ص (٣٨) لابن الجوزي .

الخطبة الثانية :

الحمد لله الرب العظيم ، الرؤوف الرحيم ، ذي الفضل العظيم ، والإحسان العميم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، الذي قال الله فيه ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم في هديهم القويم.

أما بعد:

أيها المسلمون: يقول الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات:٣٧-٤١] .

ألا وإن مما يوقع الإنسان في اتباع الهوى الجهل بالله قال الله تعالى: ﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [الروم:٢٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأنعام:١١٩] .

قال سهل بن عبدالله التستري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : ترك الهوى مفتاح الجنة، لقوله - عَزَّوَجَلَّ -: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ (١) .

---

(١) تفسير القرطبي ج١٩(٢٠٨) .

وقال أبو سليمان الداراني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : أفضل الأعمال خلاف هوى النفس.[١]

قال عبيد الطوسي :

والنفس إن أعطيتها مناها فاغرة نحو هواها فاها

وقال ابن دريد -رحمه الله- :

إذا طالبتك النفس يومًا بشهوة وكان إليها للخلاف طريق
فدعها وخالف ما هويت فإنما هواك عدو والخلاف صديق

أيها المؤمنون : كما أن هنالك أسبابًا للوقوع في اتباع الهوى فهنالك أسباب للتخلص من الوقوع في الهوى فمن ذلك :الاستعاذة بالله من الهوى فعند الترمذي [٢] عن قطبة بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : كان النبي ﷺ يقول: « **اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء** » .

وفي مُسند الإمام أحمد[٣] عن أبي برزة الأسلمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : « **إن مما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ، ومضلات الفتن** » .

ومن أسباب التخلص من الهوى البعد عن مجالسة أصحاب الأهواء، فإن القلوب ضعيفة والشبهات خطافة.

ولهذا قال بعض السلف: احذروا من الناس صنفين: صاحب هوى فتنه هواه ، وصاحب دنيا أعجبته دنياه.

(١) السير ج١٠(١٨٣) .
(٢) صحيح الترمذي برقم (٣٥٩١) .
(٣) أحمد برقم (١٩٧٧٢) .

وقال أبو قلابة –رَحِمَهُ ٱللَّهُ–: لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون. (١)

وقال آخر: احذروا فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون.

أيها المسلمون: من أطاع هواه أعطى عدوه مناه، ولله در من قال:

إني ابتليت بأربع ما سلطوا إلا لشدة شقوتي وعنائي

إبليس والدنيا ونفسي والهوى كيف الخلاص وكلهم أعدائي

قال وهب بن منبه –رَحِمَهُ ٱللَّهُ–: إذا شككت في أمرين ولم تدر خيرهما فانظر أبعدهما من هواك فأته. (٢)

فاتباع الهوى سبب لنزول البلاء، ولهذا قال بشر الحافي –رَحِمَهُ ٱللَّهُ–: البلاء كله في هواك، والشفاء كله في مخالفة هواك.

وقال بعضهم: هواك داؤك، فإن خالفته فدواؤك.

عباد الله: إن الذي يحب الله ورسوله ﷺ حقًا وصدقًا، فإنه يقدم طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ على هوى نفسه وملذاتها، يقدم طاعة الله على حب الأهل والأولاد والأوطان والأموال، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

(١) سُنن الدارمي برقم (٣٩١) تحقيق حسين سليم أسد.
(٢) تفسير القرطبي ج١٦ (١٦٨).

وقال تعالى ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥] .

وفي الصحيحين [١] عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:قال النبي ﷺ : «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**» .

ويجب أن نعلم إخوة الإيمان أن فعل المعاصي إنما تقع بسبب تقديم الهوى على محبة الله ورسوله ﷺ ، فتارك الصلاة إنما تركها إتباعا لشهوته وميلًا لهواه ، قال الله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم:٥٩] .

قال ابن القيم[٢] -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى- أركان الكفر أربعة: الكبر والحسد والغضب والشهوة فالكبر يمنعه الانقياد، والحسد يمنعه قبول النصيحة وبذلها، والغضب يمنعه العدل، والشهوة تمنعه التفرغ للعبادة.

وقال -رَحِمَهُ اللَّهُ- : من أراد صفاء قلبه ، فليؤثر الله على شهوته.

وقال -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى-: أيضًا القلوب متعلقة بالشهوات محجوبة عن الله بقدر تعلقها بها . [٣]

نسأل الله تعالى أن يصلح أحوالنا وأحوال المسلمين ، وأن يدفع عنا وعنهم كل نقمة ومصيبة ، اللهم إنا نسألك لأمة الإسلام عزًا وتمكينًا ، ولأمة الضلال والكفر خزيًا وتفريقًا.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) البخاري برقم (١٥) ومسلم برقم (٤٤) .
(٢) فوائد الفوائد ص(٢٨٨) .
(٣) فوائد الفوائد ص(٢٦٢) .

٩ البدعة و خطرها

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون: إن البدعة خطرها كبير في الدين ، وضررها عظيم ،

فالواجب على كل مسلم أن يتبع الكتاب والسُّنَّة وأن يحذر من الوقوع في البدعة قال الله تعالى: ﴿ الٓمٓصٓ ١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣ ﴾ [الأعراف:١-٣] .

وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[الأنعام:١٥٣].

قال مجاهد بن جبر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : في قوله ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ ﴾ هي البدع والشبهات .[١]

والمبتدع يجعل نفسه شريكًا لله في تشريعه ، قال تعالى: ﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[الشورى :٢١] .

وقال تعالى: ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴾ [يونس :٣٢] .

والبدعة ضلالة ولهذا جاء في صحيح مسلم [٢] عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا قال : « **كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه ، وعلا صوته واشتد غضبه ، حتى كأنه منذر جيش يقول : صبحكم ومساكم ، ويقول : بعثت أنا والساعة كهاتين ، ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى ، ويقول: أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة ، ثم يقول : أنا أولى بكل مؤمن من نفسه ، من ترك مالًا فلأهله ، ومن ترك دينًا أو ضياعًا فإلي وعلي** » .

---

(١) تفسير الطبري ج٩(٦٧٠).
(٢) مسلم برقم (٨٦٧) .

وقوله ﷺ: « **وكل بدعة ضلالة**» من ألفاظ العموم يشمل جميع البدع .

وعند أبي داود [(١)] عن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب ، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟ ، فقال : « **أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإن عبدًا حبشيًا ، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء المهديين الراشدين ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة** » .

ولهذا قال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنًا. [(٢)]

والبدعة سبب في رد العمل على صاحبه ففي الصحيحين [(٣)] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : قال رسول الله ﷺ : « **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه ، فهو رد** » .

وفي رواية لمسلم : «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا ، فهو رد** » .

وصاحب البدعة يتهم الإسلام بالنقص قال الله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة :٣] .

قال الإمام مالك بن أنس- رَحِمَهُ ٱللَّهُ -:من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمدًا ﷺ قد خان الرسالة ، وذلك لأن الله يقول: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة :٣] .

(١) صحيح أبي داود برقم (٤٦٠٧) .
(٢) السُنَّة لمحمد بن نصر رقم (٨٣) .
(٣) البخاري برقم (٢٦٩٧) و مسلم برقم (١٧١٨) .

فما لم يكن يومئذٍ دينًا لا يكون اليوم دينًا ، والمبتدع أيضًا قد جانب سُنَّة النبي ﷺ ببدعته فهو في شق ورسول الله ﷺ في شق آخر ولهذا يقول الله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء :١١٥] .

فحب الرسول ﷺ بإتباعه والسير على نهجه، كما قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [آل عمران :٣١] .

قال ابن كثير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلا لَيْسَ عليه أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**» ولهذا قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [آل عمران :٣١] أي: يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول، كما قال بعض الحكماء العلماء: ليس الشأن أن تُحِبّ، إنما الشأن أن تُحَبّ وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية، فقال: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [آل عمران :٣١] . (١)

والبدعة أضرارها عديدة ، فهي تضر بعقيدة المسلم ، وتسبب الفرقة وتورث العداوة والبغضاء ، وتحل محل السُّنَّة ، وتمزق صفوف الأمة ، وتسلب الورع من صاحبها ، وتظلم القلب وتورث الذل .

(١) تفسير ابن كثير ج١(٣٣٨) .

قال العلامة ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : فإن البدع تستدرج بصغيرها إلى كبيرها حتى ينسلخ صاحبها من الدين كما تنسل الشعرة من العجين، فمفاسد البدع لا يقف عليها إلا أرباب البصائر والعميان ضالون في ظلمة العمى ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [النور:٤٠] . (١)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : والبدعة مقرونة بالفرقة، كما أن السُّنَّة مقرونة بالجماعة ، فيقال أهل السُّنَّة والجماعة ، كما يقال أهل البدعة والفرقة . (٢)

وقال تلميذه ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : فصاحب السُّنَّة حي القلب مستنيره ، وصاحب البدعة ميت القلب مظلمه . (٣)

وقال حسان بن عطية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سُنتهم مثلها ، ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة. (٤)

وقال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : القلوب إذا اشتغلت بالبدع أعرضت عن السُنن. (٥)

وما أعظم اتباع الصحابة للنبي ﷺ فقد ثبت عند الطبراني في الكبير(٦) عن عمرو بن زرارة قال : وقف علي عبد الله و أنا أقص في المسجد ، فقال : يا عمرو لقد ابتدعتم بدعة ضلالة ، أو أنكم لأهدى من محمد ﷺ

---

(١) مدارج السالكين ج١(٢٣٩) .
(٢) اجتماع الجيوش لإسلامية ص (٧) .
(٣) الاستقامة ج١(٤٢) .
(٤) سُنن الدارمي ج١(٤٥) وصححه الألباني في المشكاة برقم (٤٩) .
(٥) إغاثة اللهفان ج١(٢١٣) .
(٦) الطبراني في الكبير برقم (٨٦٣٧)وصححه العلامة الألباني في الترغيب والترهيب برقم (٦٠).

وأصحابه ، ولقد رأيتهم تفرقوا عني حتى رأيت مكاني ما فيه أحد» .

نسأل الله أن يرد الأمة إلى السُّنَّة الصحيحة الصافية، وأن يجنبنا البدع وما ظهر منها وما بطن ، وأن يثبتنا على السُنن ويبعد عنا البلاء والمحن.

والله أعلم.

الخطبة الثانية :

الحمد لله أكمل لنا الدين ، وأتم علينا النعمة ، أحمده سبحانه وأشكره على نعمه الجمة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، بعثه الله رحمة للعالمين ومنارًا للسالكين وقدوة للخلق أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله الأخيار ، وأصحابه الأبرار ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد:

فيا أيها المسلمون: إن من عظيم توفيق الله للعبد أن يحبب إليه السُّنَّة، ويكره إليه البدعة، والبدعة أضرارها لا تعد ولا تحصى ، فمن أضرارها أن صاحبها غالبًا لا يتوب منها ، بخلاف المعصية فإنه قد يتوب منها .

عباد الله: ومن أضرار البدعة أن صاحبها محجوب عنه التوبة حتى يدع بدعته فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله ﷺ : « **إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته** » . (١)

وقال سفيان الثوري -رَحِمَهُ اللَّهُ- : البدعة أحب إلى إبليس من المعصية لأن المعصية يُتاب منها والبدعة لا يتاب منها.

فعلى المسلم أن يلازم السُّنَّة ويتمسك بها ، ويجانب البدعة ويحذر منها قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اقتصاد في سُنَّة خير من اجتهاد في بدعة. (٢)

ولا يجوز لإنسان أن يوقر أهل البدع ، ولهذا قال الفضيل بن عياض -رَحِمَهُ اللَّهُ- : من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام ، ومن زوج كريمته لصاحب بدعة فقد قطع رحمها ، ومن انتهر صاحب بدعة

(١) الطبراني في الأوسط برقم (٤٢٠٢) صحيح الترغيب برقم (٥٤) .
(٢) الطبراني في الكبير ج١٠(٢٠٩) وصحيح الترغيب برقم (٤١) .

ملأ الله قلبه أمنًا وإيمانًا. [١]

فأهل البدع كالرافضة والصوفية هم أعداء السُنن ، وقد قال عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السُنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا . [٢]

ومن أضرار البدع أنها سبب لاستحلال الدماء ، فقد قال أبو قلابة -رَحِمَهُ اللَّهُ- : ما ابتدع رجل بدعة ألا استحل السيف. [٣]

وهذا يدل على عظم البدعة وخطورتها ، ولهذا يقول الإمام ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ- : ولهذا كانت البدعة قرينة الشرك في كتاب الله تعالى قال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣]، فالإثم والبغي قرينان والشرك والبدعة قرينان. [٤]

والبدعة إنما تظهر عند وجود الجهل وقلة العلم ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ- [٥] : « فإذا انقطع عن الناس نور النبوة وقعوا في ظلمة الفتن وحدثت البدع والفجور ووقع الشر بينهم».

ومن البدع التي انتشرت في مجتمعاتنا بدعة الاحتفال بالمولد النبوي والاحتفال بمولد النبي ﷺ بدعة لم يفعله النبي ﷺ ولا صحابته الكرام ي ولم يفعل في القرون المفضلة ولو كان خيرًا لسبقونا إليه.

وكل خير في اتباع من سلف   وكل شر في ابتداع من خلف

(١) مجموع الفتاوى ج١١(٦٠٠) .
(٢) رواه الدار قطني ج٤(١٤٦) .
(٣) سُنن الدارمي ج١(٤٥) .
(٤) إغاثة اللهفان ج١(٦٣) .
(٥) الفتاوى ج١٧(٣١٠) .

وإنما أحدثته الدولة العبيدية ، لما حكمت مصر في القرن الرابع.

والاحتفال بالمولد النبوي إنما هو من باب التقليد للنصارى الذين يحتفلون بمولد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ وفي صحيح البخاري [٦] عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال على المنبر سمعت النبي ﷺ يقول : « **لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله** » .

ومن البدع المحدثة إحياء ليلة السابع والعشرين من رجب بحجة أنها ليلة الإسراء والمعراج وغيرها من البدع التي أحدثها الناس.

ورضي الله عن عبد الله بن مسعود القائل : « اتبعوا ولا تبتدعوا ، فقد كفيتم عليكم بالأمر العتيق » . [٧]

قال الشيخ الفوزان –حفظه الله– : إن البدع مع أنها حدث في الدين وتغيير للملة ، فهي آصار وأغلال ، تضاع فيها أوقات ، وتنفق فيها أموال، وتتعب فيها أجسام ، وتبعد من الجنة وتقرب من النار ، وتوجب سخط الله ومقته ، ولكن أهل الغي والضلال لا يفقهون ، وفي طغيانهم يعمهون لا يزيدهم عملهم عن الله إلا بُعدًا ، ولا اجتهادهم وتعبهم إلا مقتًا وردًا.[٨]

نسأل الله – عَزَّوَجَلَّ – أن يحيينا على سُنَّة رسول الله ﷺ ، وأن يميتنا عليها ، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

اللهم استرنا بسترك الجميل في الدنيا والآخرة ، اللهم أنت ملاذنا إذا ضاقت الحيل وملجؤنا إذا انقطع الأمل اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين.

والحمد لله رب العالمين.

---

(٦) البخاري برقم (٣٤٤٥) .
(٧) مناسك الحج والعمرة ص (٤٤) للألباني –رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى–.
(٨) الخطب النبرية ج٢(٦٥) .

١٠ الكبر وآثاره السيئة

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون: حديثنا في هذه الجمعة المباركة إن شاء الله ، سيكون

عن الكبر وآثاره السيئة .

عباد الله الكبر آفة خطيرة وخصلة ذميمة قل من يسلم منها ففي صحيح مسلم [(١)] عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :قال النبي ﷺ : «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن ، الفخر في الأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة ، وقال:النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب** » .

و في مُسند أبي يعلى [(٢)] عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ : « **ثلاث لا يزلن في أمتي حتى تقوم الساعة : النياحة ، والمفاخرة في الأنساب ، والأنواء**».

والناس يختلفون في الكبر فمنهم من يتكبر بجماله وثيابه ، ومنهم من يتكبر بوظيفته وماله ، ومنهم من يتكبر بعلمه ، ومنهم من يتكبر بسلطانه وجاهه ، ومنهم من يتكبر بعبادته وطاعته ، وأشدها الكبر بالعلم ، قال بعض السلف: طغيان العلم أعظم من طغيان المال.

والتكبر يدل على نقصان عقل صاحبه قال محمد بن الحسن بن علي -رَحِمَهُ اللَّهُ- : ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر قط إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك ، قل أو كثر.

والكبر معناه في اللغة: العظمة والتجبر.

وفي الاصطلاح: بطر الحق ، وغمط الناس ، ومعنى بطر الحق أي رده ودفعه ، وغمط الناس أي: احتقارهم وازدراؤهم.

---

(١) مسلم برقم (٩٣٤) .
(٢) مُسند أبي يعلى برقم (٣٩١١) والجامع الصحيح للوادعي ج٢(٢٤٧) .

والكبر على أقسام ثلاثة:

١- كبر على الله - عَزَّوَجَلَّ - .

٢- كبر على رسول الله ﷺ.

٣ - كبر على عباد الله.

فأما الكبر على الله - عَزَّوَجَلَّ - فهو أعظمها جرمًا وأشدها إثمًا، ولهذا أمثلة كثيرة في القرآن، قال الله تعالى: عن فرعون أنه قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات :٢٤] .

وقال النمرود لإبراهيم عليه السلام ﴿قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة :٢٥٨] .

وقال كفار قريش لما قيل لهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا﴾ [الفرقان :٦٠] .

وأما التكبر على الرسل فهو كقول فرعون ومن معه: ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ [المؤمنون :٤٧] .

وقال تعالى مخبرًا عنه أنه قال: ﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الزخرف :٥١] .

وكان ابن الجوزي -رَحِمَهُٱللَّهُ- يقول: يفتخر فرعون مصر بنهر ما أجراه ما أجراه.[1]

كما قال الله - عَزَّوَجَلَّ - عن بني إسرائيل: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ

---

(١) السير ج٢١(٣٧٢) .

وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة :٧٨] .

وكقول كفار قريش: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾[الفرقان :٢١] .

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف :٣١] . وأما التكبر على الناس فهو احتقارهم ، وهو حرام كما سيأتي ذكر الأدلة على ذلك.

والكبر على درجات:

الدرجة الأولى: أن يكون الكبر مستقرًا في قلب الإنسان ، فهو يرى نفسه خيرًا من غيره ، إلا أنه يجتهد ويتواضع ، فهذا في قلبه شجرة الكبر مغروسة إلا أنه قد قطع أغصانها .

الثانية: أن يظهر ذلك بأفعاله من الترفع في المجالس والتقدم على الأقران ، والإنكار على من يقصر في حقه ، وربما صعر خده للناس.

الثالثة: أن يظهر الكبر بلسانه كالمفاخرة بالنسب وتزكية النفس قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : يقول الرجل للرجل أنا أكرم منك ، وليس أحد أكرم من أحد إلا بالتقوى ، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات :١٣] .

وقد وردت الأدلة الكثيرة من كتاب ربنا وسُنَّة نبينا محمد –عليه الصلاة والسلام– في ذم الكبر ونتائجه الوخيمة ، قال الله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟

بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾[الأعراف :١٤٦] .

قال سفيان بن عُيَينه: في قوله: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ قال: أنزع عنهم فهم القرآن ، وأصرفهم عن آياتي.(١)

وقال بعض العلماء : لا ينال العلم مستحٍ ولا مستكبر.

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان :١٨] .

والمرح الاختيال والكبر وقد ثبت عند الإمام أحمد (٢) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**من تعظم في نفسه أو اختال في مشيته ، لقي الله وهو عليه غضبان** » .

وقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ دليل على أن الله –عَزَّوَجَلَّ– يبغض المتكبر المختال، فقد جاء عند الإمام الترمذي (٣) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أن رسول الله ﷺ قال : « **إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة الثرثارون ، والمتشدقون ، والمتفيهقون**» قالوا : يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون ؟ قال : «**المتكبرون**» .

وصدق الله رب العالمين القائل في كتابه الكريم: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [النحل :٢٣] .

وقال –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص :٨٣] .

---

(١) تفسير ابن كثير ج٢(٢٣٧) .
(٢) أحمد برقم (٥٩٩٥) .
(٣) صحيح الترمذي برقم (٢٠١٨) .

وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴾ [غافر :٣٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر :٦٠] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴾ [الإسراء :٣٧] .

وقال تعالى عن موسى عليه السلام : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [غافر :٢٧] .

وثبت عند الإمام أحمد في مُسنده (١) عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: التقى عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص على المروة فتحدثا ، ثم مضى عبد الله بن عمرو وبقي عبد الله بن عمر يبكي ، فقال له رجل : ما يبكيك يا أبا عبدالرحمن ، قال : هذا يعني عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « **من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ، أكبه الله على وجهه في النار** ».

وفي صحيح مسلم (٢) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر** » ، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة ، **قال : إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس**» .

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ

---

(١) أحمد برقم (٧٠١٥) وصححه شيخنا الوادعي في الصحيح المُسند برقم (٨٠٠).
(٢) مسلم برقم (٩١) .

: « **قال الله : العز إزاره والكبرياء رداؤه ، فمن ينازعني عذبته** » . [(١)]

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: « **تحاجت الجنة والنار فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ، وقالت الجنة :فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وغرتهم ؟ ، قال الله للجنة: إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي ، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ، ولكل واحدة منكما ملؤها ، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله -تبارك وتعالى- رجله ، تقول : قط قط فهنالك تمتلئ ويزوي بعضها إلى بعض ، ولا يظلم الله من خلقه أحدًا ، وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقا** » . [(٢)]

وفي سُنن الترمذي[(٣)] عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ: «**يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصـران ، وأذنان تسمعان ، ولسان ينطق يقول : إني وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد ، وبكل من دعا مع الله إلها آخر ، وبالمصورين** » .

وفي صحيح مسلم[(٤)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر » والعائل: هو الفقير .

قال بعض العلماء : التواضع في الخلق كلهم حسن ، وفي الأغنياء أحسن ، والتكبر في الخلق كلهم قبيح ، وفي الفقراء أقبح.

أقول ما سمعتم ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين ، من كل ذنب إنه هو الغفور الرجيم.

(١) مسلم برقم (٢٦٢٠) .
(٢) مسلم برقم (٢٨٤٦) .
(٣) صحيح الترمذي برقم (٢٥٧٤) .
(٤) مسلم (١٠٦) .

الخطبة الثانية :

الحمد لله الكبير المتعال ، أحمده سبحانه ، له العزة الكاملة والجبروت والكبرياء والجلال ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسو ، له صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد:

فيا أيها المسلمون: لقد أخبرنا الله - جَلَّ وَعَلَا - عن أحوال المتكبرين وأنها أحوال مخيفة ، وأن عذابهم شديد بداية من الموت فما بعده ، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾[الأنعام :٩٣] .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف :٤٠] .

وهكذا أحوالهم يوم القيامة ، قال الله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ

وَنَجْعَلُ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سبأ :٣١-٣٣] .

وقال تعالى ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَـٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الزمر :٥٦-٦٠] .

وفي سُنن الترمذي [(١)] عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ قال : « **يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس، تعلوهم نار الأنيار ، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال** » ومعنى نار الأنيار: أي شدة النار .

وهكذا أحوالهم في نار جهنم، قال تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَاۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَـٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الزمر :٧١-٧٢] .

وفي الصحيحين [(٢)] عن حارثة بن وهب الخزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت النبي ﷺ يقول : « **ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف ، لو أقسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار ،كل عُتل جوا ظ مستكبر** » .

(١) صحيح الترمذي برقم (٢٤٩٢) .
(٢) البخاري برقم (٤٩١٨) ومسلم برقم (٢٨٥٣).

والعتل هو الجافي الشديد الخصومة .

والجواظ هو الجموع المنوع.

ولقد أهلك الله الأمم السابقة بسبب كبريائها واستكبارها عن الحق وتكذيبها للرسل ، قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [فصلت :١٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت :٣٨- ٤٠] .

وقال تعالى عن قوم صالح -عَلَيْهِ السَّلَامُ- : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الأعراف :٧٥- ٧٨] .

وقال تعالى عن نوح -عَلَيْهِ السَّلَامُ- : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي

ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ﴾ [نوح :٥-٧] .

وقال تعالى عن قوم شعيب -عَلَيْهِ السَّلَامُ- : ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴾ [الأعراف :٨٨] .

وقال تعالى عن فرعون وقومه ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [القصص :٣٩-٤٢] .

أيها المسلمون: إن الكبر ركن من أركان الكفر، قال العلامة ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- (١) : أركان الكفر أربعة: الكبر والحسد والغضب والشهوة ، فالكبر يمنعه الانقياد، والحسد يمنعه قبول النصيحة وبذلها، والغضب يمنعه العدل، والشهوة تمنعه التفرغ للعبادة.

فليحذر المسلم من أن يتصف بهذه الصفة المقيتة وليبحث عن العلاج الذي يكون سببًا في بعده عنها واتصافه بالتواضع .

ومن الأسباب المعينة على ذلك:

١- أن يعرف الإنسان قدر نفسه وأحواله التي مر عليها ، قال الله تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ ﴾ [الطارق :٥-٧] .

(١) فوائد الفوائد ص(٢٨٨) .

وقال تعالى : ﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ ﴾ [عبس :١٧-٢٢] .

ولله در من قال:

لو فكر الناس فيما في بطونهم ... ما استشعر الكبر شبان ولا شيب

هل في ابن آدم مثل الرأس مكرمة ... وهو بخمس من الأقذار مضروب

أنف يسيل وأذن ريحها سهك ... والعين مرفضة والثغر ملعوب

يا ابن التراب ومأكول التراب غدًا ... أبصر فإنك مأكول ومشروب

قال الأحنف بن قيس : عجبت لمن جرى في مجرى البول مرتين ، كيف يتكبر ؟. (١)

٢- أن يعلم الإنسان أن كل نعمة عنده إنما هي من الله وحده، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴾ [النحل :٥٣] .

٣- مجالسة العارفين بالله قال العلامة ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- (٢):وقيل مجالسة العارف تدعوك من ست إلى ست من الشك إلى اليقين ومن الرياء إلى الإخلاص ومن الغفلة إلى الذكر ومن الرغبة في الدنيا إلى الرغبة في الآخرة ومن الكبر إلى التواضع ومن سوء الطوية إلى النصيحة.

٤- أن يتذكر أن هذه الصفة إنما هي صفة لله فالله -جل وعلى- هو

---

(١) أدب الدنيا والدين (٢٥٩) للماوردي.
(٢) المدارج ج٣(٣٧٨).

المتكبر وإذا تكبر الإنسان فقد نازع الله في هذه الصفة ، قال الله تعالى: « **العز إزاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعني عذبته** » . [(١)]

فعلى العبد أن يتواضع لله وينكسر بين يديه قال بعض العلماء : من وضع جبهته لله فقد برئ من الكبر.

ومن تواضع لله رفعه

وإن أفـادك إنسان بفائـدة ... من العلوم فلازم شكره أبـدًا

وقـل فـلان جـزاه الله صالحة ... أفا دنيها ودعك الكبر والحسدا

والحمد لله رب العالمين

(١) مسلم برقم (٢٦٢٠).

١١ الغفلة وعواقبها

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءًۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله: إن مما يجب الحذر منه والتنبه له الغفلة عن الله، قال

الشوكاني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : الغفلة هي الذهول عن الخير وعدم التنبه لما يجب التنبه له مما يجب على العبد ويحرم عليه.(١)

وقد أخبر الله - عَزَّوَجَلَّ - أن الكثير من الناس في غفلة ويعيشون في ظلامها قال الله تعالى: ﴿ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴾ [يونس :٩٢] .

وقد حذر الله - عَزَّوَجَلَّ - عباده من الوقوع في الغفلة قال الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف :٢٠٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف :١٧٢] .

ولخطورة الغفلة كان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله منها ففي صحيح ابن حبان (٢) عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : كان النبي ﷺ يدعو يقول : « **اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والبخل والهرم ، والقسوة والغفلة ، والذلة والمسكنة ، وأعوذ بك من الفقر والكفر ، والشرك والنفاق ، والسمعة والرياء ، وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون ، والبرص والجذام ، وسيء الأسقام** ».

والغفلة إنما هي من صفات الكافرين فلا يجوز للمسلم أن يتشبه بهم قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا

---

(١) تحفة الذاكرين ص (٤١٩) .

(٢) صحيح ابن حبان برقم (١٠٢٣) وصححه شيخنا الوادعي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- في الصحيح المُسند برقم (٣٩) وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان.

يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف:١٧٩] .

وقال تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [النحل:١٠٦-١٠٩] .

وقال تعالى: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [يس:٦] .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [يونس:٧-٨] .

وأعظم الغفلة ، الغفلة عن الموت والقبر والبعث والحساب قال الله تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [ق:١٩-٢٢] .

ولقد أحسن من قال:

تيقظ من منامك يا غفول فنومك بين رمسك قد يطول

تأهب للمنية حين تغدو عسى تمسي وقد نزل الرسول

وقال آخر:

وكم ساكن عند الصباح بقصره وعند المساء قد كان من ساكن القبر

فاحذر يا أيها الإنسان أن ينزل بك الموت ويحل بساحتك وأنت غافل مغرور.

نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليلك نوم والردى لك لازم

وتتعب فيما سوف تكره غبه كذلك في الدنيا تعيش البهائم

وقال الله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [مريم :٣٩] .

وفي الصحيحين (١) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله ﷺ : « **يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح ، فينادي مناد يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول : هل تعرفون هذا ، فيقولون : نعم هذا الموت ، وكلهم قد رآه ، ثم ينادي يا أهل النار فيشرئبون وينظرون ، فيقول : هل تعرفون هذا ، فيقولون : نعم هذا الموت ، وكلهم قد رآه فيذبح ، ثم يقول : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت ، ثم قرأ** ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ **وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا** ﴿ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ومعنى فيشرئبون: أي يرفعون رؤوسهم.

وقال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الروم :٧] .

وعند ابن حبان (٢) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ :

(١) البخاري برقم (٤٧٣٠) ومسلم برقم (٢٨٤٩) .
(٢) صحيح ابن حبان برقم (٧٢) وصحيح الجامع برقم (١٨٧٨) .

«إن الله يبغض كل جعظري جواظ ، سخاب بالأسواق ، جيفة بالليل حمار بالنهار عالم بأمر الدنيا جاهل بأمر الآخرة » .

ولله در من قال:

واعلم بأن من الرجال بهيمة　　في صورة الرجل السميع المبصر

فطن بكل مصيبة في ماله　　وإذا يصاب بدينه لم يشعر

وقال الحسن البصري -رَحِمَهُ اللَّهُ- : والله لبلغ من أحدهم بدنياه أنه يقلب الدرهم على ظفره، فيخبرك بوزنه، وما يحسن أن يصلي.(١)

وقال الله تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٤ ﴾ [الأنبياء:١-٤] .

وجاء عند الإمام النسائي(٢) عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ في قوله : ﴿ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ قال : « في الدنيا » .

قال أبو العتاهية -رحمه الله- :

الناس في غفلاتهم　　ورحا المنية تطحن

وقال آخر:

أما والله لو علم الأنام　　لما خلقوا لما هجعوا وناموا

---

(١) تفسير ابن كثير ج٣(٤١١) .
(٢) تفسير النسائي برقم (٣٥١) وسنده صحيح .

لقد خلقوا لأمر لو رأته عيون قلوبهم تاهوا وهاموا
ممات ثم قبر ثم حشر وتوبيخ وأهوال عظام
ليوم الحشر قد عملت رجال فصلوا من مخافته وصاموا
ونحن إذا أمرنا أو نهينا كأهل الكهف إيقاظ نيام

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء:٩٧].

وقد أحسن من قال:

يا غاديًا في غفلة ورائحا إلى متى تستحسن القبائحا
وكم إلى كم لا تخاف موقفا يستنطق الله به الجوارحا
يا عجبًا منك وأنت مبصر كيف تجنبت الطريق الواضحا
كيف تكون حين تقرأ في غد صحيفة قد حوت الفضائحا
وكيف ترضى أن تكون خاسرًا يوم يفوز من يكون رابحا

عباد الله : ومن الغفلة العظيمة الغفلة عن ذكر الله، قال الله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾ [الكهف:٢٨].

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف:٢٠٥] .

وثبت عند الحاكم [(١)] وغيره عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ، عن رسول الله ﷺ قال : « **من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين ، ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين** » .

فنسيان ذكر الله موت قلوبهم ... وأجسامهم فهي القبور الدوارس

وأرواحهم في وحشة من جسومهم ... ولكنها عند الخبيث أوانس

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : على قدر غفلة العبد عن الذكر ، يكون بعده عن الله. [(٢)]

وقال أيضًا فإن حجاب الهيبة لله -عَزَّوَجَلَّ- رقيق في قلب الغافل. [(٣)]

وقال أيضًا: فإن الغافل بينه وبين الله -عَزَّوَجَلَّ- وحشة ، لا تزول إلا بالذكر . [(٤)]

وقال أيضًا: في القلب خلة وفاقه ، لا يسدها شيء البته إلا ذكر الله -عَزَّوَجَلَّ- . [(٥)]

والحمد لله رب العالمين

---

(١) الحاكم ج١(٥٥٥-٥٥٦) والصحيحة برقم (٦٤٣) .
(٢) الوابل الصيب ص(٦٢) .
(٣) الوابل الصيب ص (٦٢) .
(٤) الوابل الصيب ص(٦٣) .
(٥) الوابل الصيب ص(٩١) .

الخطبة الثانية :

الحمد لله على إحسانه ، والشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، تعظيمًا لشانه ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، الداعي إلى رضوانه ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله حق التقوى ، وراقبوه في السر والنجوى ، واعلموا أن الغفلة التي خيمت على كثير من الناس لها أسباب منها:

السبب الأول :حب الدنيا ، قال الله تعالى: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾ [التكاثر :١] .

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [المنافقون :٩] .

وقال تعالى ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًاۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد :٢٠] .

قال ابن القيم –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– : ومحب الدنيا لا ينفك من ثلاث: همٌّ دائم، وتعب لازم ، وحسرة لا تنقضي .(١)

السبب الثاني: ترك صلاة الجمعة والجماعات، ففي صحيح مسلم(٢)

(١) إغاثة اللهفان :ج١(٣٧) .
(٢) مسلم برقم (٨٦٥) .

عن عبد الله بن عمر وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول على أعواد منبره « **لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات ، أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين** » .

وفي سُنن ابن ماجه [1] عن ابن عباس، وابن عمر ي أنهما سمعا النبي ﷺ يقول: على أعواده «**لينتهين أقوام عن ودعهم الجماعات، أو ليختمن الله على قلوبهم، ثم ليكونن من الغافلين**» .

السبب الثالث: الانشغال بمتابعة الصيد فعند الترمذي [2] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عن النبي ﷺ قال « **من سكن البادية جفا ، ومن اتبع الصيد غفل ، ومن أتى أبواب السلطان أفتتن** » .

أيها المسلمون: للغفلة عواقب سيئة في الدنيا والآخرة منها:

١ - نسيان الرحمة : فعند الترمذي [3] عن يسيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : قال لنا رسول الله ﷺ : « **عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس ، واعقدن بالأنامل فإنهن مسئولات مستنطقات ، ولاتغفلن فتنسين الرحمة** » .

فالغافل لا يرحم ولا يُرحم نسأل الله السلامة

٢ - الانتقام : قال الله تعالى: ﴿ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف :١٣٦] .

فأخبر سبحانه أنه انتقم منهم لسببين التكذيب والغفلة والتكذيب إنما هو من عواقب الغفلة ، ولهذا يقول عمر بن عبد العزيز -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : وجدت النقمة مع الغفلة. [4]

---

(١) صحيح ابن ماجه برقم (٦٤٦) .
(٢) صحيح الترمذي برقم (٢٢٥٦) .
(٣) صحيح الترمذي برقم (٣٥٨٣) .
(٤) تفسير ابن كثير ج٤(١٣٣) .

٣-صرف الغافل عن الاتعاظ والاعتبار بآيات الله : قال الله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف :١٤٦] .

قال سفيان بن عُيينة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : في قوله: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ قال: أنزع عنهم فهم القرآن، وأصرفهم عن آياتي. (١)

٤-الإهانة والتأنيب والتقريع والتوبيخ عند سكرات الموت لهذا الغافل : قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق :٢٢] .

٥-الطبع على القلب والسمع والبصر لأهل الغفلة : قال الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [النحل :١٠٨] .

٦-طمع العدو ومن ثم التعرض للغافلين : قال الله تعالى: ﴿ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ﴾ [النساء :١٠٢] ، وما أكثر غفلة المسلمين عن مخططات أعدائهم الإجرامية كفى الله المسلمين شرها .

٧- حرمان لذة العبادة : قال بعض السلف : مساكين أهل الغفلة خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها . (٢)

---

(١) تفسير ابن كثير ج٢(٢٣٧) .
(٢) إغاثة اللهفان ج٢(٢٨٤) .

٨-سهولة دخول الشيطان على الغافل: قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : فإن الذاكر في حصن الذِّكر، فمتى غفل فتح باب الحصن فولجه العدو فيعسر عليه أو يصعب إخراجه .(١)

٩-منع قبول دعاء الغافل :فعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **ادعوا الله تعالى وأنتم موقنون بالإجابة ، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه** » .(٢)

١٠-تضييع الفرائض والوقوع في الملاهي:قال ابن القيم-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: وجماع ذلك : أن يحاسب نفسه أولًا على الفرائض ، فإن تذكر فيها نقصًا تداركه إما بقضاء أو إصلاح ، ثم يحاسبها على المناهي ، فإن عرف أنه ارتكب منها شيئًا ، تداركه بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية ، ثم يحاسب نفسه على الغفلة ، فإن كان قد غفل عما خُلِقَ له ، تداركه بالذكر والإقبال على الله تعالى.(٣)

حتى متى ذا القلب ساهي عن كل ما يغنيه لاهي
والنفس معرضة عن القرآن سامعة الملاهي
إن الملاهي سوف ترمي سامعيها بالدواهي

وقال آخر:

يا راقد الليل مسرورًا بأوله إن الحوادث قد يطرقن أسحارا

(١) فوائد الفوائد (١٩١) .
(٢) الترمذي برقم (٣٤٧٩) الصحيحة برقم (٥٩٤) .
(٣) إغاثة اللهفان ج١(١٣٦) .

أفنى القرون التي كانت منعمة	كر الجديدين إقبـالًا وإدبـارا
كم قد أبادت صروف الدهر من ملك	قد كان في الدهر نفاعًا وضرارا
يا من يعانق دنيا لا بقاء لها	يمسي ويصبح في دنياه سفارا
هلا تركت من الدنيا معانقة	حتى تعانق في الفردوس أبكارا
إن كنت تبغي جنان الخلد تسكنها	فينبغي لك أن لا تأمن النارا

اللهم ارزقنا التوبة النصوح ، وأعذنا من القسوة والغفلة ، واعصمنا من الذنوب والمعاصي ، يا حي يا قيوم .

هذا وصلوا وسلموا رحمكم الله على سيد الأولين والآخرين ، كما أمركم الله رب العالمين،فقال تعالى قولًا كريمًا:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[الأحزاب :٥٦] .

١٢ الذلة و أسبابها وأسباب رفعتها عن الأمة

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أما بعد: أيها المسلمون فإنه غير خاف عليكم مدى الذل والضعف

الذي حل بالمسلمين وأصابهم ، مع أنهم في وقت العافية كانوا في قوة وعزة فنسأل الله الكريم ربَّ العرش العظيم أن يعيد للمسلمين مجدهم وعزتهم وشجاعتهم . وسيكون الحديث في هذه الخطبة المباركة بحول الله وقوته . عن الذلة ، وأسبابها ، وأسباب رفعتها عن الأمة .

عباد الله : الذلة هي الخضوع والاستكانة واللين .وضدها العزة : فإذا لم يعش المسلم عزيزًا بدينه فسوف يعش ذليلًا مهانًا.

والذلة لها عدة معان ، فمن معانيها:

١ - القلة قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران :١٢٣] .

٢- التواضع قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة :٥٤] .

وقال -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [الإسراء :٢٤] .

٣- السهولة :قال سبحانه: ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾ [الإنسان :١٤] .

وقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [يس :٧١-٧٢] .

والأصل أن الذلة من صفات اليهود اعداء الله أما المؤمنون فهم

الأعزاء الأقوياء قال الله تعالى: عن اليهود: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ٦١] .

وقال – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٢] .

وقال تعالى: ﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩] .

قال ابن كثير – رَحِمَهُ ٱللَّهُ –[١] : ﴿ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾ أي ذليلون حقيرون مهانون، فلهذا لا يجوز إعزاز أهل الذمة ولا رفعهم على المسلمين، بل هم أذلاء صغرة أشقياء .

ولقد كان السلف – رحمهم الله تعالى – كما قال إبراهيم بن يزيد النخعي: « كانوا يكرهون أن يستذلوا، فإذا قدروا عفوا » .[٢]

ولله در من قال :

لا تخضعن لمخلوق على طمع ... فإن ذلك نقص منك في الدين

(١) تفسير ابن كثير ج٤(٢٧٣) .
(٢) فتح الباري ج٥(٩٩) .

واســترزق الله مــما في خــزائنه فأمــر ربك بين الكــاف والنــون

ولو قال الشاعر فأمر ربك بعد الكاف والنون لكان أحسن .كما نبه عليه بعض أهل العلم .

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس :٨٢] .

أيها المؤمنون ، واعلموا رحمكم الله تعالى أن للذلة أسبابًا عديدة منها :

١- الشرك والكفر بالله : قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ﴾ [الأعراف :١٥٢] .

وقال الله تعالى : ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾ [البقرة :٦١] .

٢- البدعة : قال سفيان بن عيينة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- « كل صاحب بدعة ذليل» . (١)

٣- الكبر : فقد روى الإمام الترمذي في سُننه (٢) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا عن النبي ﷺ قال : « **يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال ، يغشاهم الذل من كل مكان، فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس ، تعلوهم نار الأنيار ، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال**».

(١) تفسير ابن أبي حاتم ج٤(١٩١) .
(٢) الترمذي برقم (٢٤٩٢) .

٤- ترك الجهاد في سبيل الله تعالى والإقبال على الدنيا : فقد ثبت في سُنن أبي داود [(١)] عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلًا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم** » .

قال الإمام الشوكاني -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى- [(٢)] : وسبب هذا الذل والله أعلم أنهم لما تركوا الجهاد في سبيل الله الذي فيه عز الإسلام وإظهاره على كل دين عاملهم الله بنقيضه، وهو إنزال الذلة فصاروا يمشون خلف أذناب البقر بعد أن كانوا يركبون على ظهور الخيل التي هي أعز مكان.

وجاء في صحيح البخاري [(٣)] عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال ورأى سِكةً وشيئًا من آلة الحرث فقال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا يدخل هذا بيت قوم إلا أدخله الله الذل**» والسكة بكسر السين ، الحديدة التي يحرث بها الأرض.

٥-النفاق : قال الله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون :٨] .

٦- ارتكاب الذنوب والمعاصي :قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [يونس :٢٧] .

وروى الإمام أحمد [(٤)] عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ :

(١) سُنن أبي داود برقم (٣٤٦٢) .
(٢) نيل الأوطار ج٥(٢٦٨) .
(٣) البخاري برقم (٢٣٢١) .
(٤) مُسند الإمام أحمد برقم (٥١١٤) صحيح الجتامع برقم (٢٧٣١) .

«بُعثت بالسيف حتى يُعبد الله لا شريك له، وجُعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم».

قال ابن المبارك -رحمه الله تعالى- :

رأيت الذنوب تميت القلوب … وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب … وخير لنفسك عصيانها

وهل أفسد الدين إلا الملوك … وأحبار سوء ورهبانها

قال الحسن البصري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- : إنهم وإن طقطقت بهم البغال، وهملجت بهم البراذين، إن ذل المعصية لا يفارق قلوبهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه.(١)

والبرذون هو الفرس غير الأصيل والمعنى حتى ولو سمع أصوات حوافرها ومشيت بهم البغال مشيًا سريعًا ، فإن ذل المعصية لا تفارق قلوب الظلمة .

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [الحج :١٨] .

قال سليمان بن طرخان -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- : « إن الرجل ليذنب الذنب، فيصبح وعليه مذلته».(٢)

٧- الظلم: قال الله تعالى: ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾ [الشورى :٤٥] .

---

(١) الجواب الكافي ص(٧٧) .
(٢) سير أعلام النبلاء ج٦(٢٠٠) .

وقال الله تعالى: ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المعارج :٤٢-٤٤] .

٨- التعرض للبلاء ولا طاقة للإنسان بذلك .

ثبت عند الترمذي [(١)] عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه** » ، قالوا: وكيف يذل نفسه؟ ، **قال:** « **يتعرض من البلاء لما لا يطيق** ».

٩- (ذل السلطان). عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **ما من قوم مشوا إلى سلطان الله ليذلوه، إلا أذلهم الله قبل يوم القيامة** » [(٢)] .

١٠- المحادة : قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴾ [المجادلة :٢٠] .

فهذه عباد الله كلها أسباب للوقوع في الذل والمهانة والخور والضعف والمسكنة ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران :١٣٩] .

هذا والله المستعان.

نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم ، وجعلنا من أتباع سيد المرسلين .

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) الترمذي برقم (٢٢٥٤) الصحيحة برقم (٦١٣) .

(٢) كشف الأستار برقم (١٥٩٤) .

الخطبة الثانية :

الحمد لله كتب الرحمة لمن اتقاه وأعد الشقاء لمن عصى أمره وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه .

أما بعد: عباد الله فلقد رفع الله أهل الإيمان في الدنيا والآخرة لكن لما خالفنا الإسلام وقعنا في الذلة فإذا أردنا الرفعة فعلينا بالرجوع إلى الله ولن ترفع عنا الذلة إلا إذا حققنا أسباب العزة والرفعة وهي:

١- التمسك بالإسلام: فقد ثبت عند أحمد [(١)] عن تميم الداري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزًا يعز الله به الإسلام، وذلًا يذل الله به الكفر** « **وكان تميم الداري، يقول:** « **قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافرا الذل والصغار والجزية** ».

وفي مستدرك الحاكم [(٢)] عن ابن شهاب قال: خرج عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلى الشام ومعنا أبو عبيدة بن الجراح، فأتوا على مخاضة وعمر على ناقة، فنزل عنها وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة، فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين، أأنت تفعل هذا؟! تخلع خفيك وتضعهما على عاتقك، وتأخذ بزمام ناقتك وتخوض بها

(١) مُسند أحمد برقم (١٦٩٥٧) السلسلة الصحيحة .

(٢) الحاكم ج١(١٣٠) صححه الألباني في الصحيحة تحت رقم (٥١) .

المخاضة؟! ما يسرني أن أهل البلد استشرفوك! فقال عمر: أوه لو يقل ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالًا لأمة محمد ﷺ « **إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله** » .

٢- طاعة الله - عَزَّوَجَلَّ - وطاعة رسوله ﷺ: قال الله تعالى: ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ** ﴾ [فاطر: ١٠] .

وقال سبحانه : ﴿ **قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [آل عمران: ٢٦] .

وقال تعالى: ﴿ **يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [المنافقون: ٨] .

وكان من دعاء السلف - رحمهم الله - يدعون [١] : « اللهم أعزني بطاعتك ، ولا تذلني بمعصيتك» .

وانظر إلى أصحاب رسول الله ﷺ .لما أعزوا الدين أعزهم الله ونصرهم على عدوهم قال الله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٢٣] . ومعنى أذلة هنا أي قلة

فقد جاء عند الطبراني[٢] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمع النبي ﷺ شيئًا، فخطب، فقال للأنصار: « **ألم تكونوا أذلاء فأعزكم الله بي ؟ألم**

(١) الداء والدواء ص (٧٧) .
(٢) الطبراني في الأوسط برقم (٣٨٦٤) .

تكونوا ضلالًا فهداكم الله بي؟ ألم تكونوا خائفين فأمنكم الله بي ؟ ألا تردون علي؟ قالوا أي شيء نجيبك ؟ قال «تقولون، ألم يطردك قومك فأويناك، ألم يكذبك قومك فصدقناك؟» فعدد عليهم قال: فجثوا على ركبهم ، فقالوا: أموالنا وأنفسنا لك، فنزلت: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى :٢٣] .

٣- الدعاء: جاء ثبت أبي داود [(١)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ كان يقول: « **اللهم إني أعوذ بك من الفقر، والقلة، والذلة، وأعوذ بك من أن أَظلم أو أُظلم** » .

وجاء عند ابن حبان والحاكم [(٢)] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : كان رسول الله ﷺ يقول « **اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهرم والقسوة والغفلة، والعيلة والذلة والمسكنة، وأعوذ بك من الفقر والكفر، والفسوق والشقاق والنفاق، والسمعة والرياء، أعوذ بك من الصمم والبكم، والجنون والجذام والبرص وسيء الأسقام** » .

وفي صحيح البخاري [(٣)] عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال كان النبي ﷺ يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل ، والجبن والبخل، وضلع الدين وغلبة الرجال**» .

نسأل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- :أن يثبت قلوبنا على طاعته وأن لا يزغها بعد هدايتها ، اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا

---

(١) سُنن أبي داود برقم (١٥٤٤)صححه الألباني كما في صحيح سُنن أبي دود.
(٢) ابن حبان برقم (١٠٢٣) المستدرك ج١ (٥٣٠) صححه الشيخ الألباني -رَحِمَهُ اللَّهُ- كما في التعليقات الحسان .
(٣) البخاري برقم (٦٣٦٩) .

وعذاب الآخرة.

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد ، يُعز فيه أهل طاعتك ، ويُذل فيه أهل معصيتك، ويُؤمر فيه بالمعروف ، وينهى فيه عن المنكر .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين ، وانصر عبادك الموحدين.

اللهم فرج هم المهمومين من المسلمين ، اللهم اشف مرضاهم ، وعاف مبتلاهم ، واجبر مصابهم ، برحمتك ياذا الجلال والإكرام .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين.

والحمد لله رب العالمين.

١٣ ذم طول الأمل وفضل قصره

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون: لولا طول الأمل ما وقع إهمال أصلًا ، وإنما يقدم

الإنسان المعاصي ، ويؤخر التوبة لطول الأمل.

وطول الأمل هو رجاء ما تحبه النفس من طول عمر وزيادة غنى كما قال الحافظ ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- .(١) والأمل له سر لطيف يقول الحافظ ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : وفي الأمل سر لطيف لأنه لولا الأمل ما تهنى أحد بعيش ولا طابت نفسه أن يشرع في عمل من أعمال الدنيا ، وإنما المذموم منه الاسترسال فيه وعدم الاستعداد لأمر الآخرة ، فمن سلم من ذلك لم يكلف بإزالته. (٢)

وقد قيل: لا ينفك الإنسان من أمل فإن فاته ما أمله عوَّل على التمني.

أعلل النفس بالآمال أرقبها ما أضيق العيش لو لا فسحة الأمل

عباد الله: طول الأمل مذموم قال الله تعالى: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[الحجر :٣] .

ومعنى ﴿ ذَرْهُمْ ﴾ أي اتركهم

و﴿ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ﴾ أي يشغلهم عن طاعة الله وعبادته.

قال الإمام الألوسي-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:وفي الآية إشارة إلى التلذذ والتنعم وعدم الاستعداد للآخرة والتأهب لها ليس من أخلاق من يطلب النجاة .(٣)

وفي هذه الآية الكريمة تهديدان ، ووعيدان عظيمان ﴿ ذَرْهُمْ ﴾ و﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ قال بعض العلماء: فمتى يهنأ العيش بين تهديدين. (٤)

والأمل قال القرطبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : هو الحرص على الدنيا والانكباب

(١) الفتح ج١١(٢٤٠) .
(٢) الفتح ج١١(٢٤١) .
(٣) تفسير الألوسي ج٧(٣٤١) .
(٤) معالم التنزيل ج٣(٤٣) .

عليها والحب لها، والإعراض عن الآخرة.(١)

ولقد أخبر الله - عَزَّوَجَلَّ - عن طول الأمل عند أعدائه من اليهود والنصارى والمشركين قال الله تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة:٩٦] .

قال الإمام الشنقيطي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : وهذه هي أعظم آية في إزالة الداء العضال الذي هو طول الأمل كفانا الله والمؤمنين شره.(٢)

فمهما طال عمر الإنسان في هذه الحياة الدنيا فلابد له من الموت، وإذا حل به العذاب، فإن ذلك لا ينفعه مهما طال عمره ولو عاش ألف سَنة، ولو تمتع بأنواع مُتع الحياة، قال الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧] .

وفي صحيح مسلم(٣) عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط ؟، هل مر بك نعيم قط ؟، فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط ؟، هل مر بك شدة قط ؟ فيقول: لا والله يا رب، ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط**».

(١) تفسير القرطبي ج١٠ .
(٢) أضواء البيان ج١(٧١).
(٣) صحيح مسلم برقم (٢٨٠٧).

وقال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ ﴾ [التكاثر :١-٢] .

ويروى أن أعرابيًا سمع هذه الآية فقال: بعثوا ورب الكعبة ، فقيل له في ذلك فقال : ما الزائر بمقيم.

وعند الإمام أحمد[١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ: «**ما أخشى عليكم الفقر ، ولكن أخشى عليكم التكاثر ، وما أخشى عليكم الخطأ ، ولكن أخشى عليكم العمد** » .

وفي الصحيحين [٢] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال سمعت النبي ﷺ يقول: « **لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثًا ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب** » .

وقال الله تعالى: ﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴾ [فصلت :٤٩] .

قال البغوي -رَحِمَهُ اللَّهُ-: أي لا يفتر من طلب المال وما يُصلح دنياه.[٣]

وقال الله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المؤمنون :٥٥- ٥٦] .

وعند ابن حبان[٤] عن فضالة بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم من آمن بك ، وشهد أني رسولك فحبب إليه لقاءك ، وسهل عليه قضاءك ، وأقلل له من الدنيا ، ومن لم يؤمن بك ، ولم يشهد أني رسولك، فلا تحبب إليه لقاءك ، ولا تسهل عليه قضاءك ، وأكثر له من الدنيا** » .

(١) أحمد برقم (٨٠٧٤) وصححه شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح ج٦(٢٤٣) .
(٢) البخاري برقم(٦٤٣٦) ومسلم برقم (١٠٤٨) .
(٣) شرح السُّنَّة ج١٤(٢٨٣) .
(٤) صحيح ابن حبان برقم (٢٠٨) .

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : وعلى قدر رغبة العبد في الدنيا ورضاه بها يكون تثاقله عن طاعة الله وطلب الآخرة.[١]

وقال أيضًا: ما مضى من الدنيا أحلام وما بقى منها أماني والوقت ضائع بينهما.[٢]

وقال أيضًا: وأعظم هذه الإضاعات إضاعتان هما أصل كل إضاعة . إضاعة القلب وإضاعة الوقت فإضاعة القلب من إيثار الدنيا على الآخرة وإضاعة الوقت من طول الأمل فاجتمع الفساد كله في اتباع الهوى

وطول الأمل والصلاح كله في اتباع الهدى والاستعداد للقاء والله المستعان[٣]

وقال عون بن عبد الله -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: كم من مستقبل يومًا لا يستكمله ، ومنتظر غدًا لا يبلغه ، لو تنظرون إلى الأجل ومسيره ، لأبغضتم الأمل وغروره.[٤]

وفي صحيح البخاري[٥] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : « **لا يزال قلب الكبير شابًا في اثنتين ، في حب الدنيا ، وطول الأمل** ».

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال :قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين ، ويهلك أخرها بالبخل والأمل** » .[٦]

(١) فوائد الفوائد ص (٣١٥) .
(٢) فوائد الفوائد ص (٤٤٠) .
(٣) فوائد الفوائد ص (٣٨٥) .
(٤) شرح السُّنَّة ج١٤(٢٨٦) للبغوي .
(٥) البخاري برقم (٦٤٢٠) .
(٦) الزهد للإمام أحمد يرقم (٥١) ص (٢٤) والصحيحة برقم (٣٤٢٧) .

قال يحيى بن معين -رحمه الله- :

نؤمل أن نبقى طويلًا وإنما نُعد من الأيام طرفًا وأنفسا

وقال غيره:

يؤمل دنيا لتبقى له فوافى المنية قبل الأمل

حثيثًا يروي أصول الفسيل فعاش الفسيل ومات الرجل

قال العلامة ابن الجوزي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : من تفكر في عواقب الدنيا أخذ الحذر ، ومن أيقن بطول الطريق تأهب للسفر ، ما أعجب أمرك يا من يوقن بأمر ثم ينساه.(١)

اللهم اجعلنا هداة مهتدين ، وثبتنا على الحق المبين ، واجعلنا من عبادك الصالحين ، والحمد لله رب العالمين

(١) صيد الخاطر ص (٤٦) .

الخطبة الثانية :

الحمد لله الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملًا ، أحمده تعالى وأشكره على نعمه الغزار ، وفضله المدرار ، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله النبي المختار ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه من المهاجرين والأنصار .

أما بعد:

فيا أيها المسلمون: إن قصر الأمل من أعظم ما يسبب للمسلم الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة ، بل إن قصر الأمل هو حقيقة الزهد ، ولهذا سئل الإمام مالك -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- عن الزهد في الدنيا فقال : طيب الكسب وقصر الأمل.(١)

وقال سفيان الثوري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : ليس الزهد في الدنيا بلبس الغليظ والخشن وأكل الجشب ، إنما الزهد في الدنيا قصر الأمل .(٢)

وقال الإمام أحمد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : الزهد في الدنيا قصر الأمل.(٣)

عباد الله: لقد حث النبي ﷺ على قصر الأمل ، ورغب في ذلك ففي صحيح البخاري(٤) عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال خط النبي ﷺ خطوطًا فقال: «**هذا الأمل وهذا أجله ، فبينما هو كذلك إذ جاءه الخط الأقرب** » .

---

(١) شرح السُنَّة ج١٤(٢٣٣) للبغوي .
(٢) شرح السُنَّة ج١٤(٢٨٦) للبغوي .
(٣) مدارج السالكين ج٢(١٣).
(٤) البخاري برقم (٦٤١٨) .

وفي صحيح البخاري [١] أيضًا عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال : « **كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل** » وكان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك.

وفي سُنن الترمذي [٢] عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : مر علينا رسول الله ﷺ ونحن نعالج خصًا لنا فقال : « **ما هذا ؟** » ، فقلنا : قد وهى فنحن نصلحه قال : « **ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك** » .

والخص: البيت من القصب.

والأمر: الموت.

وفي سُنن ابن ماجه [٣] عن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة . فجلس على شفير القبر . فبكى حتى بل الثرى . ثم قال : « **يا إخواني لمثل هذا فأعدوا** » .

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: « **اغتنم خمسًا قبل خمس : شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك** » [٤] .

وعند أحمد [٥] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ كان يخرج فيهريق الماء فيتمسح بالتراب ، فأقول يا رسول الله إن الماء منك قريب ،

---

(١) البخاري برقم (٦٤١٦) .
(٢) صحيح الترمذي برقم (٢٣٣٥) .
(٣) صحيح ابن ماجه برقم (٤١٩٥) .
(٤) رواه الحاكم ج٤(٣٠٦) .
(٥) أحمد برقم (٢٦١٤) .

فيقول : « وما يدريني لعلي لا أبلغه » .

ولله در من قال:

تزود من التقوى فإنك لا تدري ... إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر
فكم من عروس زينوها لزوجها ... وقد أخذت أرواحهم ليلة القدر
وكم من صغار يرتجى طول عمرهم ... وقد أدخلت أرواحهم ظلمة القبر
وكم من سليم مات من غير علة ... وكم من سقيم عاش حينًا من الدهر
وكم من فتى يمسي ويصبح لاهيًا ... وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري
وكم ساكن عند الصباح بقصره ... وعند المساء قد كان من ساكن القبر
فكن مخلصًا واعمل من الخير دائمًا ... لعلك تحظى بالمثوبة والأجر
وداوم على تقوى الإله فإنها ... أمان من الأهوال في موقف الحشر

وقال آخر:

قصر الآمال في الدنيا تفز ... فدليل العقل تقصير الأمل

قال أبو عثمان النهدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : بلغت ثلاثين ومائة سنَة وما من شيء إلا وقد عرفت فيه النقصان إلا أملي فإنه كما هو.

وقال أبو زرعة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : لبعض أصحابه ما خرجت من المسجد منذ عشرين سَنة فحدثتني نفسي أن أرجع إليه .

والذي يعينك على قصر الأمل شيئان:

١- ذكر الموت كما قال النبي ﷺ : « **أكثروا ذكر هاذم اللذات** » يعني الموت .[١]

قال بعض السلف : شيئان قطعا عني اللذة ذكر الموت ، والوقوف بين يدي الله – عَزَّوَجَلَّ – .

وكيف يلذ العيش من كان موقنًا … بأن المنايا بغتة ستعاجله
وكيف يلذ العيش من كان موقنًا … بأن إله الخلق لا بد سائله

وقال آخر :

ستنقلك المنايا عن ديارك … ويبدلك الردى دارًا بدارك
وتترك ما عنيت به زمانًا … وتنقل من غناك إلى افتقارك
ودود القبر في عينيك يرعى … وترعى عين غيرك في ديارك

٢- زيارة القبور والتأمل في أهلها ففي صحيح مسلم [٢] عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: زار رسول الله ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ، فقال : « **استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي ، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي ، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت** » .

كما أن أسباب طول الأمل شيئان أيضًا:

١- حب الدنيا : فحب الدنيا رأس كل خطيئة ، كما قال جندب بن

(١) صحيح الترمذي برقم (٢٣٠٧) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ .
(٢) مسلم برقم (٩٧٦) .

عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ .

٢- الجهل : قال ابن الجوزي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : ولا يغترر بالشباب والصحة، فإن أقل من يموت الأشياخ، وأكثر من يموت الشبان ولهذا يندر من يكبر [١]

عباد الله: في طول الأمل أضرار جسيمة وأخطار عظيمة منها:

١- قسوة القلب قال الله تعالى:: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد :١٦] .

٢- إساءة العمل قال الحسن البصري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل .

وقال داود الطائي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : من طال أمله ضعف عمله.

٣- التسويف قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى : ﴿ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴾ [القيامة :٥] ، سوف أتوب سوف أعمل، يقدم الذنب ويؤخر التوبة. [٢]

٤- الغفلة عن العبادة.

٥-٦- الرغبة في الدنيا ونسيان الآخرة قال علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إن أخوف ما أتخوف عليكم اثنتان طول الأمل ، واتباع الهوى ، فأما طول الأمل فينسي الآخرة ، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق ، ألا وإن الدنيا قد ولت مدبرة ، والآخرة مقبلة ، ولكل واحدة منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغدًا

(١) صيد الخاطر ص (٢٦٩) .
(٢) شرح السُّنَّة ج١٤(٢٨٢) .

حساب ولا عمل .[١]

قيل لمحمد بن واسع كيف تجدك ؟، قال: قصير الأجل ، طويل الأمل، مسيء العمل.

أيها المسلمون: ما هي إلا التوبة والاستغفار وتقصير الآمال وإحسان الأعمال ، وإلا فالمصير هو النار والخسار ، وما لهذا الجلد الرقيق صبر عليها فارحموا أنفسكم ، أرأيتم جزع أحدكم من الشوكة تصيبه، والرمضاء تحرقه، فكيف لو صار إلى النار يحطم بعضها بعضًا ، لا يسمع فيها إلا تغيضًا وزفيرًا ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[النساء :٥٦].

وفقنا الله وإياكم جميعًا لما يحبه ويرضاه ، وجنبنا وإياكم ما يسخطه ويأباه ، إنه جواد كريم بر رحيم.

والحمد لله رب العالمين.

(١) فضائل الصحابة برقم (٨٨١) للإمام أحمد تحقيق شيخنا وصي الله وفقه الله .

١٤ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴾

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس :قال الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي

خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ ﴾ [الانفطار :٦-٨] .

هذه الآيات المباركة تهتزلها القلوب وتقشعر لها الأبدان وتدمع منها العيون .

يا أيها الإنسان: ما المراد بالإنسان هنا من العلماء من قال المراد به الكافر، ومنهم من قال المراد بالإنسان ،من حيث إنه إنسان بغض النظر عن ديانته ،ومنهم من قال المراد بالإنسان ، الإنسان المقصر في حق الله المجترئ على معاصيه ،ولعلى الأقرب أن الإنسان ما من شأنه أنه إنسان ، وهذه الآية لها نظائر كثيرة في كتاب الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ۝٨٣ ﴾ [الإسراء :٨٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ﴾ [المعارج :١٩-٢٢] .

وقال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ [الإنسان :١] .

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٖ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٖ ۝٦ ﴾ [التين :٤-٦] .

وقال تعالى: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ ﴾[العصر:١-٢].

وقال -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴾ [الإنشقاق :٦] .

وقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾ ﴿ مَا غَرَّكَ ﴾ ما الذي خدعك ودهاك وجرأك على معصية ربك الكريم ، والغُرورُ بالضم

هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ، ويميل إليه الطبع .

وأما الغَرور بفتح الغين فهو كل ما يغر الإنسان من مال وجاه وشهوة وشيطان ودنيا .

قال قتادة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- :غره شيطانه المسلط عليه (١) .

وقال الحسن البصري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- (٢): ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ ...الخ . غره شيطانه الخبيث . وقيل غره حمقه وجهله .كما قال تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴾ [الأحزاب :٧٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴾ [إبراهيم :٣٤] .

وقد كان أبو موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ إذا قرأ هذه الآية قال يعني الجهل ويبكي، وقيل غره عفو الله إذ لم يعاجله بالعقوبة أول مرة، لإن الله يُمهل ولا يهمل ، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴾ [هود :١٠٢] .

وفي الصحيحين (٣) عن أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليملي للظالم ، حتى إذا أخذه لم يفلته**»، ثم قرأ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴾ .

وقال قتاد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- (٤) : بغت القوم أمر الله ،وما أخذ الله قومًا إلا عند سكرتهم وغرتهم ونعمتهم ،فلا تغتروا بالله ، فإنه لا يغتر بالله الإ

(١) تفسير القرطبي ج٢٢(١٢٢) .
(٢) تفسير القرطبي ج٢٢(١٢٢) .
(٣) البخاري برقم(٤٦٨٦) مسلم برقم (٢٥٨٣) .
(٤) رواه ابن أبي حاتم برقم (٨٧٨٧) .

القوم الفاسقون .

وقال سعيد بن جبير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- [١] الغرة بالله أن يتمادى الرجل في المعصية ، ويتمنى على الله المغفرة.

أحسنتَ ظنك بالإيام إذ حسنتْ ... ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

وسالمتك الليالي فاغتررتَ بها ... وعند صفو الليالي يحدث الكدر[٢]

وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ قال الإمام البغوي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- [٣] : إنما أتى باسمه الكريم لينبه على أنه لا ينبغي أن يقابل الكريم بالأفعال القبيحة وأعمال الفجور.

وقال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- [٤] : وإنما غره بربه الغرور، وهو الشيطان، ونفسه الأمارة بالسوء وجهله وهواه، وأتى سبحانه بلفظ الكريم وهو السيد العظيم المطاع، الذي لا ينبغي الاغترار به، ولا إهمال حقه، فوضع هذا المغتر الغرور في غير موضعه، واغتر بمن لا ينبغي الاغترار به.

عباد الله : وفي هذه الآية المباركة ذم الغُرور وقبحه فالغرور من صفات اليهود قال تعالى : ﴿ **ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ** ﴾ [آل عمران :٢٤] .

وقد وصف الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- الكافرين والظالمين بالغرور، قال تعالى : ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ

(١) تفسير ابن أبي حاتم ج٧ (٣٣٩) .
(٢) تفسير القرطبي ج٧(٢٢٩) .
(٣) تفسير البغوي ج٤(٤٥٦) .
(٤) الجواب الكافي ص (٣٢) .

شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾ [فاطر: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴾ [الملك: ٢٠].

وقد حذر الله عباده من الغرور ونهى عباده منه قال تعالى: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴾ [آل عمران: ١٩٦].

وقال -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ لقمان الآية (٣٣)

وقال الله تعالى: ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴾ [غافر: ٤].

ويجب علينا معاشر المسلمين إن نحذر من الدنيا ولا نغتر بها فإنها متاع الغرور قال تعالى ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

وقال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ

﴿إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾ [الأنعام: ٧٠].

وتأملوا عباد الله ماذا جرى لإهل الغرور من الأمم السابقة، كيف عذبهم الله وأخذهم لإنهم اغتروا بأموالهم وجاههم، قال الله عن قبيلة عاد: ﴿فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾ [فصلت: ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ (٥١) أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢) فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ (٥٣) فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ (٥٤) فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ (٥٦)﴾ [الزخرف: ٥١-٥٦].

وكان ابن الجوزي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- يقول [(١)]: يفتخر فرعون مصر بنهر ما أجرأه ما أجراه.

وقال الله عن كفار مكة: ﴿أَكُفَّارُكُمۡ خَيۡرٞ مِّنۡ أُوْلَٰٓئِكُمۡ أَمۡ لَكُم بَرَآءَةٞ فِي ٱلزُّبُرِ (٤٣) أَمۡ يَقُولُونَ نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ (٤٤) سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ (٤٥) بَلِ ٱلسَّاعَةُ

(١) سير أعلام النبلاء ج٢١(٣٧٢).

﴿مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ [القمر :٤٣-٤٦] .

وقال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ :٣٥] .

أيها المسلمون : إن الواجب على العبد أن يسأل الله القبول ، وأن لا يغتر بعبادته من صلاة وصيام وخير يعمله ، فهذه الأعمال إنما هي بتوفيق من الله ، لا بحول الإنسان وقوته ، ولهذا يقول أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « لمثقال بر مع تقوى ويقين ، أعظم وأكبر من أمثال الجبال عبادة من المغترين».

ويقول الإمام الزهري -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى- (١) : فمن استطاع أن لا يغتر فلا يغتر» .

وقد قال بعض السلف : كم من مغرور تحت ستر الله وهو لا يشعر.

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كفى بخشية الله تعالى علماً ، وكفى بالإغترار بالله جهلاً.

ألا فاتقوا الله عباد الله بمراقبته والخوف من الوقوع في معصيته ولا تأمنوا مكر الله ، وتغتروا بهذه الحياة الدنيا وتنسوا لقاءه والوقف بين يديه .

قال -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص :٢٦] .

وقال بعضهم :

عجبت من معجب بصورته وكان بالأمس نطفة مذرة
وفي غدٍ بعد حسن صورته يصير في اللحد جيفة قذرة

(١) صحيح مسلم برقم (٢٣) .

وهــو على تيــهه ونخـوته   ما بين ثوبيه يحمل العذرة [١]

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه ، وبسُنَّة نبيه ﷺ ، أقول ما سمعتم ، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين ، من كمل ذنب فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية :

الحمد لله معز من أطاعه واتقاه ، ومذل من أضاع أمره وعصاه ، أحمده على جزيل كرمه وما أولاه ، وأشكره على آلائه الجسيمة وما أسداه، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له ، ولا رب لنا سواه ، ولا نعبد إلا إياه ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، خير عبدٍ اجتباه ، وأفضل رسول اصطفاه ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فيا أيها الإخوة المسلمون لقد سمعتم هذه الآية الكريمة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ [الإنفطار :٦-٨] .

ومعنى ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ ﴾ أي جعلك سويًا مستقيمًا معتدل القامة منتصبها في أحسن الهيئات والأشكال(٢) ، وقد بين سبحانه أطوار خلق الإنسان ، قال تعالى مخبرًا عن موعظة المؤمن لصاحب الجنتين: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾ [الكهف :٣٧] .

وقال تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التغابن :٣] .

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين :٤] .

---

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي ص (٣٧٤) .
(٢) تفسير ابن كثير ج٧(٥٠٣) .

فالله -تبارك وتعالى- هو الذي خلقك وصورك وأنت في رحم أمك قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران :٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الحشر :٢٤] .

خلقك الله من العدم إلى الوجود قال الله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ [الإنسان :١] .

وقال -تبارك وتعالى- ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة :٢٨] ، وقوله «أَمْوَٰتًا » أي نطفًا .

وقال سبحانه عن مؤمن آل يس: ﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس :٢٢] .

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾ [الكهف :٣٧] ، أي أن أصل خلق الإنسان من تراب فآدم -عليه الصلاة والسلام- خلقه الله من تراب كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[آل عمران :٥٩] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ ﴾ [الحج :٥] وقوله : ﴿ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ هذا الإنسان خلق من أطوار متعددة ولهذا يقول الله تعالى: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر:٦]، والظلمات الثلاث: هي ظلمة الرحم وظلمة البطن والمشيمة.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤)﴾ [المؤمنون:١٢-١٤].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٩)﴾ [السجدة:٦-٩].

وفي الصحيحين[1] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه في أربعين يومًا ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة، فيدخلها**»، بل وقد ورد حديث عظيم في تفسير وبيان هذه الآية الكريمة التي هي

---

(١) البخاري برقم (٣٢٠٨) مسلم برقم (٢٦٤٣).

قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴾.

فقد جاء في المستدرك [(١)] عن بسر بن جحاش القرشي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول ﷺ يقول الله : يا ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه ، حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردتين وللأرض منك وئيد ـ يعني شكوى ـ فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت: أتصدق، وأنى أوان الصدقة » وقوله ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾ وإذا بهذا الإنسان بعد أن سواه الله وخلقه ، وأصبح رجلا سويًا إذا به يكذب بالبعث والنشور .

قال الله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [النحل :٤].

وقال -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ [يس :٧٧-٧٨] ، ولهذا ختمت هذه الآيات المباركة بقوله : ﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴾ [الإفطار :٩] أي بالجزاء والحساب، فالجزاء حق والحساب حق قال الله في كتابه الكريم ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء :٨٧] .

وقوله تعالى ﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الإفطار :٨] أي إن شاء بيضك أو سودك ، أو طولك أو قصرك ، جعلك ذكرًا أو أنثى ، إنسانًا أو قردا أو خنزيرًا ، هل هناك من يصرفه أو يمنعه ، فما الذي جعلك تكفر به وتعصيه وترد طاعته ، لاإله إلا الله .

---

(١) المستدرك للإمام الحاكم ج٤(٣٥٩) الصحيحة للألباني برقم (١١٤٣) .

اللهم لا تأخذنا بما فعل السفهاء منا ، اللهم يا رب العالمين نسألك اللطف والسلامة في الدنيا والآخرة ، اللهم إنا نسألك أن تعمنا بعفوك ، وأن تزيدنا من فضلك ، وأن تجعلنا من أنصار دينك ، اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.

١٥ تحريم قتل النفس المحرمة

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون: إن الله - عَزَّوَجَلَّ - أمر بالصلاح والإصلاح في الأرض

لأن في ذلك صلاح العباد والبلاد ونهى عن الفساد والإفساد في الأرض ، لأن في ذلك فساد العباد والبلاد ، وإن من أعظم الفساد في الأرض قتل النفس المحرمة ، لأنه ينافي الإخوة ويقطع أواصر المحبة ، ويجلب العداوة والشحناء بين الناس ، ويذهب الأمن من المجتمعات ، ولذلك جعل الله القتل من كبائر الذنوب ، بل هذه الكبيرة هي الكبيرة الثانية ، التي تلي الشرك بالله تعالى ، وسيكون الحديث بإذن الله عن هذه الكبيرة في العناصر الآتية:

* تعريف القتل .
* حرمة القتل وخطورته عند الله تعالى .
* من أشراط الساعة كثرة القتل .
* وقفة مع بعض القتلة .
* الأسباب المؤدية إلى قتل النفس المحرمة .

أما تعريف القتل: في اللغة: فهو إزهاق الروح.

وأما في الاصطلاح فهو فعل يحصل به زهوق الروح.[1]

وأما تحريم القتل فقد وردت النصوص الكثيرة والأدلة العظيمة في القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [الفرقان :٦٨-٦٩] .

قال العلامة ابن سعدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: ونص تعالى على هذه الثلاثة لأنها من أكبر الكبائر: فالشرك فيه فساد الأديان، والقتل فيه فساد الأبدان

(١) التعريفات للجرجاني (٢٢٠) .

والزنا فيه فساد الأعراض.(١)

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٢-٩٣].

فهذه خمس عقوبات لمن يقتل النفس المحرمة:

الأولى: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾.

والثانية: الخلود فيها.

والثالثة: الغضب عليه من الله ومن غضب الله عليه فقد هو في نار جهنم -عياذًا بالله- قال الله تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١]، أي هلك وهوى في قعر جهنم.

الرابعة: اللعن من الله له: واللعن هو الطرد من رحمة الله.

الخامسة: العذاب العظيم في جهنم.

وقال الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ

(١) تفسير السعدي ج٣ (٥٠٨ - ٥٠٩).

إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ
أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ
فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ
يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ
سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا
قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ
جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ
لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى
ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم
مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ
فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [المائدة: ٢٧-٣٣].

قال الحسن البصري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: في قوله ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ علاه الله بندامة بعد خسران حيث جمع بين البغي وقطيعة الرحم.

وقال قتادة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في قول الله تعالى ﴿ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ هذا تعظيم لتعاطي القتل عَظُم والله وزرها.(١)

وقال ابن بطال(٢) -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: فيها تغليظ أمر القتل والمبالغة في الزجر عنه.

ولهذا ثبت في الصحيحين(٣) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « **لا تُقتل نفس ظلمًا، إلا كان على ابن آدم الأول كفل من**

(١) تفسير ابن كثير ج٢ (٤٤- ٤٥).
(٢) فتح الباري ج١٢ (٢٠٠).
(٣) البخاري برقم (٣٣٣٥) و مسلم برقم (١٦٧٧).

دمها لأنه أول من سَن القتل ».

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام :١٥١].

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾ [الإسراء :٣٣].

وفي الصحيحين (١) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : « **اجتنبوا السبع الموبقات** » قالوا يا رسول الله وما هن قال « **الشرك بالله ، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات** » .

وفي صحيح البخاري (٢) عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: « **أبغض الناس إلى الله ثلاثة : ملحد في الحرم ، ومبتغ في الإسلام سُنَّة الجاهلية ، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه** » .

وفي الصحيحين (٣) عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: « **أكبر الكبائر الإشراك بالله ، وقتل النفس ، وعقوق الوالدين ، وقول الزور، أو قال وشهادة الزور** ».

وفي البخاري ومسلم(٤) عن أبي بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله

---

(١) البخاري برقم (٢٧٦٦) و مسلم برقم (٨٩) .
(٢) البخاري برقم (٦٨٨٢) .
(٣) البخاري برقم (٦٨٧١) و مسلم برقم (٨٨) .
(٤) البخاري برقم (٣١) و مسلم برقم (٢٨٨٨) .

ﷺ يقول « **إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار** » فقلت يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟، قال: « **إنه كان حريصًا على قتل صاحبه** » .

وعند أبي داود [(١)] عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركًا ، أو مؤمن قتل مؤمنًا متعمدًا** ».

وعند الطبراني [(٢)] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال :قال رسول الله ﷺ : «**أبى الله أن يجعل لقاتل المؤمن توبة** » .

ومعنى أبى الله أي أمتنع بشدة أن يجعل لقاتل المؤمن توبة ، وهذا يحمل على الاستحلال ، وإلا فالصحيح أن القاتل له توبة كما دلت على ذلك الأدلة.

ولكن يبقى عليه حق المقتول يوم القيامة كما ثبت عند الترمذي [(٣)] وغيره ، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : « **يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده ، وأوداجه تشخب دمًا يقول: يا رب هذا قتلني حتى يدنيه من العرش** »

ومعنى تشخب: دمًا أي تنزف دمًا.

عباد الله : إن قتل النفس المحرمة من أعظم المنكرات ، وأشد الموبقات المهلكات :

ولهذا ثبت عند أبي داود [(٤)] عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :قال

---

(١) صحيح أبي داود برقم (٤٢٧٠) .
(٢) الطبراني ج١٠(١٥٥) والصحيحة برقم (٦٨٩) .
(٣) صحيح الترمذي برقم (٣٠٢٩) .
(٤) صحيح أبي داود برقم (٤٢٧٠) .

رسول الله ﷺ : « **من قتل مؤمنًا فاغتبط بقتله ، لم يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً** ».

ومعنى اغتبط: فرح وسُر.

ومعنى صرفًا ولا عدلًا: أي فريضة ولا نافلة. وقيل توبة ولا فداءً .

وفي الصحيحين [١] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سألت النبي ﷺ أي الذنب أعظم عند الله ؟، قال: « **أن تجعل لله ندًا وهو خلقك** » ، قلت: إن ذلك لعظيم ، قلت ثم أي ؟، قال : « **وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك** » ، قلت ثم أي ؟، قال : « **أن تزاني حليلة جارك** » .

نسأل الله – جل وعلا – أن يحفظنا من الزلل ، وأن يجنبنا الشر والفتن، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) البخاري برقم (٤٤٧٧) ومسلم برقم (٨٦) .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وعلى آله وأصحابه والتابعين وسلم تسليمًا ، كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا عباد الله لقد عظم النبي ﷺ قتل النفس المحرمة أيما تعظيم وسد الذرائع الموصلة إليها.

ففي صحيح البخاري [١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال ﷺ « لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من ا لنار »

و قال ﷺ في أشرف مكان وأعظم اجتماع حدث على وجه الأرض في يوم عرفة في حجة الوداع « ... **إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، ليبلغ الشاهد الغائب..**» . [٢]

أيها المسلمون: لقد أخبرنا النبيﷺ أن كثرة القتل من أشراط الساعة: فقد جاء في الصحيحين [٣] عن عبد الله بن مسعود وأبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالا: قال النبي ﷺ : « **إن بين يدي الساعة لأيامًا ينزل فيها الجهل ، ويرفع فيها العلم ، ويكثر فيها الهرج ، والهرج القتل** » .

---

(١) البخاري برقم (٧٠٧٢) .
(٢) البخاري برقم (٦٧) ومسلم برقم (١٦٧٩) عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) البخاري برقم (٧٠٦٢) ومسلم برقم (٢٦٧٢) .

وفي الصحيحين [١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله ﷺ : « **يتقارب الزمان وينقص العمل ويلقى الشح ويكثر الهرج** » قالوا : وما الهرج قال : « **القتل القتل** » .

وفي صحيح مسلم [٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ : «**والذي نفسي بيده ليأتين على الناس زمان لا يدري القاتل في أي شيء قتل ولا يدري المقتول على أي شيء قتل** » .

معاشر المسلمين: إن القتل معصية عظيمة وفساد كبيرة في الأرض لكن قتل الأنبياء والصالحين أشد جرمًا وأعظم إثمًا ، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [آل عمران :٢١] .

وفي مُسند الإمام أحمد [٣]عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : « **أشد الناس عذابًا يوم القيامة ، رجل قتله نبي أو قتل نبيًا ، وإمام ضلالة وممثل من الممثلين** » .

وانظروا عباد الله إلى قتلة الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، كيف انتقم الله منهم وأخذهم بعقوبته جزاء فعلهم ؟.

قال ابن كثير [٤] -رَحِمَهُ اللَّهُ-: وأما ما روى من الأحاديث والفتن التي أصابت من قتله ، فأكثرها صحيح فانه قل من نجا من أولئك الذين قتلوه من آفة وعاهة في الدنيا ، فلم يخرج منها حتى أصيب بمرض ، وأكثرهم

---

(١) البخاري برقم (٦٠٣٧) ومسلم برقم (٢٦٧٢) .
(٢) مسلم برقم (٢٩٠٨) .
(٣) أحمد برقم (٣٨٦٨) والصحيحة برقم (٢٨١) .
(٤) البداية و النهاية ج٨ (٢٠٣) .

أصابهم الجنون وللشيعة والرافضة في صفة مصرع الحسين كذب كثير وأخبار باطلة وفيما ذكرنا كفاية.

وعاقب الله - عَزَّوَجَلَّ - قتلة عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ، قال سليمان بن يسار: أخذ جهجاه الغفاري عصا عثمان التي كان يتخصر بها، فكسرها على ركبته، فوقعت في ركبته الآكلة. (١)

وعن طعمة بن عمرو -رَحِمَهُٱللَّهُ- قال: كان رجل قد يبس وشحب من العبادة ، فقيل له : ما شأنك ؟ .

قال:(إني كنت حلفت أن ألطم عثمان ،فلما قتل جئت فلطمته ، فقالت لي امرأته : أشل الله يمينك ، وصلى وجهك النار ، فقد شلت يميني وأنا أخاف) (٢) أي أن يصلى وجهه بالنار.

و عن زيد بن أبي حبيب -رَحِمَهُٱللَّهُ- أنه قال: إن عامة الركب الذين ساروا إلى عثمان جنوا (٣) أي أصابهم الجنون.

قال ابن العربي المالكي -رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى-: ثبت النهي عن قتل البهيمة بغير حق والوعيد في ذلك ، فكيف بقتل الآدمي ، فكيف بالمسلم فكيف بالتقي الصالح.(٤)

وهذا الحجاج بن يوسف لما قتل عبد الله بن الزبير جاء إلى أمه أسماء بنت أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا فقال : كيف رأيتني صنعت بعدو الله ؟ ، قالت : رأيتك أفسدت عليه دنياه ، وأفسد عليك آخرتك. (٥)

---

(١) تاريخ الإسلام ج ١(٤٧٤) .
(٢) مجا بوا الدعوة ص (٦٧) .
(٣) مجمع الزوائد ج ٩(٩٧) .
(٤) فتح الباري ج ١٢(١٩٦) .
(٥) مسلم برقم (٢٥٤٥) .

هذا الحجاج الذي قال عنه الحافظ ابن كثير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- [١] : أعظم ما نقم عليه ، وصح من أفعاله سفك الدماء ، وكفى به عقوبة عند الله -عَزَّوَجَلَّ-.

وقال عنه عمر بن عبد العزيز -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : لو تخابثت الأمم فجاءت كل أمة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم ، وما كان الحجاج يصلح لدنيا ولا لآخرة.[٢]

ولما مات الحجاج سجد الحسن شكرًا لله ، وقال : اللهم أمتّه فأذهب عنا سنته.

ولما أُخبر إبراهيم النخعي بموت الحجاج بكى من الفرح.

ورحم الله الإمام أحمد ، الذي قال في الحجاج حينما قتل سعيد بن جبير: قتل وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج ، أو قال :مفتقر إلى علمه.

سمعتم أيها المؤمنون إلى خطورة قتل النفس المحرمة ، وما يترتب على القاتل من العقوبات الدنيوية والأخروية ، وأن كثرة القتل والقتال علامة من علامات الساعة ، فإذا كان الأمر كذلك : فلماذا وقع المسلمون في القتال :لاشك أن الذي دفعهم إلى ذلك وأوقعهم في هذه الجريمة أسباب كثيرة ، فمن تلك الأسباب :

١- حب الملك والمنافسة عليه ففي سُنن الترمذي[٣] عن كعب بن مالك الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال:قال رسول الله ﷺ : « **ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم ، بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه** » .

(١) البداية والنهاية ج٩(١٣٩) .
(٢) البداية والنهاية ج ٩(١٤٣) .
(٣) صحيح الترمذي برقم (٢٣٧٦) .

٢- الغلو في الدين: فعن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن مما أتخوف عليكم رجلًا قرأ القرآن، حتى إذا رئيت عليه بهجته، وكان رداء للإسلام أعزه إلى ما شاء الله، انسلخ منه ونبذه وراء ظهره، وخرج على جاره بالسيف ورماه بالشرك**»، قال: قلت: يا رسول الله أيهما أولى بالشرك؟ المرمي أم الرامي؟ قال: «**لا بل الرامي**». (١)

٣- الغضب: قال ابن القيم (٢) -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى- أركان الكفر أربعة: الكبر والحسد والغضب والشهوة.

٤- عدم الخوف من الله: قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ- الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله.

فكم من رجل دفعه غضبه إلى قتل أخيه المسلم نسأل الله اللطف.

٥- الحسد: كما في قصة ابني آدم وإخوة يوسف.

٦- الظلم: وهو سبب رئيسي لسفك الدماء المحرمة.

عباد الله: الله الله في الحذر من الوقوع في هذه الجريمة النكراء، أو المشاركة في ذلك.

ولله در من قال:

ولست بقاتل رجلًا يصلي ... على سلطان آخر من قريش

له سلطانه وعليِّ وزري ... معاذ الله من سفه وطيش

أأقتل مسلمًا وأعيش حيًا ... فليس بنافع ما عشت عيشي

---

(١) معرفة الصحابة برقم (١٧٤٧).

(٢) فوائد الفوائد ص(٢٨٨).

اللهم أعطنا من الخير فوق ما نرجو ، واصرف عنا من الشر فوق ما نحذر ، اللهم علق قلوبنا برجائك ، واقطع رجاءنا عمن سواك ، اللهم إنك تعلم عيوبنا فاسترها ، وتعلم حاجاتنا فاقضها ، اللهم اجعلنا ممن يأخذ الكتاب باليمين ، واجعلنا يوم الفزع الأكبر آمنين ، وأوصلنا برحمتك وكرمك إلى جنات النعيم ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

١٦ الابتلاء أسبابه وعلاجه

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون: هذه الدنيا هي دار الابتلاء والامتحان فالقليل ممن

يوفقه الله للثبات على دين الله وشرعه، لكثرة ما فيها من الابتلاءات والمحن.

ولله در من قال:

من يعش يكبر ومن يكبر يمت والمنايا لا تبالي من أتت
نحن في دار بلاء وأذى وشقاء وعناء وعنت
منزل لا يثبت المرء به سالماً إلا قليلًا إن ثبت

والابتلاء هو الاختبار والامتحان قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [الملك :٢] .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الكهف :٧] .

والابتلاء من الله للعباد على قسمين:

١- ابتلاء بالشر.

٢- ابتلاء بالخير: قال الله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء :٣٥] .

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا : « نبتليكم بالشر والخير فتنة، بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية والهدى والضلال » .(١)

وقال أبو الهيثم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : البلاء يكون حسناً ويكون سيئًا وأصله المحنة والله - عَزَّ وَجَلَّ - يبلو عبده بالصنع الجميل ، ليمتحن شكره ، ويبلوه

(١) ابن كثير ج٣(١٧٤)، وضعفه الشيخ أحمد شاكر تفسير الطبري ج١٩(٢١٦) .

بالبلوى التي يكرهها ليمتحن صبره .(١)

ولهذا يقول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ﴿ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال :١٧] .

وفي مستدرك الحاكم (٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : « دعا رجل من الأنصار من أهل قباء النبي ﷺ فانطلقنا معه ، فلما طعم و غسل يديه - أو قال : يده - قال : الحمد لله الذي يطعم و لا يطعم ، من علينا فهدانا ، وأطعمنا و سقانا و كل بلاء حسن ، أبلانا الحمد لله غير مودع و لا مكافئ ولا مكفور ، و لا مستغنى عنه ، الحمد لله الذي أطعم من الطعام ، وسقى من الشراب ، وكسا من العري ، وهدى من الضلالة ، وبصر من العماية ، وفضل على كثير ممن خلق تفضيلًا ، الحمد لله رب العالمين » .

عباد الله :

الابتلاء لابد منه ولا خلاص منه البتة ولا يكاد أحد يسلم منه فهو سُنَّة الله في خلقه،ولن تجد لسُنَّة الله تحويلًا: قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد :٣١] .

قال إبراهيم بن الأشعث كان الفضيل بن عياض -رَحِمَهُ اللَّهُ- : إذا قرأ هذه الآية بكى ويقول: اللهم لا تبتلينا فإنك إذا بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا.

أيها المؤمنون: فالابتلاء حاصل ، ولكنه يختلف من شخص إلى آخر ، فمنهم من يبتلى بالخوف ، ومنهم من يبتلى بالجوع ، ومنهم من يبتلى بأخذ ماله، ومنهم من يبتلى بأخذ أولاده وأحبابه ، ومنهم من يبتلى بأخذ ثمرته، ومنهم من يبتلى بتسليط الأعداء عليه ، ففي هذه الآيات بيان لذلك:

(١) تفسير القرطبي ج١(٣٨٧) .
(٢) الحاكم ج٢(٥٤٦) وحسنه شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح ج١(٥٤٦)

قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧] .

وقال تعالى : ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت :١-٣] .

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [العنكبوت :١٠-١١] .

وقد أخبر النبي ﷺ عن كثرة البلاء في هذه الأمة: ففي صحيح مسلم(١) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال : قال رسول الله ﷺ : «... **إن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها ، وسيصيب آخرها بلاء ، وأمور تنكرونها ..**» .

وفي صحيح مسلم (٢) أيضًا عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **والذي نفسي بيده ، لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه ويقول: يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر ، وليس به الدين إلا البلاء**» .

وبعد هذا يكون بلاء عظيم في السراء والضراء وفي الشدة والرخاء

---

(١) مسلم برقم (١٨٤٤) .
(٢) مسلم برقم (٢٩٠٧) .

لهذه الأمة ولذلك يقول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة :٢١٤] .

وقال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران :١٤٢] .

وقال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة :١٦] .

وقال تعالى : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[آل عمران :١٨٦] .

وتأملوا معاشر المسلمين في قوله : ﴿ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ﴾ ولم يقل أذى قليلًا فالأذى تارة يكون بالتهديد بالسجن والنفي من البلاد والتشديد والتضييق وتارة يكون بالإغراء بالمال والجاه والدنيا وتارة يكون بالحملات الإعلامية على الدعوة والدعاة وذلك بتشويه صورتهم وتنفير الناس عنهم وعن الخير الذي عندهم وعدم التعاون معهم أو التعاطف في قضاياهم ولربما كذبوا وأوذوا .

وقد ثبت في مُسند الإمام أحمد [(١)] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله ﷺ : « **إن أمام الدجال سنين خداعة ، يكذب فيها الصادق ويصدق فيها الكاذب ، ويخون فيها الأمين ، ويؤتمن فيها الخائن ، ويتكلم**

---

(١) أحمد برقم (١٣٢٩٨) حسنه شعيب الأرنؤوط.

فيها الرويبضة » قيل وما الرويبضة قال:« **الفويسق يتكلم في أمر العامة** »

أيها المسلمون: أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون فقد جاء عند ابن ماجه (١) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك ، فوضعت يدي عليه . فوجدت حره بين يدي فوق اللحاف ، فقلت يا رسول الله ما أشدها عليك قال: « **إنا كذلك، يضعف لنا البلاء ويضعف لنا الأجر** » ، قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء قال : «**الأنبياء**»، قلت يا رسول الله ثم من ؟، قال : « **ثم الصالحون ، إن كان أحدهم ليبتلي بالفقر، حتى ما يجد أحدهم إلا العباءة يحويها ، وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء ،كما يفرح أحدكم بالرخاء** » .

وفي سُنن ابن ماجه (٢) أيضًا عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء ؟ قال : « **الأنبياء ثم الأمثل ، يبتلى على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه من خطيئة** » .

ولقد ضرب النبي ﷺ أروع الأمثلة في الصبر والثبات على البلاء آذاه المشركون بكل أنواع الأذى وهو صابر فقد ثبت في مُسند الإمام أحمد (٣) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : « **أول من أظهر إسلامه سبعة ، رسول الله ﷺ ،وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية ،وصهيب ، وبلال ،والمقداد، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب ،وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدراع الحديد وصهروهم في الشمس ، فما منهم إنسان إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلال ،**

(١) صحيح ابن ماجه برقم (٤٠٢٤) .
(٢) صحيح ابن ماجه برقم (٤٠٢٣) .
(٣) أحمد برقم (٣٨٣٢) وصححه شيخنا الوادعي -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى- في الصحيح المُسند مما ليس في الصحيحين برقم (٨٤٧) .

فإنه هانت عليه نفسه في الله ، وهان على قومه فأعطوه الولدان ، وأخذوا يطوفون به شعاب مكة وهو يقول : أحد أحد » .

وهكذا جرى للمؤمنين من البلاء الكبير في غزوة الأحزاب فصبروا وثبتوا حتى جعل الله لهم فرجًا ومخرجًا ، قال الله تعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ [الأحزاب :١٠-١١] .

وهذا الإمام أحمد بن حنبل -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- ابتُلي في مسألة خلق القرآن فصبر صبرًا عظيمًا ، قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: حدثني ثابت بن أحمد ابن شبويه، قال: كان يخيل إلي أن لأبي فضيلة على أحمد بن حنبل لجهاده، وفكاك الأسرى، فسألت أخي عبد الله، فقال: أحمد بن حنبل أرجح، فلم أقنع، فأُريت شيخًا حوله الناس، يسألونه، ويسمعون منه، فسألته عنهما، فقال: سبحان الله ! إن أحمد بن حنبل ابتلي فصبر، وإن ابن شبويه عوفي، المبتلى الصابر كالمعافى ؟ ! ، هيهات.(١)

نسأل الله أن يوفقنا لحسن القول والعمل ، وأن يعيذنا من الفتن ، ما ظهر منها وما بطن، وأن يحفظنا من الشر، والوقوع في الزلل.

اللهم يسر أمورنا ،واشف صدورنا ، واجعلنا من عبادك الصالحين .

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) سير أعلام النبلاء ج١١(٨) .

الخطبة الثانية:

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على نبيه المصطفى ،وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى.

أما بعد: فاتقوا الله عباد الله واعلموا أن الابتلاء سُنَّة الله في خلقه فيه فوائد عظيمة وحكم سامية وثمرات نافعة فمن ذلك:

التمحيص والتمييز بين الخبيث والطيب: قال الله - جَلَّ وَعَلَا - : ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران :١٤١] .

وقال تعالى : ﴿ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آل عمران :١٥٤] .

والتمحيص على نوعين: أحدهما: تمحيص للصفوف كما قال تعالى: ﴿ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران :١٤١] .

ثانيهما: تمحيص للذنوب كما قال تعالى: ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾

قال ابن كثير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : أي: يكفر عنهم من ذنوبهم، إن كان لهم ذنوب وإلا رُفعَ لهم في درجاتهم بحسب ما أصيبوا به. (١)

وقال تعالى : ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ [آل عمران :١٧٩] .

ومن ثمرات الابتلاء تكفير السيئات: ففي الصحيحين (٢) عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا عن النبي ﷺ قال : « **ما يصيب المسلم**

---

(١) التفسير ج١(٣٨٦) .
(٢) البخاري برقم (٥٦٤٢) ومسلم برقم (٢٥٧٣) .

من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه » .

وثبت عند الترمذي[(١)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ: **«ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة ، في نفسه وولده وماله ، حتى يلقى الله وما عليه خطيئة »** .

ومن ثمرات الابتلاء رفع الدرجات:

فقد جاء عند الحاكم [(٢)] وغيره عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الرجل تكون له المنزلة عند الله ، فما يبلغها بعمل، فلا يزال يبتليه بما يكره حتى يبلغه ذلك** » وفي لفظ : « **حتى يبلغه إياها** » .

قال الإمام ابن القيم [(٣)] -رَحِمَهُ اللَّهُ- : «..أنه سبحانه هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لم تبلغها أعمالهم ولم يكونوا بالغيها إلا بالبلاء والمحنة فقيض لهم الأسباب التي توصلهم إليها من ابتلائه وامتحانه كما وفقهم للأعمال الصالحة التي هي من جملة أسباب وصولهم إليها» .

وكما قال سبحانه ﴿ **إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴾ [آل عمران :١٤٠] .

وسأل رجل الشافعي فقال: يا أبا عبد الله أيما أفضل للرجل أن يمكن أو يبتلى ؟، فقال الشافعي: لا يمكن حتى يبتلى ، فإن الله ابتلى نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدًا -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-

---

(١) صحيح الترمذي برقم (٢٣٩٩) .
(٢) المستدرك ج١(٣٤٤) والسلسلة الصحيحة للألباني: برقم (٢٥٩٩) .
(٣) زاد المعاد ج٣(١٩٨) .

فلما صبروا مكنهم ، فلا يظن أحد أنه يخلص من الألم البتة. [١]

ومن ثمرات الابتلاء أن ينال العبد محبة الله :

فقد ثبت عند الترمذي [٢] عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله ﷺ : « **إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة** » .

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا أن النبي ﷺ قال « إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط »

ومن ثمرات الابتلاء الإنابة إلى الله بالتوبة والاستغفار:

قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة [٣].

ومن ثمرات الابتلاء كثرة الثواب لأهل البلاء يوم القيامة:

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر :١٠] .

قال الإمام الأوزاعي –رَحِمَهُ اللَّهُ– : ليس يوزن لهم ولا يكال ، إنما يغرف لهم غرفًا. [٤]

وفي سُنن الترمذي [٥] عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : « **يود أهل العافية يوم القيامة ، حين يعطى أهل البلاء الثواب ، لو أن**

---

(١) فوائد الفوائد ص (١٨٨) .
(٢) صحيح الترمذي برقم (٢٣٩٦) .
(٣) الداء والدواء ص (١٧٩) .
(٤) تفسير ابن كثير ج٤ (٤٩) .
(٥) صحيح الترمذي برقم (٢٤٠٢) .

جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض » .

معاشر المسلمين: هناك وسائل للثبات عند الابتلاء فمنها:

١- الصبر والمصابرة والتقوى: قال الله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران:١٨٦] .

وقال تعالى ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران:١٢٠] .

وقال تعالى ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:٩٠] .

وفي الصحيحين (١) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**... ومن يتصبر يصبره الله وما أعطي أحد عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر**».

٢- ومن وسائل الثبات عند الابتلاء اللجوء إلى الله وسؤاله الثبات عند الابتلاء: قال الله تعالى عن بعض الصالحين: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٥٠] .

وقد كان النبي ﷺ يسأل الله الثبات دائمًا: ففي سُنن الترمذي (٢) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: « **يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك** » فقلت: يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل

---

(١) البخاري برقم (١٤٦٩) ومسلم برقم (١٠٥٣) .
(٢) صحيح الترمذي برقم (٢١٤٠) .

تخاف علينا ؟، قال: « **نعم ، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبهما كما يشاء** » .

٣- ومن وسائل الثبات عند الابتلاء معرفة الطريق ، فالطريق وعرة ومحفوفة بالشهوات والشبهات والمكاره :ففي الصحيحين [(١)] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : « **حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره** » .

قال الإمام ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : «.... أين أنت والطريق، طريق تعب فيه آدم، وناح لأجله نوح، ورمي في النار الخليل، واضطجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس، ولبث في السجن بضع سنين، ونشر بالمنشار زكريا، وذبح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضر أيوب، وزاد على المقدار بكاء داود، وسار مع الوحش عيسى، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد ﷺ ، بينما تزها أنت باللهو واللعب». [(٢)]

٤- ومن وسائل الثبات عند الابتلاء ذكر الله تعالى :قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال :٤٥] .

٥- ومن وسائل الثبات عند الابتلاء كثرة الصلاة:قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[البقرة :١٥٣] .

٦- ومن وسائل الثبات عند الابتلاء التوكل على الله ومعرفة أن كل شيء بقضاءٍ وقدر: قال الله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد :٢٢] .

(١) البخاري برقم (٦٤٨٧) ومسلم برقم (٢٨٢٢) .
(٢) فوائد الفوائد ص(٤٨٥) .

ولهذا لما طلب الحجاج سعيد بن جبير يريد قتله بكى رجل فقال له سعيد ما يبكيك قال لما أصابك قال سعيد فلا تبك إذًا لقد كان في علم الله أن يكون هذا الأمر ثم تلا هذه الآية.

٧- ومن وسائل الثبات عند الابتلاء الالتفاف حول العلم والتعليم ومجالسة العلماء الراسخين العاملين بالعلم والاستماع إلى نصائحهم وتوجيهاتهم فإنها تز يد الإيمان وتثبت الأقدام: ولهذا قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في شيخه ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : وعلم الله ما رأيت أحدًا أطيب عيشًا منه قط ، مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها ، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق ، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشًا ، وأشرحهم صدرًا ، وأقواهم قلبًا ، وأسرهم نفسًا تلوح نضرة النعيم على وجهه ، وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون ، وضاقت بنا الأرض ، أتيناه فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه ، فيذهب ذلك كله ، وينقلب انشراحًا وقوة ، ويقينا وطمأنينة ، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه ، وفتح لهم أبوابها في دار العمل ، فآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها . [١]

اللهم عافنا واعف عنا واشف مرضانا ، وعاف مبتلانا ، واقض الدين عن مدينا ، وفرج عن مكروبنا ، واكشف السوء عن مهمومنا، اللهم آمن روعاتنا واستر عوراتنا ، وول علينا خيارنا ، ولا تول علينا شرارنا ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

(١) الوابل الصيب ص (٧٠) .

١٧ أسباب دفع البلاء

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أما بعد: أيها المسلمون إن المصائب والكربات التى تصيب المؤمنين

من عباده هي من عند أنفسهم سواء كانت هذه المصائب والنكبات فردية أو جماعية ، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ [الشورى :٣٠] .

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [آل عمران :١٦٥] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴾ [آل عمران :١٥٥] .

قال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة (١) .

وقال ايضًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : لاير جونَّ عبد الا ربه ولا يخافنَّ الا ذنبه(٢) .

ومن رحمة الله بعباده أنه -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- جعل أسبابًا لدفع البلاء قبل نزوله ولرفع البلاء بعد نزوله وهذه الأسباب إما أن تزيل البلاء أو تخفضه بإذن الله على حسب قوة بذل الأسباب والصدق فيها والله المستعان .

عباد الله : لقد بين الله في كتابه الكريم أسباب دفع البلاء ورفعه وأعظمها دفعًا للبلاء ورفعه .

السبب الأول :الرجوع إلى الله تعالى رجوعًا صادقًا:

فالرجوع إلى الله والالتجاء اليه في كل وقت وخصوصًا في وقت الملمات والشدائد والأزمات أكثر وأكثر،قال الله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ [الروم :٤١] .

---

(١) الجواب الكافي ص (٩٨) .
(٢) مفتاح دار السعادة ج١(١٦٨) .

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [السجدة :٢١] .

وقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ ٱلصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِٱلْحَسَنَاتِ وَٱلسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأعراف :١٦٨] .

قال الحافظ ابن كثير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- [(١)] وبلوناهم أي اختبرناهم بالحسنات والسيئات ، أي بالرخاء والشدة ، والرغبة والرهبة ، والعافية والبلاء ، وكل هذا من أجل الرجوع إلى الله تعالى .

ولكن بنو إسرائيل أهل نكث ونقض للعهود قال الله تعالى: ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الزخرف :٤٨-٥٠] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [الأعراف :١٣٣-١٣٥] .

إخوة الإيمان والعقيدة وهذا الخليفة العباسي المهدي بن أبي جعفر المنصور لماهاجت ريح سوداء يقول حارسه وجدته ساجدًا على التراب وهو يقول .اللهم لا تشمت بنا أعداءنا من الأمم ولا تفجع بنا نبينا اللهم إن كنت

---

(١) تفسير ابن كثير ج٤(١٠٩) .

أخذت العامة بذنبي فهذه ناصيتي بيدك فما أتم كلامه حتى انجلت (١).

السبب الثاني :التوبة والاستغفار:

والتوبة هي الرجوع إلى الله تعالى من معصيته ظاهرًا وباطنًا إلى طاعته ظاهرًا وباطنًا. والاستغفار: هو طلب المغفرة من الله تعالى ، قال تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْۖ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [التوبة :٧٤].

إننا نعيش في أحداث مهيلة لا يرفعها الله إلا بالتوبة والرجوع اليه ، ولكن للأسف من الناس من لا يزداد عند الفتن والمحن إلا بعدًا وإعراضًا قال تعالى عن الكفار: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [التوبة :١٢٦].

والاستغفار سبب لمنع العذاب قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال :٣٣].

والاستغفار يورث العافية في البدن والرزق الوفير والثبات على الدين والاندفاع إلى الخير قال الله تعالى: إخبارًا عن نوح عليه السلام ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾ [نوح :١٠-١٤].

والاستغفار سبب لرحمة الله تعالى قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ

(١) سير أعلام النبلاء ج٧(٤٠٢).

﴿ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [النمل :٤٥-٤٦] .

فكم يدفع الله من البلاء والعقوبات عن العباد بسبب التوبة والاستغفار، ولهذا يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلًا ﴾ [الكهف :٥٥] .

وهناك علامات للتوبة جمعها الإمام شقيق البلخي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- يقول(١) : علامة التوبة البكاء على ما سلف، والخوف من الوقوع في الذنب، وهجران إخوان السوء، وملازمة الأخيار.

السبب الثالث من أسباب دفع البلاء : التقوى والإيمان :

قال الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الأنفال :٢٩].

وقال الله -سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق :٢-٣].

يا شاكيًا هم الحياة وضيقها أبشر بربك قد أبان المنهجا
من يتق الرحمن جل جلاله يجعل له من كل ضيق مخرجًا

قال ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: صاحب الصدق مع الله لا تضره الفتن. (٢)

(١) سير أعلام النبلاء ج٩(٣١٥) .
(٢) الفتح ج٦(١٨٣) .

وقال أيضًا -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : الله يجعل لأوليائه عند ابتلائهم مخارج (١)

وقال الإمام ابن الجوزي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-(٢) من أراد دوام العافية فليتق الله، ما أقبل مقبل عليه إلا وجد كل خير لديه، ولا أعرض معرض عن طاعته إلا وتعثر في ثوب غفلته .

وقال أبو سليمان -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: من أحسن في ليله كفي في نهاره (٣).

فالله يدفع البلاء والفتن عن أهل التقوى والإيمان .قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس : ٩٨].

ولما وقعت فتنة ابن الأشعث قال بكر بن عبد الله المزني لطلق بن حبيب: كيف نفعل فقال : اتقوها بالتقوى قيل له اجمل لنا التقوى ، قال: التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخشى عقاب الله.(٤)

السبب الرابع من أسباب دفع البلاء :التعرف إلى الله في الرخاء:

قال الله ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء : ٨٧-٨٨].

وقال الله عن يونس بن متَّى : ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟

(١) الفتح ج٧(١٥٥) .
(٢) مواعظ ابن الجوزي ص(١١١) .
(٣) مواعظ ابن الجوزي ص(١١١) .
(٤) مصنف ابن أبي شيبه برقم (٣٦٣٠٨) .

فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [الصافات : ١٤٣-١٤٨].

بخلاف عدو الله فرعون لما كان في رخائه جبارًا عنيدًا ومتمردًا ظالمًا قال الله عنه : ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [يونس : ٩٠-٩١].

وقد ثبت عند الترمذي و الحاكم [(١)] عن أبي هريرة قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قال رسول الله ﷺ : « **من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء** ».

وجاء في سُنن الترمذي [(٢)] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا فقال : « **يا غلام إني أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء ، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف** » ، وفي رواية قال رسول الله ﷺ : «**تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**» .

وقال حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليأتين على الناس زمان لا ينجو فيه إلا من دعاء بدعاء كدعاء الغريق » [(٣)]

نسأل الله أن يحفظ علينا ديننا وأن يتوفانا مسلمين .

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) صحيح الترمذي برقم (٣٣٨٢) الحاكم ج١(٥٤٤) .
(٢) صحيح الترمذي برقم (٢٥١٦) .
(٣) مصنف ابن أبي شيبة برقم (٢٩٧٨٣) .

الخطبة الثانية :

الحمد لله كتب الرحمة لمن اتقاه ، وأعد الشقاء لمن عصى أمره ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه .

أما بعد :

فاتقوا الله عباد الله وتوبوا اليه واستغفروه وأكثروا من دعاءه وسؤاله.

عباد الله :

السبب الخامس من أسباب دفع البلاء الدعاء :

وما أدراكم ما الدعاء إنه سلاح المؤمنين ، وسبب عظيم لرفع البلاء المبين .

قال الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى-:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه ولا تدري بما صنع الدعاء

سهام الليل لا تخطي ولكن لها أمد وللأمد انقضاء

عند الطبراني في الأوسط [1] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : قال رسول الله ﷺ: «**لا يغني حذر من قدر ،والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء ، فيعتلجان إلى يوم القيامة**» .

في سُنن الترمذي و مُسند البزار [2] عن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر** » .

---

(١) الطبراني في الأوسط برقم (٢٤٩٨) الجامع الصحيح للألباني برقم (٧٧٣٩) .

(٢) الترمذي برقم (٢١٣٩) البزار برقم (٢٥٤٠) الصحيحة برقم (١٥٤) .

قال الإمام الشوكاني –رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى– : « فيه دليل على أنه يدفع بالدعاء وما قد قضاه سبحانه على العبد » .

وثبت عند الحاكم [١] عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **الدعاء ينفع مما نزل ، ومما لم ينزل ، فعليكم عباد الله بالدعاء** » .

فالدعاء يا عباد الله عظيم يرفع الله به البلاء والشقاء قال الله تعالى: عن نبيه إبراهيم –عليه الصلاة والسلام– ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ [مريم: ٤٨] .

وقال تعالى عن نبيه زكريا –عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ– : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ [مريم: ٤] .

قال ابن القيم –رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى– [٢] والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدفعه، ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه، أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن. وله مع البلاء ثلاث مقامات:

أحدها: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه.

الثاني: أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء، فيصاب به العبد، ولكن قد يخففه، وإن كان ضعيفا.

الثالث: أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه. وقد أمر الله عباده بدعائه تضرعًا وخفية قال الله تعالى: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٥] .

و صح عند البزار [٣] عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ « مر بقوم مبتلين

---

(١) المستدرك (٤/٤٩٣) وصحيح الجامع برقم (٣٤٠٩) .
(٢) الجواب الكافي ص(١٦) .
(٣) البزار كشف الأستار برقم (٣١٣٤) الصحيحة للألباني برقم (٢١٩٧) .

فقال: أما كان هؤلاء يسألون الله العافية».

وجاء في صحيح مسلم [١] عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ « عاد رجلًا من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ، فقال له رسول الله ﷺ: «**هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه؟**» قال: نعم، كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة، فعجله لي في الدنيا ، فقال رسول الله ﷺ : « **سبحان الله لا تطيقه - أو لا تستطيعه - أفلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، قال: فدعا الله له فشفاه** » .

ففي الصحيحين [٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :«**كان رسول الله ﷺ يتعوذ بالله من جهد البلاء،ودرك الشقاء،وسوء القضاء،وشماتة الأعداء**».

السبب السادس من أسباب دفع البلاء : التضرع إلى الله الاستكانة إليه تعالى:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٢] .

وقال سبحانه ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٤] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[المؤمنون: ٧٥-٧٧] .

---

(١) مسلم برقم (٢٦٨٨) .
(٢) البخاري برقم (٦٣٤٧) ومسلم برقم (٢٧٠٧) .

السبب السابع من أسباب دفع البلاء: تعلم العلم ونشره والدعوة إليه والرحلة في طلبه:

قال إبراهيم بن أدهم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : إن الله ليرفع البلاء عن هذه الأمة برحلة أصحاب الحديث [١].

وقال ابن فضل عن حمزة بن حبيب الزيات وهو شيخ القراء -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ما حسبت أن الله يدفع البلاء عن أهل الكوفة إلا بحمزة الزيات [٢].

وقال بعض السلف [٣]: كل بلدة يكون فيها أربعة فأهلها معصومون من البلاء، إمام عادل لا يظلم، وعالم على سبيل الهدى، ومشايخ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويحرضون على طلب العلم والقرآن، ونساؤهم مستورات لا يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى.

السبب الثامن من أسباب دفع البلاء صنائع المعروف:

فقد صح عند الطبراني [٤] عن أبي أمامه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «**صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر**».

وما أجمل كلام خديجة بنت خويلد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا حينما قالت لرسول الله ﷺ ففي البخاري [٥] عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «**أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء**

(١) الباعث الحثيث ص (١٧٥).
(٢) السير ج٧(٩١).
(٣) تفسير القرطبي ج٤(٤٩).
(٤) الطبراني برقم (٨٠١٤) الجامع الصحيح برقم(٣٧٩٧).
(٥) البخاري برقم (٣).

فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ قال ما أنا بقارئ قال: « فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ﴾ [العلق: ١-٣] .

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال: «زملوني زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «لقد خشيت على نفسي» فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل ابن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ : «أو مخرجي هم»، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي».

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- [١] فإن للصدقة تأثيرًا عجيبًا في دفع أنواع البلاء ولو كانت من فاجر أو من ظالم بل من كافر، فإن الله تعالى يدفع بها عنه أنواعًا من البلاء ، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مقرون به لأنهم جربوه.

السبب التاسع من أسباب دفع البلاء ورفعه التوكل على الله تعالى: وهو صدق الاعتماد على الله في جلب المنافع ودفع المضار:

قال الله تعالى: ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق: ٣] .

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- [٢] : « من سره أن يكون أقوى الناس، فليتوكل على الله » .

والأدلة أكثر من أن تحصى في أن التوكل على الله سبب للوقاية والحفظ والكفاية ، فاللهم ادفع عنا كل سوء ومكروه ، وارفع ماحلَّ بنا من المحن والفتن ، اللهم اكشف ضرنا وتجاوز عنَّا وتب علينا .

أمة الإسلام ثبت عند الترمذي [٣] عن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء فقيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: إذا كان المغنم دولا، والأمانة مغنمًا، والزكاة مغرمًا، وأطاع الرجل زوجته، وعق أمه، وبر صديقه، وجفا أباه، وارتفعت الأصوات في المساجد، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره، وشربت الخمور، ولبس الحرير، واتخذت القينات والمعازف، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء أو خسفًا ومسخًا**». وهذا

(١) الوابل الصيب ص (٧٠) .
(٢) زاد المعاد ج٢(٣٣١) .
(٣) سُنن الترمذي برقم (٢٢١٠) .

الحديث وإن كان ضعيف السند لكن بعض معانيه صحيحة .

نسأل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أن يثبت قلوبنا على طاعته ، وأن لا يزغها بعد هدايتها ، اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد ، يعز فيه أهل طاعتك ، ويذل فيه أهل معصيتك، ويؤمرون بالمعروف ، وينهون فيه عن المنكر .

اللهم فرج هم المهمومين من المسلمين ، اللهم اشف مرضاهم ، وعاف مبتلاهم ، واجبر مصابهم برحمتك ياذا الجلال والإكرام .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.

١٨ أسباب النجاة من الفتن

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى وراقبوه في السر والنجوى .

عباد الله : سوف اتحدث في هذه الجمعة المباركة بإذن الله عن أسباب

النجاة من الفتن .

وأسباب النجاة من الفتن كثيرة وسنذكر أهم تلكم الأسباب التي من حققها وقام بها بإذن الله - عَزَّوَجَلَّ - نجاه الله من الفتن. والفتن كثيرة وأنواعها عديدة وقد أخبر النبي ﷺ عن كثرة الفتن بين يدي الساعة وأخبر عليه الصلاة والسلام أن الفتن ستقع لا محالة، وقبل ذكر الأسباب أذكر لك أخي الكريم أن الفتن لابد من وقوعها لا محالة كونًا وقدرًا.

فقد روى الإمام أبو داود في سُننه [١] عن المقداد بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أيم الله، لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، ولمن ابتلي فصبر فواها**» ، قوله «فواها »أي عجبًا له ، فبين النبي -عليه الصلاة والسلام- أن السعيد هو الذي يجنبه الله من الفتن، .فهذا دليل على وقوعها وحصولها ولكن المؤمن يكون فطنًا وذكيًا وبعيدًا عن الفتن ومواطنها .

قال بعض العلماء : إذا كنت من أهل الفطن فلا تدر حول الفتن.

وفي سُنن ابن ماجه [٢] عن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**لم يبق من الدنيا إلا بلاء وفتنة** » .

وروى الإمام أبو داود والترمذي [٣] عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ :« **إذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة**»، ولما وضع السيف في وقت الخليفة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم تزل تظهر الفتن والقتل والاقتتال ولن يرفع السيف عن هذه الأمة إلى يوم القيامة.

عباد الله : كم وردت من أحاديث في الفتن كما هو معلوم في الصحاح

(١) سُنن أبي داود برقم (٤٢٦٣) وصححه الألباني .
(٢) سُنن ابن ماجه برقم (٤٠٣٥) وصححه الألباني .
(٣) سُنن أبي داود برقم (٤٢٥٢) والترمذي برقم (٢٢٠٢) وصححه الألباني .

والسُنن والمسانيد عن ظهور الفتن بين يدي الساعة وكثرتها ، وكثرة القتل والاقتتال ووجود الخلاف والاختلاف ، إلى غير ذلكم من الأحاديث في هذا الباب ، ولكن يا عباد الله العاقل والفطن هو الذي يبحث عن أسباب النجاة ويبعد نفسه عن الفتن بقدر المستطاع ، ولا شك عباد الله أن العلاج لهذا الداء موجود في كتاب الله وفي سُنَّة محمد ﷺ.

فالفتن داءٌ عضال والدواء موجود لهذه الفتن ولهذه المحن والبلايا الموجودة والنوازل بين الناس ، وإن من أعظم أسباب النجاة من الفتن .

١- الاعتصام بكتاب الله وبسُنَّة رسول الله ﷺ : قال الله تعالى: ﴿ **وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ [آل عمران :١٠١] .

ومعنى قوله : ﴿ **وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ أي نال الهداية ووصل إلى الهداية وابتعد عن الضلالة والغواية وعن الفتن والمحن، قال الله تعالى: ﴿ **وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾ [آل عمران :١٠٣] .

فأمر الله – عَزَّوَجَلَّ – بالاعتصام ونهى عن الفرقة والاختلاف .

وروى الإمام مسلم في صحيحه[١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: « **إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال وكثرة السؤال، وإضاعة المال** » وفي رواية : «**إن الله**

(١) صحيح مسلم برقم (١٧١٥) .

يرضى لكم ثلاثًا ويسخط لكم ثلاثًا، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويكره لكم: قيل وقال وكثرة السؤال، وإضاعة المال» (١) .

والشاهد وأن ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ ﴾ أي بكتاب الله ، وفسّر قوله تعالى ﴿ بِحَبْلِ ٱللَّهِ ﴾ أي بجماعة المسلمين .أو بعهد الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- .

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة :١٥-١٦] ، فيخرجهم من ظلمات الجهل ومن ظلمات الفتن ومن ظلمات المعاصي والذنوب والسيئات وغير ذلكم من أنواع الظلمات، قد شبه النبي ﷺ الفتن بالظلمة و بقطع الليل المظلم ، أرأيت إذا خرج الإنسان في الليل في الظلام الدامس إنه لا يرى موضع قدمه من أجل أن يمشي في الأرض، فإنه ربما سقط إلى حفرة أو دخل الشوك في قدميه أو انصدم بالجدار أو غير ذلك مما يحصل، للإنسان الذي يمشي في الظلام فالفتن كذلك كقطع الليل المظلم .

كما روى الإمام مسلم في صحيحه (٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : «**بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا** » زاد أحمد « **بعرض من الدنيا قليل** » .

---

(١) الأدب المفرد برقم (٤٤٢) .
(٢) مسلم برقم (١١٨) ورواه أحمد برقم (٨٠٣٠) .

فهذه الفتن مظلمة ما الذي يبددها وما الذي يوضحها للإنسان ويصبح الإنسان عارفًا بالفتن وبأسباب الفتن لم يجد ذلك فرجًا ومخرجًا إلا إذا عاد إلى كتاب الله وإلى سُنَّة نبيه محمد ﷺ .

ولذلك سمى الله – عَزَّوَجَلَّ – كتابه نورًا قال الله تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [التغابن :٨] .

وقال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [النساء :١٧٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[الأعراف :١٥٧] .

قوله: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ﴾ أي القرآن ، وقد سمى الله كتابه بصائر قال تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾[الأنعام :١٠٤] .

وقال تعالى: ﴿ هَـٰذَا بَصَـٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [الجاثية :٢٠] . فالاعتصام بكتاب الله وبسُنَّة نبيه محمد ﷺ ، من أعظم الأسباب المنجية للإنسان من الفتن والمحن.

وروى الإمام مسلم في صحيحه (١) عن جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، في حديث حجة النبي ﷺ قال: « **وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله، وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟** » قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال: بإصبعه السبابة، يرفعها إلى

(١) مسلم برقم (١٢١٨) .

السماء وينكتها إلى الناس «**اللهم، اشهد، اللهم، اشهد**» ثلاث مرات،فإذا اعتصم المسلمون بكتاب الله فإنهم لن يقعوا في الضلال بإذن الله تعالى .

وروى الإمام الحاكم في مستدركه [١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسُنَّتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض**» .

وجاء عن عبد الرحمن بن أبزى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال لما وقع الناس في الفتنة أي الفتنة التي جرت بين الخليفة الراشد عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبين الناس، وتكلم الناس في أمر عثمان وطعن فيه من طعن ، قال عبد الرحمن فجئت إلى أُبي بن كعب فقلت يا أبا المنذر ماذا ترى في هذه الفتنة وما المخرج من هذه الفتنة ، فقال أُبي بن كعب المخرج: كتاب الله تعالى – عَزَّوَجَلَّ – فما استبان لك فيه فاعمل به ، وما لم يتبين لك فكله إلى عالمه » .

٢-الاعتصام بسُنَّة النبي ﷺ سبب من أسباب النجاة من الفتن والمصائب كلها: فقد روى بعض اصحاب السُنن [٢] عن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإن تأمر عليكم عبد وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة**» ، وقوله : « **فسيرى اختلافًا كثيرًا** » ما المخرج وما النجاة من هذه الأمور التي يراها من يعيش ويسمع بها ، الجواب في قوله « **فعليكم بسنتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ** » .

---

(١) مستدرك الحاكم ج ١(٩٣) وصححه العلامة الألباني في الصحيحة برقم (١٧٦١) .
(٢) سُنن أبي داود برقم (٤٦٠٧) سُنن الترمذي برقم (٢٦٧٦) سُنن ابن ماجه برقم (٤٢) .

٣- ومن الأسباب المنجية من الفتن تقوى الله-عَزَّوَجَلَّ- في السر والعلانية ، فمن كان لله تقيًا نجاه الله من الفتن ومن المحن ومن كل المصائب يقول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الأنفال :٢٩] أي تفرقون به بين الحق والباطل والهدى والضلال والخير والشر والبدعة والسُّنَّة .

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجًا ﴾ [الطلاق :٢] .

وقال الله -سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرًا ﴾ [الطلاق :٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورًا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الحديد :٢٨] .

وقال طلق بن حبيب -رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى- :كما صح عند ابن أبي شيبة -رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى- في مصنفه عندما سأله بكر بن عبدالله المزني -رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى-، عن فتنة ابن الأشعث التي جرت بينه وبين الحجاج بن يوسف فقال أتقوها بالتقوى قيل له أجمل لنا التقوى ، قال التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخشى عقاب الله.[١] وقوله : (اتقوها بالتقوى) أي هذه الفتنة.

وصح عن أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أنه قال:«لن تكون تقيًا حتى تكون عالمًا» فلن تعرف حقيقة التقوى إلا إذا تعلمت الشريعة ، وعرفت أحكام الله .

(١) مصنف ابن أبي شيبه برقم (٣٦٣٠٨) .

قال الحافظ ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: « والله يجعل لأوليائه عند ابتلائهم مخارج » . [(١)]

وقال ايضًا -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- : « وصاحب الصدق مع الله لا تضره الفتن » . [(٢)]

وانظروا إلى أولئك الثلاثة الذين دخلوا الغار فتوسل واحد من أولئك الثلاثة بتقوى الله وترك المرأة وقد قعد منها مقعد الرجل من امرأته ترك ذلك خوفًا من الله لما قالت له : اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فعرف حقيقة التقوى وهزت تلك الكلمة مشاعره وأحاسيسه فتحرك لهذه الكلمة قلبه وقال : اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك من أجلك ابتغاء وجهك فافرج عنا مما نحن فيه ففرج الله عنهم لأنها قالت له : اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه [(٣)].

٤- ومن أسباب النجاة من الفتن التسلح بالعلم الشرعي وهذا من أعظم الأسباب فقد روى البخاري [(٤)] عن أبي بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: لقد نفعني الله بكلمة سمعتها من رسول الله ﷺ أيام الجمل، بعد ما كدت أن ألحق بأصحاب الجمل فأقاتل معهم، قال: لما بلغ رسول الله ﷺ أن أهل فارس، قد ملكوا عليهم بنت كسرى، قال: « **لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة** » «قوله بكلمة» أي بحديث ، عن أبي بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : أردت أن أخرج في معركة الجمل أي لما خرجت عائشة وطلحة والزبير قال أبو بكرة وذكر الحديث» قال: فرجعت ونفعني الله بهذا الحديث من رسول الله ﷺ، فالعلم يكون نورًا ويكون سببًا عظيمًا ومانعًا كبيرًا للإنسان من

(١) فتح الباري: ج ٦(٤٨٣) .
(٢) فتح الباري: ج ٦(٤٨٣) .
(٣) البخاري برقم (٢٢١٥) ومسلم برقم (٢٧٤٣) عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا .
(٤) البخاري بر قم (٤٤٢٥) .

أن يقع في الفتن .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى– [(١)]: فإذا انقطع عن الناس نور النبوة وقعوا في ظلمة الفتن وحدثت البدع والفجور ووقع الشر بينهم، متى هذا ؟ إذا انقطع نور النبوة .

وقد ثبت في الصحيحين [(٢)] عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **إن من أشراط الساعة: أن يرفع العلم، ويظهر الجهل، ويفشو الزنا، ويشرب الخمر، ويذهب الرجال، ويبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد** » .

فلا شك أن رفع العلم يكون بذهاب حملته وهم العلماء كما صح ذلك، عند البخاري ومسلم [(٣)] عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يترك عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا** ». ومعنى يترك .أي لم يبق.

فإذا تعلم الرجل كتاب الله وتعلم سُنَّة رسول الله ﷺ ، فقد اكتسب النور العظيم ، ومن لم يجعل الله له نورًا فماله من نور ، بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بكتابه الكريم، وبهدي سيد المرسلين محمد ابن عبدالله الصادق الأمين .

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب وأتوب اليه.

---

(١) مجموع الفتاوى :ج١٧(٣١٠) .

(٢) البخاري برقم (٦٨٠٨) ومسلم برقم (٢٦٧١) .

(٣) البخاري برقم (١٠٠) ومسلم برقم (٢٦٧٣) واللفظ لمسلم.

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، وصاحب الخُلق العظيم ، والهدي القويم ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون قد سمعتم بعض أسباب النجاة من الفتن ، وإن من أعظمها وأهمها أيضًا.

٥- الدعاء،فالدعاء سلاح عظيم من النجاة من الفتن ومن كل البلايا.

ويكره الدعاء بتعجيل العقوبة كما روى الإمام مسلم في صحيحه في باب الذكر والدعاء[١] عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ عاد رجلًا من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ فقال له رسول الله ﷺ : «**هل كنت تدعو الله بشيء أو تسأله إياه؟**» . قال: نعم كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا. فقال رسول الله ﷺ : « **سبحان الله لا تطيقه أولا تستطيعه أفلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار** «. **قال: فدعا الله له فشفاه**» .

واسمعوا لهذه القصة التي ذكرها أبو نعيم الأصبهاني -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى- في كتابه الحلية [٢] قال هذا رجل اسمه عبد الله بن عامر بن ربيعة : قال كان أبي يقوم لما نشبت الفتنة بين الناس كان أبي يقوم في الليل ويصلي

(١) مسلم برقم (٢٦٨٨) .
(٢) الحلية ج١(١٧٨) .

ويدعو الله ففي ذات ليلة قام يصلي في أيام الفتنة ثم بعد ذلك نام ورى رؤيا في المنام من يقول له قم فسل الله أن يعيذك مما أعاذبه صالح عباده ، فقام بعد هذه الرؤيا قام يصلي ودعا الله وقال اللهم : قني من الفتنة بما وقيت به الصالحين من عبادك قال : فاشتكى ومرض قال ابنه فما خرج أبي الا جنازة.

وقوله : (لما نشبت الفتنة بين الناس) أي في عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقوله الا جنازة ، أي أصيب بالمرض حتى مات وحفظه الله من الفتنة .

وجاء عند عبد الرزاق في مصنفه [١] عن عامر بن ربيعة أن طاووس ابن كيسان اليماني -رَحِمَهُ اللَّهُ- قال : (وقعت الفتنة ، قال عامر بن ربيعة أوثقوني بالحديد فإني مجنون فأوثقوه قال ولما قتل عثمان قال لأهله أما الآن ففكوا عني الحديد الحمد لله الذي شفانِي من الجنون وعافاني من قتل عثمان) وقوله (وقعت الفتنة) أي بين عثمان والخوارج الذين خرجوا عن إمارته .

فكان السلف يخافون على إيمانهم ويخافون على استقامتهم عند الفتن.

٦- ومن أسباب النجاة من الفتن الالتفاف حول العلماء الربانيين وسؤالهم عن الفتن المدلهمة النازلة بالبلاد وبالعباد ، فإنهم أعرف الناس بالفتن وأضرارها قال الله تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل :٤٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[النساء :٨٣] .

(١) مصنف عبد الرزاق ج١١(٤٥٠) .

وقوله: ﴿ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ ﴾ أي العلماء ﴿ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ ﴾ الفقهاء والعلماء يعرفون الفتن ومداخل الفتن وما في الفتن من اضرار ومن بداية الفتنة إلى نهايتها بسبب العلم والنور الذي أعطاهم الله بذلك . وانظروا كم ثبت الله -عَزَّوَجَلَّ- الأمة وحفظها بسبب علمائها ، هذا علي بن المديني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- :كان يقول إن الله أعز الإسلام، برجلين ، بالصديق يوم الردة وبأحمد بن حنبل يوم المحنة .

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- وهو يتحدث عن شيخه ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- (١) : وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون ، وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحًا وقوة ويقينًا وطمأنينة .

فوجود العلماء أمان للعباد وأمان للبلاد فيجب على الناس أن يسألوهم فيما أشكل عليهم من أمر دينهم ، فإن الله يقول : ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنبياء :٢٥] ، وإذا ما سألنا العلماء في وقت الفتن وفي وقت المحن ، فمتى نسألهم ؟، إن أحق السؤال أن يوجه إليهم عند وجود المضايق والشدائد والفتن .

٧- ومن أسباب النجاة من الفتن أن يبتعد الرجل عن الفتن بقدر المستطاع عن الفتنة ومواطنها وعن الزج فيها ، والقرب منها قال ابن الجوزي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- (٢): من قارب الفتنة، بعدت عنه السلامة، ومن ادعى الصبر، وكل إلى نفسه.« وقوله من ادعى الصبر » أي في الفتنة، وقال: أنا قوي لا أخاف على ديني ولا على عقيدتي ، وكل إلى نفسه ، أي

(١) الوابل الصيب ص(١١٠) .
(٢) صيد الخاطر ص (٤١) .

وكله الله إلى نفسه .

ولذلك قال النبي ﷺ كما في الصحيحين [١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **ستكون فتن، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تستشر فه،ومن وجد فيها ملجأً أو معاذًا، فليعذبه** » وقوله القاعد فيها ، أي في الفتنة.

فكل ما كان الإنسان مقتربًا من الفتنة كلما لطمته وصرعته، وكلما كان بعيدًا عنها نجا منها بإذن الله – عَزَّوَجَلَّ – .

ولما وقعت الفتنة في البصرة ركب الأسود بن سريع بغلته ثم ذهب لا يُدرى أين هو ، ولا يعرف الناس أين توجه وأين ذهب ، حتى لا يقع في الفتنة التى وقعت في أرض البصرة .

وهذا إبراهيم النخعي –رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى– قال : لما جرت الفتنة بين ابن الأشعث وبين الحجاج بن يوسف الثقفي في يوم الجماجم ، وفي يوم الزاوية سئل إبراهيم النخعي –رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى– :أين كنت يوم الجماجم وأين كنت يوم الزاوية ، قال : كنت في بيتي .

فيجب على المسلم أن يترك القتال و سفك الدماء، التي ليست إلا من أجل الملك والمصالح الشخصية والحزبية المقيتة .

وقد روى أبو داود [٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :قال النبي ﷺ : « **ويل للعرب من شر قد اقترب أفلح من كف يده** » ، وقوله أفلح من كف يده. أي عن الفتنة ، والحديث في الصحيحين من حديث زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لكن هذا هو لفظ أبي داود « **أفلح من كف يده أي عن**

(١) البخاري برقم (٣٦٠١) ومسلم برقم (٢٨٨٦) .
(٢) صحيح أبي داود برقم (٤٢٤٩) .

سفك الدماء وعن القتل والاقتتال » ، روى الإمام أحمد [١] عن خالد بن عرفطة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسول الله ﷺ : « **يا خالد إنها ستكون بعدي أحداث وفتن واختلاف، فإن استطعت أن تكون عبد الله المقتول لا القاتل فافعل** ».

وثبت عند أبي داود في السُنن و الطبراني في الكبير [٢] عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: بينا نحن حول رسول الله ﷺ إذ ذكر الفتنة، أو ذكرت عنده، فقال: «**إذا رأيت الناس مرجت عهودهم، وخفت أماناتهم، فكانوا هكذا**» **وشبك بين أصابعه، قال: فقمت إليه فقلت: كيف أصنع عند ذلك جعلني الله فداءك؟! قال:** «**الزم بيتك، واملك عليك لسانك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بأمر الخاصة، ودع أمر العامة**» . وقوله «ماذا أفعل » أي إذا مرجت عهود الناس وضيعوا الأمانة ، واختلط بعضهم في بعض في القتال .

وثبت في مُسند أحمد [٣] عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لقيت رسول الله ﷺ ، فابتدأته فأخذت بيده، قال: فقلت: يا رسول الله، ما نجاة المؤمن؟ قال: « **يا عقبة، احرس لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك** » .

قال: أمسك عليك لسانك لأن حفظ اللسان من أعظم ما يسبب النجاة للإنسان من الفتن، حفظ اللسان عن الإشاعات ، قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات :٦] .

وكان بعض العلماء يقول: إنما الفتنة باللسان لا باليد ، أي الفتنة الخطيرة

---

(١) مُسند أحمد برقم (٢٢٤٩٩) وهو حديث حسن.
(٢) سُنن أبي داود برقم (٤٣٤٣) الطبراني برقم(١٤٥٩٠)وحسنه العلامة الألباني- رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٣) مُسند أحمد برقم (١٧٣٣٤) .

باللسان ، بالكلام ، بنقل الأخبار بالإشاعات الكاذبة .

وقد روى الإمام أحمد في مُسنده (١) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ : « **من صمت نجا** » .

واسمعوا إلى كلام ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند ابن أبي شيبة وقد صح السند اليه (٢) قال : « **قولوا خيرًا تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله ولا تكونوا عجلًا مذاييع بذرًا** » أي لا تكون مثل الإذاعة باللسان حصل جرى وقع ولا بذرًا لا تبذر بالكلام كالذي يبذر البر والشعير إلى الأرض.

واستمعوا أيضًا إلى هذه القصة التي ذكرها خليفة بن خياط في كتابه التاريخ (٣) أن زينب بنت أم سلمة ربيبت النبي ﷺ لما كانت يوم الحرة في المدينة ، ومات فيها سبعمائة صحابي لما كان يوم الحرة جيء إليها باثنين من أبنائها قد قتلا ، فلما نظرت إلى ولديها نظرت إليهما موتى أمام عينيها ، فقالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ما أعظم المصيبة علي فيهما ، ولهي في هذا أعظم علي منها في هذا ، أما هذا فبسط يده فقاتل حتى قُتل فأنا أخاف عليه، وأما هذا فكف يده حتى قتل فأنا أرجو له السلامة .« وقوله سبعمائة من الصحابة » أي هؤلاء من الصحابة دون غيرهم ، فأما غيرهم فقرابة عشرة الآلف من الذين قتلوا يوم الحرة . وقوله «جيء إليها » أي جاء الناس إلى زينب ، وقوله «قد قتلا »أي يوم الحرة . وقوله «أمام عينيها ». وقولها «ولهي أي المصيبة » ، «وقولها في هذا » أي هذا وتشير إلى أحد ولديها . « وقولها أعظم من هذا » أي أعظم عليّ مصيبة من هذا الولد . «وقولها لإن هذا بسط يده فقاتل » أي التي المصيبة أعظم من هذا «وقولها أخاف عليه » أي من عذاب الله لأنه بسط يده وشارك في الفتنة «وقولها في

(١) مُسند أحمد برقم (٦٦٥٤) .
(٢) مصنف ابن أبي شيبة برقم (٣٥٦٨٢) .
(٣) التاريخ لخليفة بن خياط ص ٢٣٩) وسندها صحيح.

الآخر أرجو له السلامة » أي من العذاب يوم القيامة .

٨- ومن أسباب النجاة من الفتن : الرفق في أيام الفتن احذر من الغلظة ومن الشدة في الكلام أو في المعاملة أو في الخصام أو في الجدال، فلا بد من الرفق ، فقد ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبي ﷺ قال: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**»[(١)] .

وقال ﷺ يا عائشة : « **إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله**» . [(٢)]

وجاء في صحيح مسلم أيضًا [(٣)] عن المستورد القرشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال عند عمرو بن العاص : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تقوم الساعة والروم أكثر الناس**» .فقال له عمرو: أبصر ما تقول! قال: أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ قال: لئن قلت ذلك؛ إن فيهم لخصالًا أربعًا: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك» وقوله إن فيهم .أي عند الروم .

فالإنسان إذا كان حليمًا غالبًا ينجيه حلمه من الفتن أما إذا كان متهورًا في أيام الفتنة فإنه يخشى عليه من القتل والفتنة . وكذلك الحلم والصبر لا بد منه والتأني في الأحكام وفي الأقوال .

٩- ومن أسباب النجاة من الفتن الاستعانة بالصبر والصلاة :قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه الكريم : ﴿ **وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾** ﴾[البقرة :٤٥-٤٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ**

---

(١) مسلم برقم (٢٥٩٤) .

(٢) البخاري برقم (٦٠٢٤) ومسلم برقم (٢٥٩٣) وهذا لفظ البخاري .

(٣) مسلم برقم (٢٨٩٨) .

﴿بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٩٨﴾ [الحجر :٩٧-٩٨] .

١٠- ومن أسباب النجاة من الفتن الصلاة في أيام الفتن والتفرغ للعبادة من أعظم النجاة من الفتن أخرج البخاري في صحيحه [(١)] عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: استيقظ رسول الله ﷺ ليلة فزعًا يقول: «**سبحان الله ماذا أنزل الليلة من الخزائن؟ وماذا أنزل من الفتن؟ من يوقظ صواحب الحجرات**» يريد أزواجه «**لكي يصلين؟ رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة**» وقال النبي ﷺ : « **العبادة في الهرج كهجرة إليَّ** » . [(٢)]

وروى الإمام أحمد في مُسنده [(٣)] عن معقل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **العبادة في الفتنة كالهجرة إليَّ** » .

فيجب على المسلم أن يكثر من الدعاء والاستغفار والتضرع بين يدي الله، ومن ثم أسباب أخرى لا يتسع الوقت لبقية ذكر الأسباب .

اللهم احفظ أمننا وبلادنا وسائر بلاد المسلمين ، اللهم وفق ولاة أمرنا إلى ما تحبه وترضاه ، ووفقهم للعمل بكتابك وسُنَّة نبيك محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

اللهم اجعلهم رحمة لعبادك المؤمنين ، اللهم أعذنا من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن .

عباد الله ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل :٩٠] . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) البخاري برقم (٧٠٦٩) .
(٢) صحيح مسلم برقم (٢٩٤٨) عن معقل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
(٣) أحمد في مُسنده برقم (٢٠٣١١) صحيح.

١٩ أسباب المغفرة

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون: لقد أمر الله - عَزَّوَجَلَّ - بالأعمال الصالحة وأخبر

سبحانه أنها سبب عظيم في دخول الجنة قال الله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الزخرف :٧٢] .

وقال تعالى ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [المرسلات :٤٣] .

قال سفيان بن عيينه –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– : كانوا يرون النجاة من النار بعفو الله ودخول الجنة بفضله واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال.(١)

وهذا أصل عظيم دل عليه الكتاب والسُّنَّة ، وهو أن الإنسان لا ينجيه من النار ولا يدخله الجنة عمله ، وإنما يدخل الجنة وينجو من النار بفضل الله ورحمته وإحسانه وكرمه ، قال الله تعالى: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [التوبة :٢١-٢٢] .

وقال تعالى : ﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾[آل عمران :١٩٥] .

وفي صحيح مسلم (٢) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **لن ينجي أحد منكم عمله** ، قال رجل : ولا إياك يا رسول الله ؟، **قال : ولا إياي إلا أن يتغمدني الله منه برحمة ولكن سددوا**» .

والحصول على مغفرة الله ورحمته خير من الدنيا وما فيها ، قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [آل عمران :١٥٧] .

وقد دعا الله عباده إلى مغفرته وجنته ، قال الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ

---

(١) الضوء المنير ج٤(٢٢) جمع علي الصالحي.
(٢) مسلم برقم (٢٨١٦) .

ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[البقرة: ٢٢١].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحديد: ٢١].

وقال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٦].

وأخبر -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أنه واسع المغفرة وأنه يغفر الذنوب جميعًا مع ظلم الناس وكثرة معاصيهم قال الله تعالى: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الرعد: ٦].

وقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴾ [الكهف: ٥٨].

وقال -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ

﴿ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر :٥٣] .

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أرجى آية في كتاب الله هذه الآية، وهي قوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[الزمر :٥٣] .

وقال عز من قائل: ﴿ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[الحجر:٤٩] .

وقال تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ [الأنعام :١٤٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء :١١٠] .

سبحان من يعطي ونخطي دائماً ولم يـزل مهما هفا العبد عفا

يعطي الـذي يخطي ولا يمنعه جلاله عن العطا لـذي الخطا

وثبت عند الترمذي (١) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **قال الله : يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني ، غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي ، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا ، لأتيتك بقرابها مغفرة** » .

هذا وقد جاءت أسباب للمغفرة كثيرة في القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية من ذلك:

١ – تحقيق التوحيد وهو السبب الأعظم لنيل مغفرة الله فمن فقده فقد المغفرة ومن حققه فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة: قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا

(١) صحيح الترمذي برقم (٣٥٤٠) .

يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء :٤٨] .

٢- ومنها الإيمان بالله والعمل الصالح: قال الله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾[المائدة :٩] .

وقال تعالى ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾ [الفتح :٢٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴾ [طه :٨٢] .

٣-ومن ذلك تحقيق التقوى: قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الأنفال :٢٩] .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الحديد :٢٨] .

٤.ومن ذلك العفو والصفح :قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ [النور :٢٢] .

٥.ومن ذلك خشية الله تعالى بالغيب: قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ

رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴾ [الملك :١٢] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ﴾ [يس :١١] .

٦-ومن ذلك إتباع رسول الله ﷺ: قال تعالى ﴿ **قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ** ﴾[آل عمران :١٣١] .

٧-ومن ذلك الجهاد في سبيل الله: قال تعالى : ﴿ **لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٩٥ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ٩٦** ﴾ [النساء :٩٥-٩٦] .

وثبت عند الترمذي [(١)] عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له في أول دفعة ـ أي من دمه ـ ، ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور « العين » ، ويشفع في سبعين من أقاربه** » .

٨-ومن ذلك الصدقة والإحسان: قال تعالى ﴿ إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [التغابن :١٧] .

أسأل الله العلي الأعلى أن يتفضل علينا بمغفرة منه ورضوان وأن يسكننا الجنان إنه ذو الفضل والإحسان. والحمد لله رب العالمين.

---

(١) صحيح الترمذي برقم (١٦٦٣) .

الخطبة الثانية :

الحمد لله ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِى ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [غافر :٣] ، وأشهد أن لا إله إلا الله لا ند له سبحانه، ولا شريك ولا مثيل ولا نظير ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، البشير النذير والسراج المنير ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ، وكل تابع مستنير .

أما بعد:

فيا أيها المسلمون: قد سمعتم بعض أسباب المغفرة وأسباب المغفرة كثيرة لا نستطيع ذكرها في مقامنا هذا ومن ثم أسباب أخرى من ذلك:

٩- إسباغ الوضوء :ففي صحيح مسلم (١) عن عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله ﷺ : « **من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره** ».

١٠- ومن ذلك الأذان: ففي سُنن النسائي (٢) عن البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن نبي الله ﷺ قال : « **إن الله وملائكته يصلون على الصف المقدم، والمؤذن يغفر له بمد صوته ، ويصدقه من سمعه من رطب ويابس ، وله مثل أجر من صلى معه** » .

١١- ومن ذلك الصلاة : ففي الصحيحين (٣) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

(١) مسلم برقم (٢٤٥) .
(٢) صحيح النسائي برقم (٦٤٥) .
(٣) البخاري برقم (٣٨) ومسلم برقم (٧٦٠) .

أن رسول الله ﷺ قال: « **أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ، هل يبقى من درنه شيء ؟** » ، قالوا : لا يبقى من درنه شيء ، قال: « **فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا** » .

١٢- ومن ذلك الصيام :ففي الصحيحين (١) عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : « **.... فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر والنهي...** » .

وفي الصحيحين (٢) عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا ، غُفر له ما تقدم من ذنبه**» .

١٣- ومن ذلك الحج والعمرة :فقد جاء عند الطبراني (٣) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال : « **..أما خروجك من بيتك تؤم البيت فإن لك بكل وطأة تطأ ها راحلتك يكتب الله لك بها حسنة، ويمحو عنك بها سيئة، وأما وقوفك بعرفة فإن الله - عَزَّ وَجَلَّ - ينزل إلى السماء الدنيا فيباهي بهم الملائكة، فيقول: هؤلاء عبادي جاءوني شعثًا غبرًا من كل فج عميق يرجون رحمتي، ويخافون عذابي، ولم يروني، فكيف لو رأوني؟ ، فلو كان عليك مثل رمل عالج، أو مثل أيام الدنيا، أو مثل قطر السماء ذنوبًا غسل الله عنك، وأما رميك الجمار فإنه مذ خور لك، وأما حلقك رأسك، فإن لك بكل شعرة تسقط حسنة، فإذا طفت بالبيت خرجت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك** » .

١٤- ومن ذلك بذل السلام وحسن الكلام :فقد جاء عند الخرائطي (٤)

---

(١) البخاري برقم (١٨٩٥) ومسلم برقم (١٤٤) .
(٢) البخاري: برقم (١٧٩٦) ومسلم: برقم (١٤٤) .
(٣) الطبراني في الكبير برقم (١٣٥٦٦) صحيح الجامع برقم (١٣٦٠) .
(٤) الخرائطي في مكارم الأخلاق برقم (٦٧) والصحيحة برقم (١٠٣٥) .

عن هانئ بن يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله، دلني على عمل يدخلني الجنة، قال: إن من موجبات المغفرة بذل السلام، وحسن الكلام.

١٥-المصافحة :ففي سُنن أبي داود[١] عن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول ﷺ «**ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا** »

١٦-ومن ذلك الإحسان إلى الحيوان والرفق به: ففي الصحيحين[٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: « **بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئرًا فنزل فيها فشرب ثم خرج ، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي ، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له** » . قالوا : يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجرًا ؟ ، فقال: « **في كل ذات كبد رطبة أجر** ».

١٧- ومن ذلك الإبتلاء بالمصائب : فقد روى الإمام أحمد في مُسنده[٣] عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: « **إذا ابتلى الله العبد المسلم ببلاء في جسده ، قال للملك: اكتب له صالح عمله الذي كان يعمل ، فإن شفاه غسله وطهره ، وإن قبضه غفر له ورحمه**» .

١٨- ومن ذلك إماطة الأذى عن الطريق: ففي الصحيحين[٤] عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : « **بينما رجل يمشى بطريق ، وجد غصن شوك فأخذه ، فشكر الله له ، فغفر له** » .

وفي رواية لمسلم : «**لقد رأيت رجلًا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها**

---

(١) صحيح أبي داود برقم (٥٢١٢) .
(٢) البخاري برقم (٦٠٠٩) ومسلم برقم (٢٢٤٤).
(٣) أحمد برقم (١٢٥٠٣) .
(٤) البخاري برقم (٢٤٧٢) ومسلم برقم (١٩١٤) .

من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس ».

١٩- ومن ذلك صفاء القلوب وطهارتها من الحسد والغل، والحقد والكبر والعجب ، وكل الأمراض.

ففي صحيح مسلم [(١)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال : « **تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا إلا رجلًا كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال أنظروا هذين حتى يصطلحا أنظروا هذين حتى يصطلحا أنظروا هذين حتى يصطلحا** » والشحناء: هي العداوة والبغضاء ومعنى أنظروا هذين : أي أخروهما .

٢٠- ومن ذلك الاستغفار: قال الله تعالى: عن نوح -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [نوح :١٠] .

قال بعض السلف إنما معوّل المذنبين البكاء والاستغفار فمن أهمته ذنوبه أكثر لها من الاستغفار.

فيا **أيها المسلمون:** أكثروا من التوبة والاستغفار ، واحذروا اللهو والغفلة ، واعلموا أن ذنوبكم تحصى عليكم .

ذنوبك يا مغرور تحصى وتحسب وتجمع في لوح حفيظ وتكتب

وقلبك في سهو ولهـو وغفلة وأنت على الدنيا حريص معذب

أيها المسلمون هنالك أسباب كثيرة للحصول على المغفرة غير ما تقدم ذكره ومن ذلك ما جاء في هذه الآية الكريمة من الخصال الحميدة قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ

(١) مسلم برقم (٢٥٦٥) .

وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥] .

وفقني الله وإياكم للعمل بها.

اللهم أعطنا من الخير فوق ما نرجو ، واصرف عنا من الشر فوق ما نحذر ، اللهم علق قلوبنا برجائك ، واقطع رجاءنا عمن سواك.

اللهم إنك تعلم عيوبنا فاسترها ، وتعلم حاجاتنا فأقضها ، اللهم اجعلنا ممن يأخذ الكتاب باليمين ، واجعلنا يوم الفزع الأكبر آمنين ، وأوصلنا برحمتك وكرمك إلى جنات النعيم ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، برحمتك يا أرحم الراحمين.

٢٠ الحسنات والسيئات

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أما بعد فيا أيها المسلمون: الحمد لله الذي جعل هذا اليوم يوم موعظة

وإرشاد وتوجيه للمسلمين هذا اليوم يوم يستمع المسلمون فيه إلى كلام رب العالمين وإلى كلام رسوله الأمين محمد ﷺ. ليزدادوا إيماناً إلى إيمانهم.

عباد الله وهذه موعظة من كتاب الله- عَزَّوَجَلَّ- ومن سُنَّة محمد ﷺ ، نسأل الله الكريم ربّ العرش العظيم ، أن ينفني وإياكم بها .

وعنوانها الحسنات والسيئات.

قال ابن الجوزي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- : « الحسنة هي التي لا يشوبها نقص في كونها حسنة والسيئة ضد ذلك » ، وقال بعض العلماء الحسنة هي كل نعمة تنال الإنسان أو ينالها الإنسان في نفسه وماله وبدنه وأحواله، هذه الحسنة ، والسيئة بضد ذلك.

أيها الناس يقول الله إخبارًا عن المؤمنين: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾[البقرة:٢٠١-٢٠٢] .

وقد ثبت في الصحيحين [(١)] عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كان أكثر دعاء النبي ﷺ: « **اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار** » .

والذي ينظر إلى الحسنات والسيئات في القرآن الكريم ينظر إلى الآيات التي تتحدث عن الحسنات وعن معانيها ، وينظر إلى الآيات في السيئات، وفي معانيها يعرف الحسنة تمامًا، ويعرف السيئة تمامًا،يعرف الحسنة من أجل أن يحرص على الإتيان بها،ويعرف السيئة من أجل اجتنابها والبعد عنها .

الحسنة تأتي في القرآن الكريم على عدة معانٍ:

١- من معاني الحسنة أن الحسنة تأتي في القرآن الكريم بمعنى التوحيد، وأن السيئة تأتي في القرآن الكريم بمعنى الشرك قال الله تعالى: ﴿ مَن جَآءَ

(١) البخاري برقم (٦٣٨٩) ومسلم برقم (٢٦٩٠) .

بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[النمل :٨٩-٩٠] .

وقال الله تعالى:: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [القصص :٨٤] ، فالمراد بالحسنة التوحيد والمراد بالسيئة هنا الشرك كما قاله مجموعة من السلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم .

٢- وتأتي الحسنة في القرآن بمعنى النصر وبمعنى الغنيمة والسيئة تأتي بمعنى القتل والهزيمة، قال الله تعالى: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران :١٢٠] .

٣- وتأتي الحسنة في القرآن بمعنى العافية وبمعنى صحة القلب والبدن، وتأتي السيئة بمعنى البلاء والعذاب قال الله تعالى: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الرعد :٦] .

٤- وتأتي الحسنة ويراد بها المطر والخصب وتأتي السيئة في القرآن ويراد بها القحط والجدب ، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [الأعراف :١٣٠-١٣١] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأعراف :١٦٨].

وقال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٥].

٥- وتأتي الحسنة ويراد بها قول المعروف والكلمة الطيبة وتأتي السيئة ويراد بها الكلمة السيئة والكلمة الخبيثة ويراد بها قول المنكر كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٦].

وقال الله تعالى عن عباده المؤمنين: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٢].

وقال الله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [القصص: ٥٤].

٦-وتأتي الحسنة في القرآن الكريم ويراد بها فعل الخيرات وفعل الطاعات، وتأتي السيئة في القرآن ويراد بها فعل المعاصي وفعل المنكرات وفعل الشر والسيئات قال الله تعالى:: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وقوله: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ ﴾ أي من جاء بالطاعة عمومًا.

أيها الناس إن الحسنات والسيئات على أقسام، فأعظم أقسام الحسنات:

١- حسنة التوحيد: فإذا كان الرجل موحدًا وجاء بالتوحيد الكامل وبالتوحيد الخالص، يأتي يوم القيامة آمنًا وإن كان عنده بعض الذنوب

فإن الله يكفر عنه السيئات بحسنة التوحيد :

فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله -تبارك وتعالى-: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة** » رواه الترمذي .[(١)]

وجاء في صحيح مسلم [(٢)] عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به دخل النار** ».

وفي الصحيحين [(٣)] عن عتبان بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ : « **إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله** » .

٢- ومن أقسام الحسنات، الحسنات المفروضة. وهذه الحسنات بعد حسنة التوحيد فإن تلك أعظم ثم تليها الحسنات المكتوبة وذلك مثل الصلاة والزكاة والحج وبر الوالدين ، فإن العبد مأمور ببر والديه ، ويصل رحمه فإنها من الأمور الواجبة ومثل اكرام الضيف، إلى آخر ذلك من الحسنات المفروضة ، ومن الحسنات الواجبة .

٣- ثم بعد ذلك يأتي القسم الثالث من أقسام الحسنات، وهي الحسنات المستحبة ، كصلاة الليل وصلاة الضحى ، وكنوافل العبادات و كنوافل الصيام ، ونوافل الزكاة ونوافل الحج ونوافل العمرة ، ونوافل الصلاة ، والعكس من ذلك أعظم السيئات هي سيئة الشرك،ثم تأتي بعد ذلك سيئات الكفر والضلال والمعاصي .

(١) سُنن الترمذي برقم (٣٥٤٠) .
(٢) مسلم برقم (٩٣) .
(٣) البخاري برقم (٤٢٥) ومسلم برقم (٣٣) .

عباد الله: والناس بالنسبة لتقسيم الحسنات والسيئات على أقسام ثلاثة.

١-أناس معهم حسنات وليس عندهم سيئات فهؤلاء أهم أهل الجنة.

٢- وأناس عندهم سيئات وليس عندهم حسنات فهؤلاء هم أهل النار .

٣- وأناس عندهم حسنات وعندهم سيئات فهؤلاء، ينقسمون إلى قسمين .

١- من رجحت حسناته على سيئاته ، فهو من أهل الجنة .

٢- من رجحت سيئاته على حسناته ، فهو من أهل النار .

والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ المؤمنون الآيات (١٠٢-١٠٨)

عباد الله وهنا وقفة تأمل مع قول ربنا في كتابه الكريم ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النمل :٨٩-٩٠].

إن هذه الآية تحمل وعدين كريمين عظيمين لأصحاب الحسنات ، ولمن جاء بالحسنات في يوم القيامة ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾ [النمل :٨٩].

والمراد بالخيرية هنا فله خير منها أي لصاحب الحسنات الذي يأتي يوم القيامة فله خير منها .و المراد بذلك أن الله يضاعف له الحسنات فالحسنة

إلى عشر حسنات بل إلى سبعمائة ضعف بل إلى أضعاف كثيرة .

قال الله تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٦٠].أي الحسنة الواحدة .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [النساء: ٤٠]، وقوله: ﴿ يُضَٰعِفۡهَا ﴾ أي: لا إله إلا الله .

وقال الله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١] .

وجاء في الصحيحين [(١)] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إن الله كتب الحسنات والسيئات: ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة ، فإن هو هم بعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات ، إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، فإن هو هم بعملها كتبها الله له سيئة واحدة ، إن الله كتب الحسنات والسيئات: فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة ، فإن هم بعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات ، إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، فإن هو هم بعملها كتبها الله له سيئة واحدة** » وقوله «فإن عملها » أي تلك الحسنة ، يضاعفها . وقوله « فإن عملها » أي تلك السيئة .

---

(١) البخاري برقم (٦٤٩١) ومسلم برقم (١٣١) .

قال الإمام ابن كثير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- [(١)] واعلم أن تارك السيئة الذي لا يعملها على ثلاثة أقسام تارة يتركها لله فهذا تكتب له حسنة على كفه عنها لله تعالى وهذا عمل ونية ولهذا جاء أنه يكتب له حسنة كما جاء في بعض ألفاظ الصحيح فإنما تركها من جرائي أي من أجلي، وتارة يتركها نسيانًا وذهولًا عنها فهذا لا له ولا عليه لأنه لم ينو خيرًا ولا فعل شرًا، وتارة يتركها عجزًا وكسلًا عنها بعد السعي في أسبابها والتلبس بما يقرب منها، فهذا بمنزلة فاعلها»لحديث أبي بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال « **إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**» قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال «إنه كان حريصًا على قتل صاحبه » [(٢)].

إخوة الإيمان والعقيدة وهناك أعمال يضاعفها الله - عَزَّوَجَلَّ - إلى أكثر من سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة يعطي الله العبد على تلك الأعمال الأجر العظيم والحسنات والثواب بغير حساب وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء على تلك الأعمال الجليلة .

١- فمن تلك الأعمال الصيام :ففي صحيح مسلم [(٣)] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُقال: قال رسول الله ﷺ : « **كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة، بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف، إلى ما شاء الله، قال الله** - عَزَّوَجَلَّ -: **إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به، يدع طعامه وشهوته من أجلي ، للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، الصوم جنة، الصوم جنة** » .

٢- ومن تلك الأعمال التي يضاعها الله لصاحبها الأجر والثواب

(١) تفسير ابن كثير ج٢(١٩٧) .
(٢) البخاري برقم (٣١) ومسلم برقم (٢٨٨٨) .
(٣) مسلم برقم (١١٥١) .

الصبر كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر :١٠] .

قال الإمام الأوزاعي –رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى– : « ليس يوزن لهم ولا يكال لهم إنما يغرف لهم غرفًا » . (١)

وهذه بشارة لأهل الحسنات فقد روى مسلم في صحيحه (٢) عن أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل بناقة مخطومة فقال: هذه في سبيل الله فقال رسول الله ﷺ : « **لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة** » وفي رواية خارج الصحيح « **أما إن لك بها مائة ناقة في الجنة** » . (٣)

فانظروا إلى هذا الوعد الكريم من جاء بالحسنة فله خير منها ، هذا الوعد الأول والوعد الثاني ففي قوله ﴿ وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾ الله يؤمنهم يوم الفزع الأكبر لأنهم جاءوا بالحسنات يوم القيامة ، وقد أخبر الله عن هؤلاء بقوله تعالى : ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [الأنبياء :١٠٣] .

وقال الله تعالى:: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [فصلت :٤٠] .

وقال تعالى عمن جاء بالسيئة : ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل :٩٠] .

(١) تفسير ابن كثير ج٦ (٤٤٣) .
(٢) صحيح مسلم برقم (١٨٩٢) .
(٣) الطبراني في الكبير برقم (٦٣٦) .

والسيئة تكتب بمثلها سيئة كما قال الله تعالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأنعام :١٦٠] ، الإ أنه ينبغي أن نعلم أن السيئة قد تعظَّم لعظم المكان ولعظم فاعلها وشرف الزمان. أما مثال تعظيم السيئة وأنها تكون عظيمة ، بشرف من يفعلها في الزمان الفاضل فالله يقول عن الأشهر الحرم : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة :٣٦] .

فخصص الظلم في الأشهر الحرم لشرف الزمان ، ولأن هذه الأشهر لها فضيلة وحرمة عند الله - عَزَّوَجَلَّ - .

كذلك الذي يعمل السيئة في المكان قد تعظَّم السيئة في المكان الفاضل قال الله تعالى: عن الذي يعصي الله في المسجد الحرام ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج :٢٥] .

كذلك إذا كان عارفًا بالله وعنده قوة معرفة بالله - عَزَّوَجَلَّ - وعنده علم وبصيرة ومع ذلك يعصي الله فإن العقوبة تكون عليه أشد من غيره ممن لم يكن بهذه المرتبة .

قال الله عن رسوله -عليه الصلاة والسلام-: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾[الإسراء :٧٤-٧٥].

وقال الله تعالى عن رسوله -عليه الصلاة والسلام- : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا

بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧].

وقال الله عن نساء النبي عليه الصلاة والسلام ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقال الله إخبارًا عن الأتباع الضعفاء وأنهم في النار يدعون على سادتهم وقادتهم قال الله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٦٨].

إذًا أيها الناس توبوا إلى الله تعالى واستغفروه، واجمعوا ما استطعتم من الحسنات وابتعدوا عن الآثام والسيئات.

والله نسأل أن يغفر لنا ولكم الخطأ والزلل في القول والعمل ، أقول ما سمعتم واستغفر الله.

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، وصاحب الخلق العظيم والهدي القويم ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد:

فيا أيها الناس توبوا إلى الله - عَزَّوَجَلَّ - من جميع السيئات وأقبلوا على الخير والحسنات وكلنا نحتاج إلى التوبة وإلى الحسنات وإلى البعد عن السيئات .فيا أخا الإيمان ويا أخا الإسلام إذا عملت سيئة فعليك بالتوبة وعليك أن تلحق السيئة بالحسنة من أجل أن تمحو تلك السيئة بتلك الحسنة قال الله تعالى: : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ [هود :١١٤] .

ويقول النبي -عليه الصلاة والسلام- كما روى الترمذي في سُننه (١) عن أبي ذر ومعاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال : قال رسول الله ﷺ : « **اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن** » ، أي إذا ارتكبت ذنبًا ووقعت في سيئة ، فعليك أن تتبع تلك السيئة بالحسنة بل بالحسنات المتعددة .

وينبغي معاشر المسلمين أن نتفطن لمسألة وقاعدة عظيمة وقاعدة جليلة وهي أن الحسنة تجر إلى الحسنات والسيئة تجر إلى السيئات قال الله تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا

(١) صحيح الترمذي برقم (١٩٨٧) .

فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [النساء: ٦٦-٦٨].

وقال الله تعالى في شأن رسوله ﷺ: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [النور: ٥٤].

متى تصل إلى الهداية ومتى تبلغ إلى الهداية إنك تصل إلى الهداية متى أطعت نبيك ورسولك محمدًا صلوات ربي وسلامه عليه ، فمن أطاع رسوله فإن الله يهديه وييسّر له الهداية وطرق الهداية.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [النور: ٥٤].

وقال الله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

انظر أخي ولاحظ إذا اتبعت القرآن وتعاليم القرآن، فإن الله - عَزَّ وَجَلَّ - يهديك ويخرجك من ظلمات الجهل والفتن والمعاصي، إلى نور السُّنَّة وإلى نور الهداية ، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٩].

وقال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴾ [محمد:١٧].

فمن سلك طريق الهداية زاده الله منها وزاده من التقوى ومن سلك طريق التقوى هي طريق المتقين هداه الله وجعله من المتقين .وجاء في الصحيحين [1] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا. وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا ».

قال الله تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾ [الأنعام:١١٠].

لما لم يؤمنوا بالقرآن أول مرة قلبَّ الله قلوبهم وأبصارهم، وجعلهم في طغيانهم يعمهون، والجزاء من جنس العمل، وقال الله تعالى: ﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور:٦٣].

والآيات في هذا الباب كثيرة فعلينا عباد الله أن نحرص على الخير.

أيها المسلمون والله تعالى هو الذي يحبب الحسنات والطاعات إلى قلب العبد المؤمن، قال تعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ

(١) البخاري برقم (٦٠٩٤) مسلم برقم (٢٦٠٧).

﴿ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات :٧] .

وقد ثبت عند الإمام أحمد وغيره (١) عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «...**ومن كان منكم تسره حسنته وتسوؤه سيئته، فهو مؤمن**».

أما غير المؤمن فإنه يحب السيئات ويكره الحسنات ويكره الطاعات ويكره أهل الطاعات ويكره أهل الخير ، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر :٨] .

ويقول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة :٣٧] .

فبعض الناس يرى القبيح حسنًا ويرى الحسن قبيحًا ، فانقلبت عنده الموازين والمفاهيم ، فصار لا يعرف معروفًا ، ولا ينكر منكرًا ، الإ ما أشرب من هواه .عافانا الله والمسلمين من ذلك .

عباد الله : ومما يعين على فعل الحسنات النظر في ثواب ذلك، قال بعض العلماء : من لم يعرف ثواب الأعمال ، ثقلت عليه في جميع الأحوال .

وقال بعضهم: بالمعرفة هانت على العاملين العبادة . فإذا عرفت ثواب الصلاة و ثواب الزكاة وثواب الحج وثواب العلم وثواب التعليم ونظرت إلى ذلك وأمعنت النظر وعلمت ما لمن يقوم بذلك من الثواب ، فإنك بإذن الله تكون نشيطًا ، وقويًا ومسددًا وموفقًا .

ومات لأحد العلماء ولد من أولاده فذكر الثواب فكان يقول أذكر

---

(١) أحمد برقم (١١٤) وصححه شعيب.

ثواب ذلك فأعانني ذكري للثواب الصبر.

فكان يقول كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-[١] قال بعضهم: «أطعتك بفضلك والمنة لك، وعصيتك بعلمك والحجة لك، فأسألك بوجوب حجتك علي، وانقطاع حجتي إلا غفرت لي».

هكذا كان سلفنا الصالح كانوا موفقين وكانوا مجتهدين في الطاعات.

قال الإمام مجاهد بن جبر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-[٢]: ما المجتهد فيكم في العبادة اليوم الإ كاللاعب فيهم.

ويقول إبراهيم النخعي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- :كان السلف إذا شيعوا الجنازة يظلون الأيام حزينين محزونين يعرف ذلك في وجوههم.

وكان بعض السلف لو قيل له إن غدًا ستقوم القيامة لما زاد حسنة واحدة، أي عنده عمل باستمرار وحسنات دائمة سواء جاءت القيامة وقامت أو لم تقم، فإنه مستعد للقيامة على الدوام وعلى الاستمرار.

اللهم أصلح أعمالنا وأقوالنا، اللهم أصلح لنا نياتنا، اللهم أصلح الراعي والرعية، واهدي الأمة المحمدية، وأصلح لنا الأهل والذرية.

ربنا هب لنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا.

اللهم اصلح لنا الدنيا والآخرة ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) الفتاوى ج٢(٤٢٩).
(٢) الزهد لابن المبارك برقم (١٧٩).

٢١ وجوب العمل بالعلم

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون عباد الله. إن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أمرنا بالعمل .

قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

وقال تعالى عن أهل الكتاب: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٦٦]. ولا جمال للعلم إلا بالعمل.

قال ابن الوردي -رحمه الله تعالى- في لاميته:

في ازديـاد العلم إرغـام العدى وجمـال العلم إصـلاح العمل

وكل عامل سيجد عمله يوم القيامة من خيرٍ أو شر، قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ٣٠].

وقد وعد الله من يعمل بدينه وشرعه بالخيرات والبركات قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

بل وقد وعد الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- العاملين بالأجر العظيم والثواب الكبير قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩].

وقال تعالى: ﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ [الكهف: ٢].

والذي لا يعمل بعلمه ليس على شيء من الدين ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [المائدة :٦٨] .

قال سفيان بن عيينة –رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى– : ما في القرآن آية أشد علي من هذه الآية وهي قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

قال ابن حجر –رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى– معلقًا على كلام سفيان : يعني أن من لم يعمل بما أنزل الله في كتابه فليس على شيء[١] .

ومن صفات المناقين عدم العمل بالعلم قال الله تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ [البقرة :٢٠٤-٢٠٦] .

وقد أخرج الإمام الطبراني في معجمه الكبير[٢] ، عن عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي ، كل منافق عليم اللسان** » وجاء الحديث عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **عند أحمد** .[٣]

(١) فتح الباري ج٨ (٢٦٩) .
(٢) معجم الطبراني الكبير ج١٢ (٤١٤٢) برقم (٥٩٣) صحيح الجامع للألباني برقم (٦٩٥) .
(٣) أحمد برقم (١٤٣) .

ورحم الله أيوب السختياني القائل في أهل الحيل والمكر: إنهم يخادعون الله كما يخادعون الصبيان ، ولو أنهم أتوا الأمر على وجهه لكان أهون .

يا ذا الـــذي يقرأ في كتبه ما أمـــر الله ولا يـــعمـــل
قـــد بـــين الـــرحمـــن مقت الـــذي يأمـــر بالحـــق ولا يـــفعـــل

يقول القاسم بن محمد: أدركت الناس ما يعجبهم القول وإنما يعجبهم العمل .[1]

وقال الفضيل بن عياض -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-[2] : « المؤمن قليل الكلام كثير العمل، والمنافق كثير الكلام قليل العمل » .

وقد سئل حذيفة بن اليمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عن المنافق فقال : « الذي يصف الإسلام ولا يعمل به » .[3]

وما أحسن كلا م علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حينما قال: «بركة العمر حسن العمل » وهكذا كان السلف رحمهم الله تعالى عاملين بعلمهم فهذا عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان من العاملين بالعلم :

ولهذا جاء في البخاري ومسلم[4] عن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله - عَزَّوَجَلَّ - ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم « قال عمر: فوالله ما حلفت بها منذ سمعت رسول الله ﷺ نهى عنها، ولا تكلمت بها ذاكرًا ولا آثرًا » « آثرًا » أي ناقلًا عن غيري.

---

(١) جامع بيان العلم : برقم (١٢٣٥) .
(٢) حلية الأولياء ج٨(٩٨) .
(٣) صفة النفاق وذم المنافقين برقم (٦٥) .
(٤) البخاري برقم (٦٦٤٧) ومسلم برقم (١٦٤٦) .

وهذا عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : « كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن ». (١)

وهذه عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت «يرحم الله نساء المهاجرات الأول ، لما نزلت هذه الآية: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور :٣١] . أخذن أزرهن فشققنها ، من قبل الحواشي فاختمرن بها» . (٢)

ولقد ورد الوعيد الشديد في الذي يقول ولا يعمل قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ ﴾ [الصف :٢-٣] .

والمقت هو أشد البغض عند الله تعالى .

والمقت إنما ورد في حق أصناف من الناس :

١- في الذي ينكح امرأة أبيه قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [النساء :٢٢] .

٢-في الذي يكذب بآيات الله والمجادل بالباطل قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾[غافر:٣٥].

٣-في الذي يقول ولا يعمل كما في الآية الكريمة وهي قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ ﴾ [الصف :٢-٣] .

٤- في حق أهل النار قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ

---

(١) الطبري برقم (٨١) وابن كثير ج١(٧) .
(٢) البخاري برقم (٤٧٥٩) .

ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ ﴾ [غافر:١٠].

أستغفر الله من قول بلا عملِ — لقد نسبت به نسلًا لذي عُقمِ

أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به — وما استقمت فما قولي لك استقمِ

ولا تزودت قبل الموت نافلةً — ولم أصلِ سوى فرض ولم أصمِ

وقد قال الله منكرًا على بني إسرائيل بقوله تعالى: ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [البقرة:٤٤].

فقوله: ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ ﴾ استفهام إنكاري.

وقوله: ﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ استفهام توبيخي.

والذي يقول ولا يفعل مخالف لطريق الرسل قال الله تعالى: عن خطيب الأنبياء شعيب -عليه الصلاة والسلام- ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ [هود:٨٨].

ولقد كان إبراهيم النخعي -رحمه الله تعالى- يقول: [١] إني لأكره القصص لثلاث آيات:

١- قوله تعالى: ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾[البقرة:٤٤].

---

(١) تفسير ابن كثير ج (٣٧٨).

٢-وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣ ﴾ [الصف :٢-٣] .

٣- وقوله تعالى إخبارًا عن شعيب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ [هود:٨٨].

وجاء في البخاري ومسلم [١] عن أسامة بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا قال : سمعت رسول الله ﷺ « يقول يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون: يا فلان ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه »

« يؤتى بالرجل » أي تأتي به الملائكة . وقوله « فيلقى في النار » أي لا يدخلها برفق بل يلقى بشدة وقوة . وقوله « فتندلق أقتاب بطنه » أي تخرج أمعاؤه بسرعة . وقوله «الرحى » أي حجر الطاحون . ومنعى قوله «ولا أتيه » أي ولا أفعله .

عباد الله وفي هذا الحديث تشبيه الذي لا يعمل بعلمه بالحمار، وقد قال الله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الجمعة:٥].

وقال تعالى : ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ

(١) البخاري برقم (٣٢٦٧) ومسلم برقم (٢٩٨٩) .

﴿أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف:١٧٥-١٧٦].

ولله در من قال[١] :

إن قومًا يأمرونا ... بالذي لا يفعلونا
لمجانين وإن هم ... لم يكونوا يُصرعونا

عباد الله يخشى على من لم يعمل بعلمه أنه لا يسلم من عذاب الله يقول الله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٨٨].

وقد ذم الله النصارى وبيّن سبحانه أنه صار بينهم من الشرور والفتن والمحن والشقاق والعداوة والنفاق ، بسبب أنهم لم يعملوا بعلمهم ، قال الله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾[المائدة:١٤].

ومعنى قوله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ أي نسيانًا علميًا، ونسيانًا عمليًا[٢] .

قال الإمام الأوزاعي –رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى–: إذا أراد الله بقوم سوءًا أعطاهم الجدل .

(١) تفسير القرطبي ج٢(٥٩) .
(٢) تفسير السعدي ج١(٥٢٢) .

ما أقبح التزهيد من واعظ يـزهـد الـنـاس ولا يـزهـد
لـو كـان في تـزهـيـده صـادقًـا أضحى وأمسى بيته المسجد
إن رفـض الـدنـيـا فـما باله يستمنح الـنـاس ويسترفد
والـرزق مقسوم على من ترى يناله الأبـيـض والأسـود [(١)]

عباد الله: جاء في صحيح مسلم [(٢)] عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من نبي بعثه الله -عَزَّ وَجَلَّ- في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون، وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن،وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**».

وثبت عند الطبراني في الكبير [(٣)] عن جندب بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله ﷺ: «**مثل العالم الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه ، كمثل السراج ، يضيء للناس ويحرق نفسه**» .

قال بعض السلف -رحمهم الله- : «**مثل العالم الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به ، كمثل الإبرة تكسو غيرها وهي عارية** ».

قال الخطيب البغدادي -رحمه الله- في كتابه اقتضاء العلم العمل[(٤)] :

---

(١) تفسير القرطبي ج٢(٦٠) .
(٢) صحيح مسلم برقم (٥٠) .
(٣) الطبراني في الكبير برقم (١٦٨١) .
(٤) اقتضاء العلم العمل ج١(٣٧). .

اعمل بعلمك تغنم أيها الرجل | لا ينفع العلم إن لم يحسن العمل
والعلم زين وتقوى الله زينته | والمتقون لهم في علمهم شغل
وحجة الله يا ذا العلم بالغة | لا المكر ينفع فيها لا ولا الحيل
تعلم العلم واعمل ما استطعت به | لا يلهينك عنه اللهو والجدل
وعلم الناس واقصد نفعهم أبدا | إيـــاك إيـــاك أن يعتادك الملل
وعــظ أخــاك برفق عند زلته | فالعلم يعطف من يعتاضه الزلل
وإن تكن بين قوم لا خلاق لهم | فأمر عليهم بمعروف إذا جهلوا
فإن عصوك فراجعهم بلا ضجر | واصبر وصابر ولا يحزنك ما فعلوا
فكل شــاة برجليها معلقة | عليك نفسك إن جاروا وإن عدلوا

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-:« أشد الناس عذابًا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه،فذنبه من جنس ذنب اليهود ».[(١)]

وعـــالم بـعـلـمـه لم يعملن | معذب مـن قبل عباد الوثن

وقد ثبت في مُسند أبي يعلى[(٢)] عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **« أتيت على سماء الدنيا ليلة أسري بي ، فرأيت فيها رجالًا تقطع ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من نار فقلت يا جبريل ما هؤلاء؟، قال: هؤلاء**

(١) الفتاوى الكبرى ج٥(٣٤٢).
(٢) مُسند أبي يعلى برقم (٤١٦٠).

خطباء من أمتك » والمقاريض هي: المقصات .

وفي رواية «...**الذين يقولون ما لا يفعلون** » . (١)

وفي مُسند الدارمي وسُنن الترمذي وغيرهما (٢) عن أبي برزة الأسلمي ومعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالا: قال رسول الله ﷺ : « **لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه** » .

وكان أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول : « إنما أخشى من ربي يوم القيامة أن يدعوني على رؤوس الخلائق فيقول لي يا عويمر فأقول لبيك ربي فيقول لي ما عملت فيما علمت » . (٣)

وجاء عند الخطيب البغدادي -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى- في اقتضاء العلم العمل وحسنه الألباني . (٤)

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: « تعلموا تعلموا ، فإذا علمتم فاعملوا » .

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

هتف العلم بالعمل   إن أجابه وإلا ارتحل (٥)

وقال آخر:

أيها العالم إياك الزلل   واحذر الهفوة فالخطب جلل

---

(١) مُسند البزار برقم (٧٢٣١) .
(٢) سُنن الترمذي برقم (٢٤١٧) والدارمي برقم (٥٣٧).
(٣) البيهقي في شعب الإيمان برقم (١٧١١) وصححه الألباني في صحيح الترغيب برقم (١٢٩).
(٤) اقتضاء العلم العمل برقم (١٠).
(٥) حلية طالب العلم ص(١٣-١٤) جامع بيان العلم ج٢(١١).

هــفــوة الــعــلـــم مستعظمه ... إن هفا أصبح في الخلق مثل
وعـــلى زلـــتـــه عـــمـــدتهـــم ... فـبها يحتج من أخــطــأ وزل
لا تـــقـل يستر علمي زلتي ... بل بها يحصل في العلم الخلل
إن تـكـن عـنـدك مستحقرة ... فهي عـنـد الله والـنـاس جـبـل
فـــإذا الشمس بـــدتْ كاسفة ... وجـــل الخلق لهـا كـل الوجلْ
وترامت نحوها أبـصـارهم ... في انزعاج واضطراب وزجل
وسر النقص لهـم مـن نقصها ... فغدتْ مظلمـة منـهـا السبل
وكـــذا العـــالم في زلـتـه ... يفـتن العالـم طـرًا ويُـضـل
فهو ملح الأرض مـا يعلمه ... إن بـــدا مـنـه فـسـاد وخلل
يـــقـــدى منه بـما فيه هفا ... لا بما استعصهم فيه واستقل

قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: (٦) وذهاب الإسلام على أيدي أربعة اصناف من الناس :

١-صنف لا يعملون بما يعلمون .

٢-صنف يعملون ولا يعلمون .

٣-صنف لا يعملون و لا يعلمون.

٤- صنف يمنعون الناس من التعليم .

---

(٦) مفتاح دار السعادة ج١(٤٩٠) .

وهناك اسباب تعين العامل على العمل :

١-زيادة الإيمان .

٢- مجاهدة النفس .

٣-تذكر العبد الوقوف بين يدي الله :وفي سُنن الترمذي [(١)] عن أبي برزة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه ، وعن علمه فيم فعل ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن جسمه فيم أبلاه** » .

٤- الدعاء : وقد بوب له الإمام ابن ماجه -رَحِمَهُ اللَّهُ- في سُننه [(٢)] باب «الانتفاع بالعلم والعمل به » وذكر أحاديث منها ما جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يقول : « **اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، وزدني علمًا، والحمد لله على كل حال** » . [(٣)]

وقد روى الإمام مسلم في صحيحه [(٤)] عن زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول ﷺ الله يقول : « **كان يقول اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها** » .

قال الحسن البصري -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى- : لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء » .

وقال مالك دينار -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى- « إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلتّ

(١) صحيح الترمذي برقم (٢٤١٧) .
(٢) سُنن ابن ماجه ج١(٩٢) .
(٣) سُنن ابن ماجه برقم (٢٥١) .
(٤) صحيح مسلم برقم (٢٧٢٢) .

موعظته عن القلوب ، كما يزل القطر عن الصفاء » . [١]

وقد ذكروا أنه كان نقش خاتم الحسين بن علي علمت فاعمل .

أقول ما سمعتم ، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين ، من كل ذنب وأتوب اليه.

(١) جامع بيان العلم وفضله برقم (١٢٥٥) .

الخطبة الثانية :

الحمد لله الذي فقه من أراد به خيرًا في الدين ، ورفع منازل العلماء العاملين فوق العالمين ، وأشهد إلا الله وحده لا شريك له ، إله الأولين والآخرين ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين ، وحجة على العباد أجمعين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، والتابعين لهم وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فيا أيها المسلمون لقد أخبرنا نبينا محمد ﷺ أن من علامات الساعة أن يقل العمل بالعلم .

فقد ثبت في الصحيحين [١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **يتقارب الزمان، وينقص العمل ويلقى الشح ويكثر الهرج** » ، قالوا ما الهرج ؟قال : « **القتل، القتل** » .

إن عملت فالقرآن حجة لك وإن لم تعمل به فهو حجة عليك، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه [٢] عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ كان يقول : « **الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله والله أكبر تملأ ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك. كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها** » .

معاشر المسلمين: العمل بالعلم من أعظم اسباب النجاة من عذاب

(١) البخاري برقم (٦٠٣٧) ومسلم برقم (١٥٧) في كتاب العلم .
(٢) مسلم برقم (٢٢٣) .

الله في الدنيا والآخرة ، ومن أسباب الثبات على الكتاب والسُّنَّة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- : فإن العمل بموجب العلم يثبته ويقرره ومخالفته تضعفه؛بل قد تذهبه، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [الصف :٥] .

وقال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأنعام :١١٠] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ [النساء :٦٦] .

وقال بعض السلف : « من عمل بما علم ، أورثه الله علم ما لم يكن يعلم ».

وكيف تحب أن تدعى حكيمًا وأنت لكل ما تهوى ركوب

وتضحك دائبًا ظهرًا لبطن وتذكر ما عملت فلا تتوبُ

ومن اعظم الأسباب المعينة للعبد على العمل بالعلم مجاهدة النفس على طاعة الله ومرضاته قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت :٦٩] .

ومن اعظم الأسباب أيضًا نشر العلم والدعوة إليه :فقد أخرج الطبراني في الأوسط [(١)] عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال : «**مثل الذي يتعلم العلم ولا يحدث به ، كمثل الذي يكنز الكنز فلا ينفق منه** » .

(١) الطبراني في الأوسط برقم (٦٨٩) الصحيحة برقم (٣٤٧٩) .

قال ابن القيم –رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى– [١] : « من خزن علمه ولم ينشره ولم يعلمه ابتلاه الله بنسيانه وذهابه منه جزاء من جنس عمله، وهذا أمر يشهد به الحس والوجود ».

لا تنه عـن خلق وتـأتي مثله عـار عليك إذا فعلت عظيم

وقال أبو العتاهية –رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى– : [٢]

وصفت التقى حتى كأنك ذو تقى وريح الخطايا من ثيابك تسطع

ولم تعن بالأمر الذي هو واجب وكـل امـرئ يعنى بـما يتوقع

ولا يعني هذا أن الإنسان إذا كان مقصرًا أو مفرطًا ، أنه لا يعظ الناس وأنه لا يأمرهم بالمعروف ولا ينهاهم عن المنكر، بحجة أنه ليس عاملًا بها يقول : فيترك الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر لهذا السبب .

لئن لم يعظ العاصين من هو مذنب فمن يعظ العاصين بعد محمد

وقال آخر :

مـن ذا الـذي مـا سـاء قط ومـن لـه الحـسنى فقط

حتى قال بعض السلف :حق على شاربي الكؤوس أن يعظ بعضهم بعضًا ، بل إنه إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، ولو كان عنده تفريط فقد يكون ذلك التفريط حاملًا له للعمل بالعلم ، وإلا فقد دل على الخير بإذن الله تعالى :

(١) مفتاح دار السعادة ج١(١٧٢).
(٢) جامع بيان العلم وفضله ج١(٥٤٢).

وفقنا الله وإياكم في القول والعمل ، وجنبنا وإياكم الخطأ والزلل ، وجعلنا جميعًا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين إنه جواد كريم رب رحيم.

والحمد لله رب العالمين .

(٢٢) فضل صوم يوم عاشوراء وما فيه من العبر

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون يوم عاشوراء هو اليوم العاشر من محرم ، وهذا القول

هو قول جماهير العلماء .

وقد جاء ما يدل على ذلك ففي سُنن الدار قطني و عند الد يلمي في الفردوس [(١)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله ﷺ : « **عاشوراء يوم العاشر** » .

وقد نقل بعض أهل العلم أن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يفتي بأن عاشوراء اليوم التاسع . وقد جاء في صحيح مسلم [(٢)] عن الحكم بن الأعرج قال : انتهيت إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهو متوسد رداءه في زمزم ، فقلت له : أخبرني عن صوم عاشوراء، فقال : إذا رأيت هلال المحرم فأعدد وأصبح يوم التاسع صائمًا، قلت: هكذا كان رسول الله ﷺ يصومه ؟ قال: نعم .

قال ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ- : فمن تأمل مجموع روايات ابن عباس تبين له زوال الإشكال وسعة علم ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فإنه لم يجعل عاشوراء هو اليوم التاسع ، بل قال للسائل : صم اليوم التاسع واكتفى بمعرفة السائل أن يوم عاشوراء هو اليوم العاشر ، الذي يعده الناس كلهم يوم عاشوراء فأرشد السائل إلى صيام التاسع معه ، وأخبر أن رسول الله ﷺ كان يصومه كذلك. [(٣)]

وقد جاء الترغيب العظيم في صيام يوم عاشوراء ، ففي الصحيحين[(٤)] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال « **قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال : ما هذا ، قالوا: هذا يوم صالح هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى ، قال : فأنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه** » .

---

(١) صحيح الجامع برقم (٣٩٦٨) ، وأخرجه الديلمي في الفردوس برقم (٤٢٥١).
(٢) مسلم برقم (١١٣٣) .
(٣) زاد المعاد ج٢(٧٢) .
(٤) البخاري برقم (٢٠٠٤) ومسلم برقم (١١٣٠) .

وفي الصحيحين [(١)] ، **عن معاوية بن أبي سفيان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال يوم** عاشوراء عام حج على المنبر : يا أهل المدينة أين علماؤكم سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **هذا يوم عاشوراء ، ولم يكتب الله عليكم صيامه ، وأنا صائم ، فمن شاء فليصم ، ومن شاء فليفطر** ».

وفي البخاري [(٢)] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : « **كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية ، وكان رسول الله ﷺ يصومه ، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه ، فلما فُرض رمضان ترك يوم عاشوراء ، فمن شاء صامه ومن شاء تركه** » .

وفي الصحيحين [(٣)] عن الربيع بنت معوذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : « **أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار : من أصبح مفطرًا فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائمًا فليصم** » ، قالت: فكنا نصومه بعد ونصوم صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العهن ، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار .

وفي صحيح مسلم [(٤)] **عن أبي قتادة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال أن رجلًا أتى النبي** ﷺ فقال: كيف تصوم ؟ فغضب رسول الله ﷺ **فلما رأى عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **غضبه** قال : رضينا بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله ، فجعل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يردد هذا الكلام حتى سكن غضبه، فقال عمر: يا رسول الله كيف بمن يصوم الدهر كله ؟، قال : « **لا صام ولا أفطر ، أو قال : لم يصم ولم يفطر ، قال : كيف من يصوم يومين ويفطر**

---

(١) البخاري برقم (٢٠٠٣) ومسلم برقم (١١٢٩) .
(٢) البخاري برقم (٤٥٠٤) .
(٣) البخاري برقم (١٩٦٠) ومسلم برقم (١١٣٦) .
(٤) مسلم برقم (١١٦٢) .

يومًا؟، قال ويطيق ذلك أحد ؟، قال : كيف من يصوم يومًا ويفطر يومًا؟ قال : ذاك صوم داود عليه السلام ، قال : كيف من يصوم يومًا ويفطر يومين ؟ ، قال : وددت أني طوقت ذلك ، ثم قال رسول الله ﷺ : ثلاث من كل شهر ورمضان إلى رمضان ، فهذا صيام الدهر كله ، صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفِّرَ السَنَة التي قبله ، والسَنَة التي بعده ، وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفِّرَ السَنَة التي قبله» .

وفي صحيح مسلم [(١)] عن جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : كان رسول الله ﷺ : « **يأمرنا بصيام يوم عاشوراء ويحثنا عليه ويتعا هدنا عنده فلما فرض رمضان لم يأمرنا ولم ينهنا ولم يتعا هدنا عنده** » ، ومعنى يحثنا عليه: أي يحضنا ومعنى ويتعا هدنا عنده : أي يراعي حالنا عند عاشر المحرم هل صمنا فيه أو لم نصم.

وهذا كان في بداية الأمر حينما كان صيام يوم عاشوراء فريضة ، فلما فرض رمضان نسخ الفرض وبقي صيامه مستحبًا ، ولهذا حكى الإمام النووي -رَحِمَهُ اللَّهُ- الاتفاق على أن صوم يوم عاشورا سُنَّة ليس بواجب[(٢)]

وقد جاء في الصحيحين [(٣)] عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه دخل عليه الأشعث وهو يطعم فقال اليوم عاشوراء ؟ فقال كان يصام قبل أن ينزل رمضان فلما نزل رمضان ترك فادن فكل.

ويستحب صيام التاسع مع العاشر مخالفة لليهود ، ففي صحيح مسلم[(٤)] عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال :قال رسول الله ﷺ : « **لئن**

---

(١) مسلم برقم (١١٢٨) .
(٢) البخاري برقم (٤٥٠٣) ومسلم (١١٢٧) .
(٣) البخاري برقم (٤٥٠٣) ومسلم (١١٢٧) .
(٤) مسلم برقم (١١٣٤) .

بقيت إلى قابل لأصومن التاسع » .

وقد جاء عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنه كان يصوم التاسع والعاشر والحادي عشر من المحرم خشية فوات عاشوراء.

وكان أبو إسحاق السبيعي يصوم كذلك ويقول : إنما فعلت ذلك خشية أن يفوتني .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل : سمعت أبي يقول: رأيت عبد الرحمن بن مهدي في النوم فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي وقربني وأدناني ورفع منزلتي فقلت بماذا قال بمواظبتي على يوم عاشوراء ويوم قبله ويوم بعده يعني صيام ذلك.

وعن معاوية بن صالح، أن أبا جبلة حدثه قال: كنت مع ابن شهاب في سفر، فصام يوم عاشوراء، فقيل له: لم تصوم وأنت تفطر في رمضان في السفر ؟ قال: إن رمضان له عدة من أيام أخر، وإن عاشوراء يفوت. (١)

والصيام في شهر الله المحرم من أفضل الأعمال الصالحة ففي صحيح مسلم (٢) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال :قال رسول الله ﷺ : « **أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل** ».

عباد الله : ومن الحوادث العظيمة في يوم عاشوراء مقتل الحسين ابن علي بن أبي طالب الهاشمي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأرضاه فقد قتل في هذا اليوم يوم الجمعة بعد العصر سَنة إحدى وستين من الهجرة النبوية بكربلاء من العراق ، وعمره آنذاك ستة وخمسون سَنة ، والرافضة في هذا اليوم اتخذوه مأتمًا لمقتل الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فإنهم يقيمون في مثل هذا اليوم العزاء ويطيلون

---

(١) السير ج٥(٣٤٢) .

(٢) مسلم برقم (١١٦٣) .

النوح والبكاء ، ويضربون أنفسهم بالسلاسل والحديد ، ويفعلون ما لا يفعله المجانين ، ولو كان مثل هذا جائزًا بين المسلمين لكان أحق بذلك أبوه علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الذي هو أفضل منه ، فقد قتل مظلومًا شهيدًا بل لكان أحق بذلك نبينا محمد ﷺ في اليوم الذي قبض فيه يوم الأثنين ، ولكن هذا من اتباع الهوى وضلالات الرافضة، وقتل الحسين مصيبة على الأمة وقد أخبر النبي ﷺ بذلك، فقد جاء في مُسند الإمام أحمد(١)، عن ابن أبي نعم قال : جاء رجل إلى ابن عمر وأنا جالس فسأله عن دم البعوض فقال له : ممن أنت قال من أهل العراق ، قال: ها انظروا إلى هذا يسأل عن دم البعوض ، وقد قتلوا ابن رسول الله ﷺ ، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول « هُما ريحانتي من الدنيا » .

وفي مُسند أحمد أيضًا (٢) عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال رأيت النبي ﷺ فيما يرى النائم بنصف النهار وهو قائم أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم ، فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا قال: « **هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل ألتقطه منذ اليوم فأحصينا ذلك اليوم فوجدوه قتل في ذلك اليوم** » .

وعن أم سلمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت :« **كان جبريل** – عَلَيْهِٱلسَّلَامُ – **عند النبي** ﷺ **والحسين معي فبكى ، فتركته فدنا من النبي** ﷺ **فقال : جبريل أتحبه يا محمد فقال: نعم ، فقال: أن أمتك ستقتله ، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها فأراه إياه فإذا الأرض يقال لها كربلاء** » . (٣)

نسأل الله – عَزَّوَجَلَّ – أن يحفظ علينا ديننا وأن يتوفانا مسلمين والحمد لله رب العالمين.

---

(١) أحمد برقم (٥٦٧٥) .

(٢) أحمد برقم (٢٥٥٣) .

(٣)أحمد في فضائل الصحابة برقم (١٣٩١) وصححه شيخنا وصي الله عباس– حفظه الله –.

الخطبة الثانية :

الحمد لله كتب العز والنصر لمن أطاعه واتقاه ، وجعل الذل والصغار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا مذل لمن والاه ، ولا معز لمن عاداه ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، بالحق أرسله، وبالجهاد أوصاه صلى الله عليه وعلى آله ، وصحبه ومن اهتدى بهداه .

أما بعد:

فيا أيها المسلمون:

اقـرؤوا التاريخ إذ فيه العبر ... ضـل قـوم ليس يـدرون الخبر

وقال آخر:

مـن لم يـع التاريخ في صـدره ... لم يـدر حلو العيش مـن مره

ومن وعى أخبار من قد مضى ... أضـاف أعـمارًا إلى عمره

عباد الله: من الآيات العظيمة في يوم عاشوراء من شهر الله المحرم نجاة الله لنبيه موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ - وقومه وإهلاك فرعون وجنوده قال الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ

قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الشعراء :٥٢-٦٨] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [يونس :٨٧-٩٢] .

فينبغي لنا معاشر المسلمين أن نتذكر أيام الله بنصر أنبيائه وأتباعهم وأن نتذكر أيام الله بخذلان أعدائه ، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم :٥] .

وقصص الأنبياء وما جرى لهم من الآيات من أعظم العبر كما قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ

وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [يوسف:١١١].

ونجاة الله – عَزَّوَجَلَّ – لموسى وقومه من أعظم النعم كما قال الله تعالى: عن موسى – عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ – ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴾ [إبراهيم:٦].

وهلاك فرعون وقومه آية وعبرة لمن يخشى الله، قال الله تعالى: ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النازعات:١٥-٢٦].

اللهم إنا نسألك الفوز عند القضاء، والنصر على الأعداء، ومنازل الشهداء، ومرافقة الأنبياء، هذا وصلوا وسلموا رحمكم الله على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه، فقال عز شأنه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦].

اللهم صل وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

٢٣ فضل حُسن الخُلق

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون: إن حُسن الخُلق من أبرز علامات أهل الإيمان وحلية

المتقين في واسع الجنان حُسن الخُلق سبب في صلاح الأمة وذهاب أخلاقها ذهاب لعزها ومكانتها .

ولله در من قال:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت　　فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وقال آخر:

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم　　فأقم عليهم مأتمًا وعويلا

وحُسن الخُلق يكون مع الله ويكون مع عباد الله.

قال بعض السلف: حُسن الخلق قسمان أحدهما مع الله - عَزَّوَجَلَّ - وهو أن كل ما يأتي منك يوجب عذرًا ، وكل ما يأتي من الله يوجب شكرًا، فلا تزال شاكرًا له معتذرًا إليه سائرًا إليه بين مطالعة منته ، وشهود عيب نفسك وأعمالك.

والثاني: حُسن الخلق مع الناس ، وجماعه أمران: بذل المعروف قولًا وفعلًا وكف الأذى قولًا وفعلًا. (١)

ولهذا قال عبد الله بن المبارك -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : حُسن الخلق كف الأذى وبذل الندى وطلاقة الوجه ، والمراد بكف الأذى أن لا يؤذي الناس لا بلسانه كالغيبة والنميمة ولا بجوارحه كالضرب والقتل.

والمراد بالندى العطاء فيبذل العطاء من مال وعلم وجاه. وطلاقة الوجه بأن يلاقي الناس بوجه منطلق ليس بعبوس ولا مصعر خده فهذا هو حُسن الخلق .

وحُسن الخُلق فضله عظيم ، وثوابه عند الله كبير ، قال الله تعالى:

(١) تهذيب السُنن ج٥(٢٣١٢) لابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- .

﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران :١٣٣-١٣٤].

وقال تعالى ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت :٣٤-٣٥] .

ولله در أبي العتاهية حينما قال:

وإذا تناسبت الرجال فما أرى ... نسبًا يكون كصالح الأعمال

وإذا بحثت عن التقي وجدته ... رجلًا يصدق قوله بفعال

وإذا اتقى الله امرؤ وأطاعه ... فتراه بين مكارم ومعال (١)

وقال الله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف :١٩٩] .

قال عبد الله بن الزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : أمر الله نبيه ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس (٢) ، وقال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم :٤] .

وفي مُسند الإمام أحمد (٣) عن سعد بن هشام بن عامر قال: أتيت عائشة فقلت: يا أم المؤمنين أخبريني بخُلق رسول الله ﷺ قالت: كان خُلقه القرآن أما تقرأ القرآن قول الله - عَزَّوَجَلَّ -: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ قلت: فإني أريد أن أتبتل قالت لا تفعل أما تقرأ ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ

(١) ديوان أبي العتاهية ص (٢٤٨) .
(٢) البخاري برقم (٤٦٤٤).
(٣) أحمد برقم (٢٤٦٠١) صححه الشيخ شعيب .

﴿حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ فقد تزوج رسول الله ﷺ وقد ولد له.

ومما يدل على حُسن الخلق ومنزلته العظيمة وصيت النبي ﷺ لمعاذ بن جبل وأبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا « **اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخُلق حسن** ». (١)

قال العلامة ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى- (٢) : جمع النبي ﷺ بين تقوى الله وحُسن الخُلق ، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه وحُسن الخُلق، يصلح ما بينه وبين خلقه ، فتقوى الله توجب له محبة الله ، وحُسن الخُلق يدعو الناس إلى محبته.

خالق الناس بخلق حسن لا تكن كلبًا على الناس يهري

وحُسن الخُلق يوجب محبة الله لصاحبه :ففي مستدرك الحاكم (٣) عن أسامة بن شريك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : كنا جلوسًا عند النبي ﷺ كأنما على رؤوسنا الطير ، لا يتكلم منا متكلم إذ جاءه ناس من الأعراب ، فقالوا : يا رسول الله أفتنا في كذا ، أفتنا في كذا ، فقال : « **يا أيها الناس من الأعراب وضع الله الحرج إلا من اقترض لأخيه عرضًا فذلك الذي حرج وهلك** » ، قالوا: أفنتداوى يا رسول الله ؟ قال : « **نعم إن الله** - عَزَّوَجَلَّ - **لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء غير داء واحد** » قالوا : وما هو يا رسول الله ؟ قال : « **الهرم** » قالوا : فمن أحب عباد الله إلى الله ؟ قال : « **أحسنهم خلقًا** » .

وحُسن الخُلق يوجب لصاحبه محبة رسول الله ﷺ والقرب منه يوم

(١) صحيح الترمذي برقم (١٩٨٧).
(٢) فوائد الفوائد ص (٢١٠).
(٣) المستدرك ج٤(٤٠٠) وصحيح الأدب المفرد برقم (٢٩١).

القيامة: ففي سُنن الترمذي [١] عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أن رسول الله ﷺ قال: « **إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا ، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة : الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون** » قالوا : يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون ؟ قال : « **المتكبرون** » .

وحُسن الخُلق سبب في دخول الجنة :ففي سُنن الترمذي [٢] عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال : « **تقوى الله وحُسن الخُلق** ». وسُئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال : « **الفم والفرج** » .

وفي سُنن أبى داود [٣] عن أبى أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله ﷺ: « **أنا زعيم ببيت في ربض الجنة ، لمن ترك المراء وإن كان محقًا ، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب ، وإن كان مازحًا ، وببيت في أعلى الجنة لمن حُسن خلقه** ».

وفي سُنن أبى داود [٤] أيضا عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم** » .

وحُسن الخُلق سبب في كمال الإيمان:ففي سُنن أبي داود [٥] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : « **أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلقا** ».

ومن فضائل حُسن الخُلق أنه أثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة:

---

(١) صحيح الترمذي برقم (٢٠١٨) .
(٢) صحيح الترمذي برقم (٢٠٠٤) .
(٣) صحيح أبي داود برقم (٤٨٠٠) .
(٤) صحيح أبي داود برقم (٤٧٩٨) .
(٥) صحيح أبي داود برقم (٤٦٨٢) .

فعند أبي داود[١] عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عن النبي ﷺ قال : « **ما من شيء أثقل في الميزان من حُسن الخلق** » .

ومن فضائل حُسن الخُلق أنه خير الأعمال وأجل الصفات :فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : « **لقي رسول الله ﷺ أبا ذر فقال : يا أبا ذر ألا أدلك على خصلتين هما أخف على الظهر و أثقل في الميزان من غيرهما ؟** » ، قال: بلى يا رسول الله ، قال « **عليك بحُسن الخلق و طول الصمت، فوالذي نفس محمد بيده ما عمل الخلائق بمثلهما** » . [٢]

ومن فضائل حُسن الخُلق أنه سبب لتعمير الديار وزيادة الأعمار :ففي مُسند أحمد [٣] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قال لها « إنه من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة وصلة الرحم وحُسن الخُلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار » .

وما أحسن ما قاله الإمام ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ- : الدين كله خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين. [٤]

وقال الإمام الماوردي -رَحِمَهُ اللَّهُ- : إذا حسنت أخلاق الإنسان كثر مصافوه ، وقل معادوه ، فتسهلت عليه الأمور الصعاب ، ولانت له القلوب الغضاب . [٥]

نسأل الله تعالى بمنه وكرمه أن يرزقنا الأخلاق الحسنة ، وأن يجنبنا الأخلاق السيئة ، إنه ولي ذلك والقادر عليه. والحمد لله رب العالمين.

---

(١) صحيح أبي داود برقم (٤٧٩٩) .
(٢) المعجم الأوسط برقم (٧٢٤٥) والصحيحة برقم (١٩٣٨) .
(٣) أحمد (٢٥٢٥٩) والصحيحة برقم (٥١٩) .
(٤) مدارج السالكين ج٢(٢٩٤) .
(٥) أدب الدنيا والدين ص (٢٦٥) .

الخطبة الثانية :

الحمد لله ذي الفضل والإحسان جعل حُسن الخُلق طريقًا إلى الفوز والرضوان ، أحمده وأشكره كل يوم هو في شأن ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي بالتقوى والمكارم ، زكاه وعلى آله وصحبه الذين ائتمروا بأمره واهتدوا بهده .

أما بعد: فيا أيها المسلمون: إن الله – عَزَّوَجَلَّ – بعث رسوله ﷺ ليتمم به مكارم الأخلاق وصالحها ، فقد ثبت في مُسند أحمد (١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله ﷺ : « **إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**»، وقد كان ﷺ يدعو الناس بلسان مقاله ويدعوهم بلسان حاله بأخلاقه وكريم فعاله

والخُلق الحسن إنما هو رزق من الله : فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله ﷺ : « **إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم ، و إن الله يعطي الدنيا من يحب و من لا يحب ، و لا يعطي الإيمان إلا من أحب ، فمن ضن بالمال أن ينفقه و خاف العدو أن يجاهده ، و هاب الليل أن يكابده ، فليكثر من قول : سبحان الله والحمد لله و لا إله إلا الله ، و الله أكبر** » . (٢)

ولله در من قال:

فـإذا رزقـت خليقة محمودة   فقد اصطفاك مقسم الأرزاق

(١) أحمد برقم (٨٩٥٢) وصحيح الجامع برقم (٢٣٤٩) .
(٢) الحاكم ج١(٣٣) والصحيحة برقم (٢٧١٤) .

فالناس هـذا حظه مـال وذا علم وذاك مـكـارم الأخـلاق
والمـال إن لم تـدخـره محصنًا بالعلم كـان نهـايـة الإمـلاق
والعلم إن لم تكتنفه شمائل تعليه كـان مطية الإخـفـاق
لا تحسبن العلم ينفع وحده مـا لم يـتـوج ربـه بخـلاق

عباد الله: جمع بعض العلماء علامات حُسن الخُلق فقال: هو أن يكون كثير الحياء، قليل الأذى كثير الإصلاح، صدوق اللسان قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزلل، قليل الفضول، برًا وصولًا، وقورًا صبورًا شكورًا، رضيًا حليمًا، رفيقًا عفيفًا شفيقًا، لا لعانًا ولا سبابًا، ولا نمامًا ولا مغتابًا، ولا عجولًا ولا حقودًا، ولا بخيلًا ولا حسودًا، بشاشًا هشاشًا، يحب في الله ويبغض في الله، ويرضى في الله، ويغضب في الله، فهذا هو حُسن الخُلق.

إن المـكـارم أخـلاق مطهرة فالعقل أولهـا والـديـن ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها والجود خامسها والعرف ساديها
والـبر سابعها والصبر ثامنها والشكر تاسعها واللين عاشيها
والنفس تعلم أني لا أصدقها ولست أرشد إلا حين أعصيها
والعين تعلم من عيني محدثها إن كان من حزبها أو من أعاديها

وأعظم الناس إسلامًا أحسنهم خلقًا: ففي الأدب المفرد للبخاري [١]

(١) صحيح الأدب المفرد برقم (٢١٨).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «**خيركم إسلامًا أحاسنكم أخلاقًا إذا فقهوا** » .

ومن أعظم الأسباب المعينة لحُسن الخُلق:

الدعاء فعند ابن حبان [(١)] عن قطبة بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال كان النبي ﷺ يقول: « **اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأهواء، والأسواء والأدواء**» .

وفي صحيح مسلم [(٢)] عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال : « **وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين ، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين ، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت ، اللهم أهدني لأحسن الأخلاق ، لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عني سيئها ، لا يصرف عني سيئها إلا أنت...**» .

وفي صحيح ابن حبان [(٣)] عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : كان رسول الله ﷺ يقول : « **اللهم حسنت خلقي فحسن خُلقي** » .

المجاهدة لأن الخُلق الحسن نوع من الجهاد وقد قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[العنكبوت :٦٩] .

النظر في سيرة رسول الله ﷺ وأخلاقه وأخلاق أصحابه.

مصاحبة الأخيار وأهل الأخلاق الفاضلة.

وأما أسباب تغير حُسن الخُلق فهي كثيرة منها:

١ – الهموم فالهموم تذهل اللب وتشغل القلب وقد قيل الهم كالسم.

---

(١) صحيح ابن حبان برقم (٩٦٠) .
(٢) مسلم برقم (٧٧١) .
(٣) صحيح ابن حبان برقم (٩٥٩) .

٢- الأمراض فالأمراض تغير طبيعة الإنسان ولا يحتمل الصبر ويضيق صدره سريعًا.

٣- الفقر إما تحسرًا على المال أو أسفًا على الغنى .

٤- الغنى فيقع الإنسان بسببه في الكبر والأشر .

٥- الولاية فكم غيرت الولاية من أناس والله المستعان.

٦- علو السن وحدوث الهرم وغيرها من الأسباب التي قد تغير بعض الناس، نسأل الله السلامة والعافية.

والله تعالى أعلى وأعلم.

٢٤ الأدب زينة وجمال

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون: إن الأدب زينة وجمال الإنسان وهو سبب للرفعة في

الدنيا والآخرة والأدب هو الدين كله وهو أغلى وأعظم من النسب.

ولما كان هذا الموضوع من الأهمية بمكان أحببت أن أتحدث عنه في النقاط التالية:

١- تعريف الأدب.

٢- أقسامه .

٣- فضله .

٤- عقوبة من ترك الأدب.

٥- أدب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

٦- أدب السلف الصالح.

٧- بعض الطرق لاكتساب الأدب.

أما تعريفه فقد قال عبد الله بن المبارك -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: قد أكثر الناس القول في الأدب ونحن نقول : إنه معرفة النفس ورعوناتها وتجنب تلك الرعونات. [١]

والرعونة: هي الحُمق والإستر خاء

وقال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:وحقيقة الأدب استعمال الخُلق الجميل [٢]

وقال بعضهم الأدب اجتماع خصال الخير في العبد. [٣]

وأما أقسامه فثلاثة أقسام:

١- الأدب مع الله: وهو القيام بدين الله والتأدب بآدابه ظاهرًا وباطنًا

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : ولا يستقيم لأحد قط الأدب مع الله إلا

(١) مدارج السالكين ج٢(٤٢٦) .

(٢) مدارج السالكين ج٢(٤٣٠) .

(٣) مدارج السالكين ج٢(٢٢٤) .

بثلاثة أشياء معرفته بأسمائه وصفاته ومعرفته بدينه وشرعه وما يحب وما يكره ونفس مستعدة قابلة لينة متهيئة لقبول الحق علمًا وعملًا وحالًا والله المستعان.(١)

٢- الأدب مع رسول الله ﷺ :وهو كمال التسليم والانقياد له .

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾ [الحجرات :٢] .

٣- الأدب مع الخلق كالوالدين والعلماء و الأمراء.

قال الله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ ﴾[الإسراء :٢٣-٢٤] .

أما فضله قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾[التحريم :٦] .

قال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنهُ في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ أدبوهم وعلموهم .(٢)

وقال مجاهد بن جبر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : أوصوا أنفسكم وأهليكم بتقوى الله وأدبوهم. (٣)

(١) الضوء المنير ج٣(١٤٦) .
(٢) المستدرك ج٢(٥٣٥) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .
(٣) البخاري ج٨(٥٢٧) .

ولهذا قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : والأدب هو الدين كله.(١)

والأدب سيادة لأهله قال بعض الحكماء أربعة يسود بها العبد العلم والأدب والفقه والأمانة .(٢)

وقال بعض السلف: ناهيك من شرف الأدب أن أهله ، متبوعون والناس تحت راياتهم ، فيعطف ربك تعالى عليهم قلوبًا لا تعطفها الأرحام، وتجتمع بهم كلمة لا تأتلف بالغلبة ، وتُبذل دونهم مهج النفوس.(٣)

ومن لم يتأدب فحياته مقيتة ، ولهذا يقول الإمام سفيان الثوري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- من لم يتأدب للوقت فوقته مقت.(٤)

وكمال الأدب يدل على كمال العقل ، قال بعض العلماء: ليس العاقل وإن كان تامًا بمستغنٍ عن الأدب ، والعلم الذين هما زينته وجماله.(٥)

وقال بعض السلف : العقل بلا أدب كالشجر العاقر ، ومع الأدب كالشجر المثمر.

وقال بعضهم : لا أدب إلا بعقل ولا عقل إلا بأدب وكان يقال : من قعد به حسبه نهض به أدبه .

وقال بعضهم : الأدب يستر قبح النسب ، وقيل الفضل بالعقل والأدب لا بالأصل والحسب ، لأن من ساء أدبه ضاع نسبه ، ومن قل عقله ضل أصله.

فيا عباد الله ما أحوجنا إلى الآداب الإسلامية فقد كان ابن المبارك

---

(١) مدارج السالكين ج٢(٤٣٣) .
(٢) لباب الآداب ص(٢٢٨)للسفاريني .
(٣) لباب الآداب ص(٢٣٤)للسفاريني .
(٤) لباب الآداب ص(٢٢٨)للسفاريني .
(٥) لباب الآداب ص(٢٣٢)للسفاريني .

-رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- يقول : نحن إلى كثير من الأدب ، أحوج منا إلى كثير من الحديث.

وأما عقوبة ترك الأدب فقد قال عبد الله بن المبارك -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السُنن ، ومن تهاون بالسُنن عوقب بحرمان الفرائض ، ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة. (١)

وقال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : وأدب المرء عنوان سعادته وفلاحه ، وقلة أدبه: عنوان شقاوته وبواره ، فما استجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب ولا استجلب حرمانها بمثل قلة الأدب . (٢)

وقال بعض السلف: الزم الأدب ظاهرًا وباطنًا فما أساء أحد الأدب في الظاهر إلا عوقب ظاهرًا ، وما أساء أحد الأدب في الباطن إلا عوقب باطنًا. (٣)

وقال الحافظ ابن عساكر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- (٤) كان العبدري أحفظ شيخ لقيته، وكان فقيها داوود يًا، ذكر أنه دخل دمشق في حياة أبي القاسم بن أبي العلاء، وسمعته وقد ذكر مالك، فقال: جلف جاف، ضرب هشام بن عمار بالدرة، وقرأت عليه « الأموال » لأبي عبيد، فقال وقد مر قول لأبي عبيد : ما كان إلا حمارًا مغفلًا لا يعرف الفقه.

وقيل لي عنه: إنه قال في إبراهيم النخعي: أعور سوء، فاجتمعنا يومًا عند ابن السمرقندي في قراءة كتاب « الكامل » ، فجاء فيه: وقال السعدي كذا، فقال: يكذب ابن عدي، إنما ذا قول إبراهيم الجوز جاني، فقلت له:

(١) مدارج السالكين ج ٢(٤٣٠) .
(٢) مدارج السالكين ج ٢(٤٤٠) .
(٣) مدارج السالكين ج ٢(٤٣٠) .
(٤) سير أعلام النبلاء ج١٩(٥٨١) .

فهو السعدي، فإلى كم نحتمل منك سوء الأدب، تقول في إبراهيم كذا وكذا، وتقول في مالك جاف، وتقول في أبي عبيد ؟ ! ، فغضب وأخذته الرعدة، وقال: كان ابن ا لخا ضبة والبرداني وغيرهما يخافوني، فآل الأمر إلى أن تقول في هذا ؟ ! فقال له ابن السمرقندي: هذا بذاك، فقلت: إنما نحترمك ما احترمت الأئمة.

نسأل الله - جَلَّوَعَلَا - أن يوفقنا وإياكم للتأدب بآداب الإسلام وتعاليمه.

والله المستعان.

الخطبة الثانية :

الحمد لله وحده حمدًا يكافئ نعمه ويدافع نقمه ، وأشهد أن لا إله إلا الله لا إله غيره ، ولا شريك معه وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، بالحق أرسله وبجميل الصفات طهره وزينه ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الأوفياء البررة ، **أما بعد:**

فأعظم الناس أدبًا الأنبياء والمرسلون -عليهم الصلاة والسلام- فهذا نبينا محمد ﷺ قال الله عنه في شأن المعراج ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم :١٧] .

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا : ما ذهب يمينًا ولا شمالًا وقوله ﴿ وَمَا طَغَىٰ ﴾ أي ما جاوز ما أمر به .

قال ابن كثير -رحمه الله- وما أحسن ما قال الناظم:

رأى جنة المأوى وما فوقها ولو رأى غيره ما قد رآه لتاها

وهذا عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال الله تعالى عنه: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [المائدة :١١٦] .

فانظر إلى أدب عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع ربه ﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ﴾ ولم يقل لم أقله ثم قال ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ فنفى العلم

عن نفسه وأثبت العلم لله وعظم ربه فقال﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾

وهذا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال الله عنه أنه قال : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ ﴾ [الشعراء :٧٨-٨١] .

فتأمل كيف قال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ :﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ ولم يقل أمرضني حفظًا للأدب مع الله.

وهذا موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال : ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾[القصص :٢٤] ولم يقل أطعمني.

وهذا آدم وزوجه عليهما السلام ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[الأعراف :٢٣] .

ولم يقولا ربنا قدرت علينا وقضيت علينا.

وهذا أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال الله عنه :﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء :٨٣] . فانظر كيف فوض الأمر لله ولم يقل عافني واشفني كل هذا تأدبًا مع الله.

وهذا يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال الله عنه : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[يوسف :١٠٠] .

فتأمل كيف قال :﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ ﴾ولم يقل من الجب ، لئلا يذكر إخوته صنيعهم بعد عفوه عنهم لأنه قال لهم قبل ذلك: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ .

قال بعض السلف : ذكر الجفاء في وقت الصفا جفاء .

ثم قال ﴿ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ ﴾ ولم يقل رفع عنكم جهد الجوع والحاجة أدبًا معهم ، ثم قال: ﴿ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ﴾ فقدم نفسه وأخر إخوته وأحال ذنوبهم على الشيطان تكرمًا منه وأدبًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. وهذا الخضر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال الله عنه: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [الكهف :٧٩] ، ولم يقل فأراد ربك أن أعيبها .

وقال في الغلامين اليتيمين : ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف :٨٢] .

ومنه قول مؤمني الجن: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [الجن :١٠] ، فلم يقولوا في باب الشر أراد بهم ربهم لكن في الخير قالوا : ﴿ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾

ومنه قوله ﷺ : « والشر ليس إليك » .(١)

وأما ما كان عليه السلف من الأدب ، فهذا باب واسع ولكن حسبنا أن نذكر بعض الأمثلة ، فهذا العباس بن عبد المطلب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يُسأل أنت أكبر أو النبي ﷺ فيقول : هو أكبر وأنا ولدت قبله.(٢)

لأنه لو قال : أنا أكبر منه لأوهم كبر المقام ، ومراده كبر السن.

وهذا عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أخذ لزيد بن ثابت بالركاب فقال:

---

(١) مسلم برقم (٧٧١) عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ .
(٢) السير ج٢(٩٧) .

تنح يا ابن عم رسول الله ﷺ فقال: هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا .[١]

وقال أيضًا رضي الله عنه : مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع أن أسأله هيبة له .[٢]

وهذا الإمام مالك -رحمه الله- : كان إذا سُئل وأجاب لا يراجع هيبة له وأدبًا معه حتى قال الشاعر:

يأبى الجواب فلا يراجع هيبة   والسائلون نواكس الأذقان

أدب الوقار وعز سلطان التقى   فهو المطاع وليس ذا سلطان

وهذا الإمام أحمد -رحمه الله- قال: أبو زرعة كنت عند أحمد بن حنبل فذُكر إبراهيم بن طهمان -رحمه الله تعالى- وكان متكئًا من علة فجلس وقال لا ينبغي أن يُذكر الصالحون فيُتكأ .[٣]

وقال أحمد بن سنان :كان عبد الرحمن بن مهدي لا يُتحدث في مجلسه ولا يُبرى قلم ولا يقوم أحد كأنما على رؤوسهم الطير أو كأنهم في صلاة .

وهذا الإمام المبجل الشافعي -رحمه الله- يقول:كنت أصفح الورقة بين يدي مالك -رحمه الله- صفحًا رفيقًا هيبة له لئلا يسمع وقعها.[٤]

ولما كان الإمام الشافعي -رحمه الله- يتأدب مع العلماء مع جلالة قدره وعلمه تأدب الطلاب معه.

فهذا الربيع بن سليمان صاحب الإمام الشافعي يقول -رحمه الله تعالى-

(١) الطبقات الكبرى ج٢(٣٦٠) .
(٢) البخاري برقم (٤٩١٣) ومسلم برقم (١٤٧٩) .
(٣) السير ج٧(٣٨١) .
(٤) المجموع ج١(٦٣) .

والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إليّ هيبة له [١]:

وكان بعض السلف إذا ذهب إلى معلمه يتصدق بشيء ويقول اللهم استر عيب معلمي عني ولا تذهب بركة علمه مني. [٢]

عباد الله: وهناك طرق عظيمة لاكتساب الأدب فمن ذلك:

تربية النشىء على الآداب ولله در من قال:

قد ينفع الأدب الأحداث في صغر ... وليس ينفع عند الشيبة الأدب

وقال آخر:

لا تأسفن على الصبيان إن ضربوا ... فالضرب يبرأ ويبقى العلم والأدب

فالضرب ينفعهم والعلم يرفعهم ... لولا الإخافة ما خطوا ولا كتبوا

وقد قيل: من أمن العقوبة أساء الأدب .

وأعظم من هذا كله قول النبي ﷺ : « علقوا السوط حيث يراه أهل البيت، فإنه لهم أدب » . [٣]

ولهذا قال بعض السلف: بادروا بتأديب الأطفال قبل تراكم الأشغال وتفرق البال.

وقال بعضهم: إذا أردت أن ترغم أنف عدوك فربِّ ولدك .

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ... ولا يلين إذا قومته الخشب

---

(١) المجموع ج١(٦٣) .
(٢) المجموع ج١(٦٢- ٦٣) .
(٣) الطبراني ج١٠(٢٨٤) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. والصحيحة برقم (١٤٤٧) .

وقد قيل: ما ورثت الآباء الأبناء شيئًا أفضل من الأدب.

ولقد كان السلف الصالح يشجعون أبناءهم على الآداب فهذا لقمان الحكيم الذي أخبر الله عن مواعظه ونصائحه لابنه قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ [لقمان: ١٣-١٩].

وقال حبيب بن الشهيد لابنه: يا بني اصحب الفقهاء والعلماء وتعلم منهم وخذ من أدبهم فإن ذلك أحب إلي من كثير من الحديث.

وقال آخر لابنه: يا بني لأن تتعلم بابًا من الأدب أحب إلي من أن تتعلم سبعين بابًا من أبواب العلم.

وقال الإمام مالك -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: كانت أمي تعممني وتقول لي اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه.

ومن طرق اكتساب الأدب، مصاحبة المربين والمؤدبين.

ومن طرق اكتساب الأدب، مجاهدة النفس على ذلك قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

ومن طرق اكتساب الأدب ، كثرة الدعاء أن يرزقك الله الأدب .

نسأل الله العليَّ الأعلى أن يرزقنا الأدب الجم ، والخُلق الحسن، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا ، وأن يهدينا سُبل السلام ، وأن يكفينا شر كل ذي شر ، إنه خير مسؤول وخير مأمول.

والحمد لله رب العالمين.

(٢٥) فضل الحياء

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون : إن من الصفات الحميدة والفضائل المجيدة الحياء في

الدين وإن التجرد من خلق الحياء مدرجة الهلاك والسقوط من درك إلى درك إلى أن يصبح الإنسان صفيق الوجه وينزع خلق الإسلام فيجترئ على المخالفات و لا يبالي بالمحرمات [١].

وإن حديثنا في هذه الخطبة عن فضل الحياء بإذن الله تعالى.

عباد الله الحياء لغة: السكينة والوقار ، وضد الحياء الوقاحة والبذاء: ولهذا جاء في مستدرك الحاكم وغيره [٢] عن أبي هريرة وأبي بكرة وابن عمر وعمران بن حصين ي أن رسول الله ﷺ قال : « **الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار**» .

والحياء في الإصطلاح : عرفه ابن مفلح الحنبلي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: بقوله خلق يبعث على فعل الحسن وترك القبيح [٣]

والحياء ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الحياء من الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- .

والقسم الثاني : الحياء من الناس .

أما الحياء من الله فهو،أن تأتمر بما أمرك الله وأن تنتهي عما نها ك الله عنه.

وقد وردت الأدلة العظيمة في وجوب الحياء من الله - عَزَّوَجَلَّ - .

ففي سُنن الترمذي[٤] عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « **استحيوا من الله حق الحياء. قال: قلنا: يا رسول الله إنا نستحيي والحمد لله، قال: ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ**

(١) عودة الحجاب :ج٣(١١٢) .

(٢) مستدرك الحاكم :ج١(٥٢-٥٣) سُنن الترمذي برقم :(٢٠٠٩) الصحيحة للألباني برقم (٤٩٥) .

(٣) الآداب الشرعية :ج٢(٢٢٧) .

(٤) سُنن الترمذي برقم (٢٤٥٨) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب برقم (٢٦٣٨) .

الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء».

وثبت في المعجم الكبير للطبراني [(١)] عن سعيد بن يزيد الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا قال: يارسول الله أوصني، قال: «**أوصيك أن تستحي من الله - عَزَّوَجَلَّ - كما تستحي من الرجل الصالح من قومك**».

وصح عند ابن حبان [(٢)] عن أسامة بن شريك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما كره الله منك شيئًا فلا تفعله إذا خلوت**».

وقال القحطاني - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى - في نونيته: [(٣)]

وإذا خلوت بريبة في ظلمة ... والنفس داعـيـة إلى الطغيان

فاستحي من نظر الإله وقل لها ... إن الـذي خلق الـظـلام يـراني

وجاء عند الترمذي [(٤)] عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده قال: قلت: يا نبي الله عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال: «**احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك**، قلت: يا رسول الله إذا كان القوم بعضهم في بعض؟، **قال: إن استطعت أن لا يراها أحد فلا يرينها**، قال: قلت: يا نبي الله إذا كان أحدنا خاليًا؟، **قال: فالله أحق أن يستحيا منه من الناس**».

وقال بعض السلف: (خف الله على قدر قدرته عليك واستحي منه

---

(١) معجم الطبراني الكبير برقم (٥٥٣٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٥٤١) والصحيحة برقم (٧٤١).

(٢) صحيح ابن حبان برقم (٤٠٣) وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان برقم (٤٠٤) والصحيحة برقم (١٠٥٥) وصحيح موارد الظمآن برقم (٢١١٦).

(٣) النونية للقحطاني ج١(٢٨-٢٩).

(٤) سُنن الترمذي برقم (٢٧٩٤) سُنن ابن ماجه برقم (١٩٢٠) وحسنه الالباني كما في الإرواء برقم (١٨١٠).

على قدر قربه منك [١]

القسم الثاني من الحياء ، الحياء من الناس وهو الكف عما يخالف المروءة والأخلاق .

والحياء على نوعين :

١- غريزي أي جبلي فمن الناس من عنده هذه الصفة فصار متصفًا بها مجبولًا عليها من الصغر فلا تراه إلا حييًا وقورًا ساكنًا .

٢- مكتسبًا من الكتاب والسُّنَّة وقد جمع الله لنبيه محمد ﷺ النوعين كما ذكر غير واحد من أهل العلم.

عباد الله - الحياء من صفات الله - عَزَّوَجَلَّ - فالله هو الحييُّ ومعناه المبالغة في الحياء،فقد جاء في مُسند أحمد وأبي داود في سُننه [٢] عن يعلى بن أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ رأى رجلًا يغتسل بالبِراز - أي في الفضاء الواسع بلا إزار، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:« **إن الله - عَزَّوَجَلَّ - حيي ستير، يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر**».

وثبت عند أحمد و ابن ماجه والترمذي [٣] عن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله ﷺ : « **إن الله تعالى حيي كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرًا خائبتين** » .

وجاء في الصحيحين [٤] عن أبي واقد الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ (بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى

---

(١) فتح الباري :ج١(٧٥) .

(٢) أحمد برقم (١٧٩٧٠) سُنن أبي داود برقم (٤٠١٢)وصححه الألباني كما في الإرواء برقم (٢٣٣٥) .

(٣) سُنن الترمذي :برقم (٣٥٥٦) سُنن ابن ماجه برقم (٣٨٦٥) وأحمد برقم (٢٣٧١٤) .

(٤) صحيح البخاري برقم (٦٦) ومسلم برقم (٢١٧٦) .

رسول الله ﷺ وذهب واحد، قال: فوقفا على رسول الله ﷺ، فأما أحدهما: فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر: فجلس خلفهم، وأما الثالث: فأدبر ذاهبًا، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: ألا أخبركم عن النفر الثلاثة أما أحدهم فآوى إلى الله فآواه الله ، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه).

والحياء من صفات الأنبياء والرسل فهذا رسول الله ﷺ كان شديد الحياء ، فقد جاء في الصحيحين [(١)] عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان النبي ﷺ « **أشد حياء من العذراء في خدرها فإذا رأى شيئًا يكرهه عرفناه في وجهه**» أي كان النبي ﷺ لا يتكلم لحيائه ولكن يتغير وجهه .

والمراد بالعذراء البكر في خدرها أي في ستر ها والمراد حال اختلائها بالزوج الذي لم تعرفه قبل ذلك .

وهذا أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما جاء عند ابن المبارك –رَحِمَهُ اللَّهُ– في كتابه الزهد [(٢)] قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يخطب الناس:« **يا معشر المسلمين استحيوا من الله فو الذي نفسي بيده إني لأظل حين أذهب إلى الغائط في الفضاء متقنعًا بثوبي استحياءً من ربي** – عَزَّوَجَلَّ –» .

وهذا عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال فيه النبي ﷺ كما جـاء في صحيح مسلم [(٣)] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: « **كان رسول الله ﷺ مضطجعًا في بيتي، كاشفًا عن فخذيه، أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث، ثم استأذن عمر، فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله ﷺ، وسوى ثيابه، فدخل فتحدث،**

(١) صحيح البخاري برقم (٦١٠٢)صحيح مسلم برقم (٢٣٢٠) .
(٢) الزهد لابن المبارك برقم (٣٠١) .
(٣) (٥) صحيح مسلم برقم (٢٤٠١) .

فلما خرج ، قالت عائشة: يا رسول الله ، دخل أبو بكر، فلم تهش له ، ولم تبال به، ثم دخل عمر، فلم تهش له ، ولم تبال به، ثم دخل عثمان ، فجلست، فسويت ثيابك؟، فقال النبي ﷺ : ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة».

وهذا علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فقد جاء في الصحيحين (١) عن علي أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت رجلًا مذاءً فاستحييت أن أسأل رسول الله ﷺ فأمرت المقداد بن الأسود فسأله فقال : « **فيه الوضوء**» .

أخوة الإسلام الحياء خلق كريم وشيءٌ عظيم تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : «**رأس مكارم الأخلاق الحياء**» . (٢)

وقد صح عند الإمام ابن ماجه (٣) عن أنس وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالا : قال رسول الله ﷺ : « **إن لكل دين خلقًا ، وإن خلق الإسلام الحياء**» .

وأعظم ما يعين العبد على اكتساب الحياء ترك الذنوب والمعاصي لإن الإنسان إنما يفقد الحياء بسبب المعاصي، ولهذا يقول الإمام ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى- : « ومن عقوبات المعاصي ذهاب الحياء الذي هو مادة حياة القلب، وهو أصل كل خير، وذهابه ذهاب الخير أجمعه» . (٤)

وقال بعض السلف : رأيت المعاصي مذلة فتركتها مروءة فصارت ديانة . (٥)

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاء

---

(١) صحيح البخاري برقم (١٧٨) صحيح مسلم برقم (٣٠٣) وهذا لفظ البخاري .
(٢) الآداب الشرعية لأبن مفلح :ج٢(٢٢٧) .
(٣) سُنن ابن ماجه :برقم (٤١٨٢) وحسنه الألباني صحيح الجامع برقم (٢١٤٩) .
(٤) الجواب الكافي :ص (٦٨) .
(٥) فتح الباري لابن حجر :ج١(٧٥) .

فـلا والله مـا في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهـب الحياء
يعيش المـرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقي الحياء [١]

وقال آخر :
اذا قـلَّ مـاءُ الوجه قل حياؤه ولا خير في وجه إذا قلَّ ماؤه[٢]

وقال آخر :
إني كـأني أرى مَـنْ لا حياء له ولا أمانة وسط القوم عريانا [٣]

وقال آخر :
إذا لم تصن عرضًا ولم تخش خالقًا وتستح مخلوقًا فما شئت فاصنعِ

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وسُنَّة نبيه محمدٍ ﷺ ، قلت ما سمعتم ، واستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم

(١) سفط الملح و ز وح الترح :ص (٣٣) المؤلف: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي.
(٢) لطائف الإشارات تفسير القشيري :ج٢(٦١) تفسير سورة التوبة .
(٣) شرح ديوان الحماسة :ج١(٩٥٣) روح البيان :ج٣(١٤٨) تفسير سورة الأعراف .

الخطبة الثانية :

الحمد لله الذي وفق من شاء من عباده لمكارم الأخلاق ، وهداهم لما فيه فلاحهم وسعادتهم في الدنيا ويوم التلاق ، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له ، الملك الكريم الخلاق ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، أفضل الخلق على الإطلاق ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان ، وسلم تسليمًا.

أما بعد :

فيا عباد الله لقد رغبنا الإسلام في الحياء ودعانا إليه وبين لنا نبينا محمدﷺ أن الحياء قرين الإيمان ففي مستدرك الحاكم وغيره (١) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال :قال رسول الله ﷺ : « **إن الحياء والإيمان قرنا جميعًا، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر** » .

والحياء شعبة من الإيمان، ففي الصحيحين (٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عن النبي ﷺ قال : « **الإيمان بضع وسبعون شعبة – أو بضع وستون شعبة – فأفضلها قول لاإله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان** » .

وجاء في الصحيحين (٣) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: « **أن رسول الله ﷺ مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء فقال رسول الله ﷺ: دعه فإن الحياء من الإيمان** » .

(١) مستدرك الحاكم :ج١(٧٣) وصححه الألباني صحيح الجامع برقم :(١٦٠٣) .
(٢) البخاري برقم (٩) ومسلم برقم (٣٥) وهذا لفظ مسلم .
(٣) البخاري برقم (٢٤) صحيح مسلم برقم (٥٩) .

فالحياء أيها الناس خير كله فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه [(١)] عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « الحياء خير كله» وفي لفظ في الصحيحين [(٢)] عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ايضًا قال: قال رسول الله ﷺ: « **الحياء لا يأتي إلا بخير** » .

وقد قص الله لنا قصة الرجل الصالح وأثنى سبحانه على ابنتيه لوجود الحياء عند هما فقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [القصص :٢٣-٢٥] .

وصح عند ابن أبي حاتم [(٣)] عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: « جاءت تمشي على استحياء قائلة بثوبها على وجهها، ليست بسلفع من النساء دلاجة ولاجة خراجة » .

وقال الجوهري -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى- [(٤)] (السلفع من الرجال الجسور، ومن النساء الجارية السليطة، ومن النوق الشديدة) ، واليوم لو نظرنا في هذه الصفة صفة الحياء عند نساء زماننا لوجدناها مفقودة إلا من رحم الله تعالى ، فحالهن كما قال الشاعر:

---

(١) صحيح مسلم :برقم (٣٧) .
(٢) البخاري برقم :(٦١١٧) صحيح مسلم :برقم (٣٧) .
(٣) تفسير ابن أبي حاتم :ج ٧(٢٠١) وسنده صحيح .
(٤) الصحاح :ج ٣(١٢٣١) .

لحد الركبتين تشمرينا بربك أي نهر تعبرينا
كأن الثوب ظل في صباح يزيد تقلصًا حينًا فحينا
تظنين الرجال بلا شعور لإنك ربما لا تشعرينا

نحن والله في هذا الزمان فقدنا كثيرًا من أخلاقنا وحيائنا ، فكم نرى من تبرج النساء وسفورهن ، ولله درمَنْ قال :

ذهب الحياء من النساء فلا ترى منهن إلا غير ذات عفافِ
وتسير عابثةً بكل فضيلةٍ وتشير بالأجفان والأطرافِ
لبستْ من الأثواب ثوبًا فاضحًا فغدتْ تميس بثوبها الشفافِ
يحكي عجيزتها ويحكي صدرها ويبين منها كل شيء خافِ

معاشر المسلمين إن الأنبياء اتفقت كلماتهم على استحسان الحياء ، فما من نبي ولا رسول إلا ندب إليه وبعث عليه ، ولهذا جاء في البخاري وأحمد في مُسنده (١) عن أبي مسعود البدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال النبي ﷺ : «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة، إذا لم تستحي فاصنع ما شئت** » .

وهذا وعيد شديد ، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [فصلت :٤٠] .

(١) البخاري برقم (٣٤٨٤) أحمد برقم (١٧١٠٨) بلفظ إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى ...الخ) .

وكقوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف:٢٩] .

أسأل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أن يثبتنا وإياكم على الإيمان وأن يجنبنا الفسوق والعصيان .

اللهم كن لنا ولاتكن علينا وأختم بالباقيات الصالحات أعمالنا وبلغنا ما يرضيك عنا وأصلح حكامنا وولاة أمرنا. اللهم اصلح العباد والبلاد وجنبنا الشر والفساد .

اللهم أملأ وجوهنا منك حياءً وقلوبنا منك حبًا وأسكن في نفوسنا من عظمتك ما تذل به جوارحنا من طاعتك يا رب العالمين ويا أرحم الرحمين .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[النحل:٩٠] .

فاذكروا الله يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون.

(٢٦) فضل التواضع

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار . ،

أيها المسلمون عباد الله ، إن التو اضع لله -جَلَّ وَعَلَا- ولخلقه من خير

الخلال وأحب الخصال .

قال أبو جعفر الصادق -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: أحب الخلق إلى الله المتواضعون .

والتواضع يسبب الرفعة للعبد ويوجب له القبول عند الله ، وعند خلقه .

والتواضع لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- باعث كبير على التآلف و التحابب فهو سبب عظيم في جمع القلوب وتقاربها ، فتعالوا بنا أيها المؤمنون لنتعايش بقلوبنا مع هذا الخلق الجليل لعل الله أن يرزقنا وإياكم هذا الخلق الكريم ولإهمية هذا الموضوع وطول شعبه أجملته في خمسة عناصر .

١- تعريف التواضع لغة واصطلاحًا .

٢- شروط التواضع.

٣- أقسام التواضع.

٤- فضل التواضع .

٥- تواضع رسولنا محمدٍ ﷺ .

أما تعريفه لغةً :فهو الخفض والسكون .

أما في الإصطلاح :فقد تعددت أقوال أهل العلم في ذلك وتنوعت، فمن قائل :التواضع هو الإستسلام للحق وترك الإعراض عن الحكم من الحاكم .

ومن قائل : التواضع هو خفض الجناح ولين الجانب .

ومن قائل : التواضع قبول الحق ممن كان كبيرًا أو صغيرًا شريفًا أو

وضيعًا .[١]

ومن قائل : التواضع هو الإنكسار والتذلل .[٢]

ومن قائل : التواضع هو تحمل النفس بالخضوع ومنعها الترفع على الناس والإستخفاف بهم وحملها على احترامهم مهما اختلفت درجاتهم وتباينت مشاربهم . فهذا هو التواضع لله - عَزَّوَجَلَّ - وللخلق .

وأما شروط التواضع فلا بدله من شرطين أساسيين :

١- الإخلاص لله -تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ-فقد جاء في صحيح مسلم [٣] عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه قال«**ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله- عَزَّوَجَلَّ-** ».

٢- القدرة - ولهذا ثبت في سُنن الترمذي وغيره [٤] عن معاذ بن أنس الجهني رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: « **من ترك اللباس تواضعًا لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها**» .

وجاء عند أحمد في مُسنده وابن ماجه في سُننه [٥] عن أبي أمامة الحارثي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: « **البذاذة من الإيمان، البذاذة من الإيمان**» .

قال عبد الله بن الإمام أحمد : سألت أبي -رَحِمَهُٱللَّهُ- قلت : ما البذاذة قال التو اضع في اللباس .

---

(١) عون المعبود شرح سُنن أبي داود :ج٧(١٣٧) الطبعة العصرية .
(٢) المفهم للقرطبي :ج٦(٥٧٥) .
(٣) صحيح مسلم برقم (٢٥٨٨).
(٤) سُنن الترمذي برقم (٢٤٨١) الصحيحة برقم (٧١٨).
(٥) سُنن أبي داود برقم (٤١٦١) وسُنن ابن ماجه برقم (٤١١٨) وأحمد في مُسنده برقم(٢٤٠٠٩) وصححه الألباني الصحيحة برقم (٣٤١).

وأما أقسام التواضع، فإن التواضع على قسمين :

١- التواضع الممدوح : وقد يكون واجبًا كالتواضع لله ولرسوله ﷺ، والتواضع للوالدين وللعلماء ولسائر الخلق .

قال تعالى ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾[الإسراء :٢٣-٢٥] .

٢- التواضع المذموم : كالتواضع لأهل الدنيا و لأهل الظلم ولأهل المناصب ، وهذا هو الذل وليس من التواضع بشيءٍ.

وأما فضل التواضع وما ورد فيه من ترغيب عظيم فما أكثر النصوص في ذلك .

قال الله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾الفرقان الآية (٦٣) فهذه الآية الكريمة فيها مدح عظيم لعباد الله المؤمنين وأن التواضع من اخص صفاتهم ولهذا ذكر الله أول صفاتهم التواضع فقال ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾ .

قال الإمام ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- : في قوله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾أي سكينة و وقارًا متواضعين، غير أشرين، ولا مرحين ولا متكبرين. قال الحسن: علماء حلماء. وقال محمد بن الحنفية: أصحاب وقار وعفة لا يسفهون. وإن سفه عليهم حلموا.

والهون بالفتح في اللغة: الرفق واللين. والهون بالضم: الهوان. فالمفتوح منه: صفة أهل الإيمان. والمضموم: صفة أهل الكفران. وجزاؤهم من الله

النيران.[١]

وقال ابن كثير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- عند قوله تعالى ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ أي: بسكينة ووقار من غير جبرية ولا استكبار.)[٢]

وقال الإمام السعدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- عند هذه الآية ﴿ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ أي: ساكنين متواضعين لله وللخلق فهذا وصف لهم بالوقار والسكينة والتواضع لله ولعباده .)[٣]

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [الإسراء :٣٧-٣٨-٢٥] . والمرح: الكبر وعدم التواضع .

وقال تعالى ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾[لقمان :١٨-١٩] .

فقد صح في الزهد لابن المبارك -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-[٤] عن ابن أبي حبيب -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- في قوله تعالى : ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ ﴾ قال : السرعة .

إذا شئت أن تزداد قدرًا ورفعةً فلين وتواضع واترك الكبر والعجب

وقال تعالى : ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر :٨٨] .

وقال تعالى:﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الشعراء:٢١٥].

---

(١) مدارج السالكين ج٢(٣٣٣) .
(٢) تفسير ابن كثير ج٥(٦٠٥) .
(٣) تفسير السعدي ج٣ (٥٠٦) .
(٤) الزهد لابن المبارك برقم (٨٣٥) وسنده صحيح .

قال أبو حيان الأندلسي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- : ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ ﴾ أي لمن اتبعك مؤمنًا، فتواضع له. (١)

وقال الإمام القرطبي (٢) -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- في قوله تعالى : ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الحجر :٨٨] . أي الين جانبك لمن أمن بك وتواضع لهم .

وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة :٥٤] .

وقال تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾[الفتح:٢٩] ،لكن للأسف صار المسلم متكبرًا على أخيه المسلم ؛ وجبانًا أمام الكافر ، إلا من رحم الله تعالى .

فحاله كما قال القائل :

كبرًا علينا وجبنًا عن عدوكم   لبئست الخلتان الكبر والجبن

وقد جعل الله -تعالى- الجنة للمتواضعين، قال تعالى: ﴿ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [القصص :٨٣] .

---

(١) البحر المحيط ج٧(٤٦) .
(٢) الجامع لإحكام القرآن للقرطبي :ج١٢(٢٥٤) .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [هود:٢٣] .

قال أبو حيان الأندلسي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-[١]: في قوله تعالى : ﴿وَأَخۡبَتُوٓاْ ﴾ أي تواضعوا .

وقال تعالى ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء:٩٠] .

قال مجاهد بن جبر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : في قوله﴿ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ أي متواضعين .

أمة الإسلام والقرآن ، لقد امتدح السلف الصالح التواضع وبينوا فضله ومكانته قال أبوبكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ : « وجدنا الكرم والغنى في التقوى ، والشرف في التواضع».

وقال عبد الله بن مسعودرَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: من تواضع تخشعًا رفعه الله يوم القيامة ومن تطاول تعظمًا وضعه الله يوم القيامة .[٢]

وقالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا : إنكم لتُغْفلون أفضل العبادة التواضع .[٣]

وقال ابن المعتز -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- : أشد العلماء تواضعًا أكثرهم علمًا لإن المكان المنخفض أكثر البقاع ماءً.

العلم حرب للفتى المتعالي كالسيل حرب للمكان العالي[٤]

(١) تحفة الأريب ص (١٦٦) .
(٢) الزهد لوكيع بن الجراح برقم (٢١٦) وسنده صحيح .
(٣) الزهد لوكيع بن الجراح برقم (٢١٣) وسنده صحيح .
(٤) حلية طالب العلم ص (٣٩) .

وقال ابن الحاج -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- في كتابه المدخل : « فمن أراد الرفعة فليتواضع لله تعالى، فإن العزة لا تقع إلا بقدر النزول ، ألا ترى أن الماء لما نزل إلى أصل الشجرة صعد إلى أعلاها، فكأن سائلا سأله ما صعد بك هاهنا أعني في رأس الشجرة ، وأنت قد نزلت تحت أصلها، فكأن لسان حاله يقول: من تواضع لله رفعه الله. (١)

وقال الإمام الشافعي قدس الله روحه : التواضع من أخلاق الكرام، والتكبر من شيم اللئام، التواضع يورث المحبة، والقناعة تورث الراحة.

وقال: أرفع الناس قدرًا، من لا يرى قدره، وأكثرهم فضلًا، من لا يرى فضله .

وقال الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- معلقًا : لا نلام والله على حب هذا الإمام، لأنه من رجال الكمال في زمانه -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- . (٢)

وقال العماد الأصبهاني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : ألن جانبك لقومك يحبونك وتواضع لهم يرفعونك وابسط لهم يدك يُطيعونك .

إن التواضع من خصال المتقي   وبـه التقي إلى المعـالي يرتقي

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم بكتابه الكريم، وبهدي سيد المرسلين محمد بن عبدالله الصادق الأمين .

أقول ما سمعتم ، واستغفروا الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب وأتوب اليه.

(١) المدخل: ج٢(١٢٠) .
(٢) السير: ج١٠(٩٩) .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، وصاحب الخلق العظيم ، والهدي القويم ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد: فيا أيها المسلمون اتقوا الله ربكم واهتدوا بهدي نبيكم محمد ﷺ ، قال الله تعالى: : ﴿ **لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا** ﴾ [الأحزاب :٢١] .

عباد الله ، التواضع من أعظم مكارم الأخلاق ، وهو سبب للرفعة في الدنيا والآخرة . ففي صحيح مسلم [١] عن عياض رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله ﷺ : «**إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا ، حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغي أحد على أحد**» .

وثبت عند الطبراني في الكبير [٢] عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا :عن رسول الله ﷺ قال : « **ما من آدمي إلا في رأسه حكمة بيد ملك ، فإذا تواضع قيل للملك ارفع حكمته ، وإذا تكبر قيل للملك ضع حكمته**» .

والحكمة هي الحديدة في اللجام تكون على أنف الفرس يرد بها الراكب حيثما يريد الراكب .

وكفى بملتمس التواضع رفعةً   وكفى بملتمس العلوِّ سِفالًا

(١) صحيح مسلم برقم (٢٨٦٥) .
(٢) الطبراني في الكبير برقم (١٢٩٣٩) الصحيحة للألباني برقم (٥٣٨) .

وقد ورد في صحيح مسلم (١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله** - عَزَّ وَجَلَّ - » . والمتواضع يرفعه الله في الدنيا والآخرة وتحبه القلوب ويكون عظيم القدر بين العباد .

تواضع اذا كنت تبغي العُلا وكن راسيًا عند صفو الغضب

فخفض الفتى نفسه رفعــة له واعتـبر برسوب الذهـب

وقال آخر :

تواضع إذا ما كان قدرك عاليًا فإن اتضاع المرءِ من شيم العقل

وقال آخر :

اتضع للناس إن رُمـت العُلا واكظم الغيظ ولا تُبدِ الضجر

معاشر المسلمين : أما تواضع نبينا محمد ﷺ فظاهر في أخلاقه ومعاملته وسيرته ، فقد كان ﷺ متواضعًا مع ربه ، متواضعًا مع أهله ، متواضعًا مع الناس جميعًا .

أما تواضعه مع ربه ففي مُسنديّ أحمد وأبي يعلى (٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: « **جلس جبريل إلى النبي ﷺ فنظر إلى السماء، فإذا ملك ينزل، فقال جبريل: إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خلق قبل الساعة، فلما نزل قال: يا محمد، أرسلني إليك ربك، قال: أفملكًا نبيًا يجعلك، أو عبدًا**

(١) صحيح مسلم برقم (٢٥٨٨) .
(٢) أحمد برقم (٧١٦٠) مُسند أبي يعلى برقم (٦١٠٥) .

رسولًا؟، قال جبريل: تواضع لربك يا محمد، قال: بل عبدًا رسولاً» .

وأما تواضعه ﷺ مع أهله: ففي صحيح البخاري [١] عن الأسود قال: سألت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: **«كان يكون في مهنة أهله - تعني خدمة أهله - فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة»**.

وعن عمرة قالت قيل لعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: ماذا كان يعمل رسول الله ﷺ في بيته قالت : **«كان بشرًا من البشر يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه»** .

وأما تواضعه مع الناس فهذا أكثر من أن يذكر فقد كان ﷺ متواضعًا مع الكبير والصغير والذكر والأنثى ، فقد جاء في البخاري ومسلم [٢] عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ **«كان يمر بالصبيان فيسلم عليهم»**.

وثبت عند الإمام أحمد في مُسنده [٣] عن جرير بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: **«كان النبي ﷺ كان يمر بنساء فيسلم عليهن»** .

وجاء في البخاري [٤] عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: **« إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة، لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت»**.

وفي صحيح مسلم [٥] عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **« أن امرأة عرضت لرسول الله ﷺ في طريق من طرق المدينة، فقالت: يا رسول الله، إن لي إليك حاجة، فقال: يا أم فلان، اجلسي في أي سكك المدينة شئت أجلس إليك، قال: ففعلت، فقعد إليها رسول الله ﷺ حتى قضت حاجتها»** .

وصح عند أحمد [٦] عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا قال: يا محمد

(١) البخاري برقم (٦٧٦) .
(٢) البخاري برقم (٦٢٤٧) ومسلم برقم (٢١٦٨) .
(٣) أحمد برقم (١٩١٥٤) .
(٤) البخاري برقم (٦٠٧٢) .
(٥) مسلم برقم (٢٣٢٦) .
(٦) أحمد برقم (١٢٥٥١) .

يا سيدنا وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا، فقال رسول الله ﷺ:« **يا أيها الناس عليكم بتقواكم، لا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله** » .

وروى الإمام الحاكم في مستدركه (١) عن أبي مسعود رضي الله عنه أن رجلاً كلم النبي ﷺ يوم الفتح، فأخذته الرعدة، فقال النبي ﷺ : «**هون عليك، فإني لست بملك ، إنما أنا ابن امرأة من قريش ، كانت تأكل القديد**».

وفي صحيح البخاري (٢) عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**» .

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه (٣) عن أنس رضي الله عنه قال: قال رجل لرسول الله ﷺ يا خيرَ البرية، فقال رسولُ الله ﷺ : « **ذاكَ إبراهيم** » .

وفي صحيح البخاري (٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : «**لو دعيت إلى كراع - أو ذراع - لأجبت، ولو أهدي إلي ذراع، لقبلت**».

و في صحيح مسلم (٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أنا سيد ولد آدم، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، وأول مشفع** » .

تواضع تكن كالنجم لاح لناظرٍ على صفحات الماء وهو رفيع
ولاتك كالدخان يعلو بنفسه إلى طبقات الجو وهو وضيع

(١) المستدرك ج٣(٤٧-٤٨) الصحيحة للألباني برقم (١٨٧٦) .
(٢) البخاري برقم (٣٤٤٥) .
(٣) مسلم برقم (٢٣٦٩) .
(٤) البخاري برقم (٢٥٦٨) .
(٥) مسلم برقم (٢٢٧٨) .

أسأل الله بعز ته وجلاله ، أن يردنا إليه ردًا جميلًا ، وأن يصلح أحوالنا وأقوالنا ، ويهدي قلوبنا ، ويوحد صفوفنا ، وأن يلهمنا رشدنا ، وأن يصلح ولاة أمورنا ، وأن يرزقهم البطانة الصالحة الناصحة ، التي تدلهم على الخير والطريق المستقيم .

والحمد لله رب العالمين .

٢٧ سلامة الصدور

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

قال الله -سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ

سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء :٨٨-٨٩] .

قيل لمحمد بن سيرين ما القلب السليم قال أن يعلم أن الله حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور.

وقال الحسن البصري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: القلب السليم ما سليم من الشرك.

وقال عروة بن الزبير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : القلب السليم لا يكون لعانًا.

وقال الضحاك بن مزاحم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : القلب السليم الخالص.(١)

وقال القرطبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : وهذا القول يجمع شتات الأقوال بعمومه وهو حسن، أي الخالص من الأوصاف الذميمة، والمتصف بالأوصاف الجميلة.

وقال أيضًا -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: وفي صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال:«**يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير**» يريد - والله أعلم - أنها مثلها في أنها خالية من ذنب، سليمة من كل عيب، لا خبرة لهم بأمور الدنيا .(٢)

وقال أبو عثمان النيسابوري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:القلب السليم هو القلب الخالي من البدعة المطمئن إلى السُّنَّة.

وقال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- (٣) : والقلب السليم هو الذي سلم من الشرك والغل والحقد والحسد والشح والكبر وحب الدنيا والرياسة فسلم من كل آفة تبعده من الله وسلم من كل شبهة تعارض خبره ومن كل شهوة تعارض أمره وسلم من كل إرادة تزاحم مراده وسلم من كل قاطع يقطعه عن الله فهذا القلب السليم في جنة معجلة في الدنيا وفى جنة في البرزخ وفى

(١) تفسير القرطبي ج١٣(١١٤ - ١١٥) .
(٢) تفسير القرطبي ج١٣(١١٥) .
(٣) الجواب الكافي ص(١٥٦) .

جنة يوم المعاد ولا يتم له سلامته مطلقا حتى يسلم من خمسة أشياء من شرك يناقض التوحيد وبدعة تخالف السُّنَّة وشهوة تخالف الأمر وغفلة تناقض الذكر وهوى يناقض التجريد والإخلاص يعم.

وقد أثنى الله - جَلَّ وَعَلَا - على إبراهيم عليه السلام بسلامة قلبه قال تعالى ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الصفافات :٨٣-٨٤] .

وأخبر -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- عن سلامة صدور أهل الإيمان من الصحابة ومن تبعهم بإحسان، فقال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر :٨-١٠] .

قال الإمام الحسن البصري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : في قوله تعالى ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ ﴾ قال : هو الحسد . (١)

وقال الحافظ ابن كثير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: أي لا يجدون في أنفسهم حسدًا للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف والتقديم في الذكر والرتبة. (٢)

فينبغي للمسلم أن يطهر قلبه من الغل والحسد والشحناء والبغضاء

(١) مصنف ابن أبي شيبة ج٩(٩٤) وسنده صحيح .
(٢) تفسير ابن كثيرج٤(٣٨٣) .

والكبر ومن جميع الشوائب والضغائن، ففي سُنن ابن ماجه[١] عن عبد الله ابن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : قيل لرسول الله ﷺ أي الناس أفضل؟، قال « **كل مخموم القلب صدوق اللسان** » . قالوا صدوق اللسان نعرفه ، فما مخموم القلب ؟ قال : « **هو التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد** ».

وقد أحسن من قال:

لما عفوت ولم أحقد على أحد ... أرحت نفسي من غم العداوات
إني أحيي عدوي عند رؤيته ... لأدفع الشر عني بالتحيات
وأظهر البشر للإنسان أبغضه ... كأنه قد ملا قلبي محبات
والناس داء وداء الناس قربهم ... وفي الجفاء لهم قطع الأخوات
فلست أسلم ممن لست أعرفه ... فكيف أسلم من أهل المودات

وقال آخر:

فإن الذي بيني وبين عشيرتي ... وبين بني عمي لمختلف جدا
إذا قدحوا لي نار حرب بزندهم ... قدحت لهم في كل مكرمة زندا
وإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم ... وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم ... وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
وأعطيهم مالي إذا كنت واجدا ... وإن قل مالي لم أكلفهم رفدا

(١) صحيح ابن ماجه برقم (٤٢١٦) .

وفي صحيح مسلم [١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تحاسدوا ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخوانًا ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ههنا ، ويشير إلى صدره ثلاث مرات ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله، وعرضه** ».

وفي صحيح مسلم [٢] أيضًا عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم** ».

وفي صحيح مسلم [٣] أيضًا عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :أن رسول الله ﷺ قال : « **تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس ، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا ؛ إلا رجلًا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال : أنظروا هذين حتى يصطلحا ، أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا** » .

والشحناء: هي العداوة والبغضاء. ومعنى قوله: ﷺ «**أنظروا هذين حتى يصطلحا**» ، أي أخروا هذين حتى يصطلحا .

وفي رواية لمسلم : « **تعرض الأعمال في كل يوم خميس واثنين ، فيغفر الله -عز و جل- في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئًا ؛ إلا امراءً كانت بينه وبين أخيه شحناء ، فيقال: أتركوا هذين حتى يصطلحا أتركوا هذين حتى يصطلحا**»، ومعنى قوله ﷺ : « **أتركوا هذين**» : أي أخروا .

---

(١) مسلم برقم (٢٥٦٤) .
(٢) مسلم برقم (٢٥٦٤) .
(٣) مسلم برقم (٢٥٦٥) .

ولله در من قال:

إذا أدْمتْ قوارصكم فؤادي صبرت على أذاكمْ وانطويت

وجئت إليكمُ طلق المحيا كأني ما سمعت ولا رأيت

وفي سُنن ابن ماجه (١) عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **من فارق الروح الجسد وهو بريئ من ثلاث دخل الجنة ، من الكبر ، والغلول ، والدَّيْن** » .

وفي صحيح مسلم (٢) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : « **لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر** » قال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة قال : « **إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس** » .

وعند الإمام أحمد(٣) عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : التقى عبد الله ابن عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص على المروة فتحدثا ، ثم مضى عبد الله بن عمرو وبقي عبد الله بن عمر يبكي ، فقال له رجل: ما يبكيك يا أبا عبدالرحمن، قال : هذا يعني عبد الله بن عمرو ، زعم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « **من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كِبر ، أكبه الله على وجهه في النار** » .

اللهم احفظ علينا ديننا ، وتوفنا وأنت راض عنا ، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) صحيح ابن ماجه برقم (٢٤١٢) .
(٢) مسلم برقم (٩١) .
(٣) أحمد برقم (٧٠١٥) .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الرسول الأمين وعلى آله وأصحابه والتابعين ، **أما بعد:**

فسلامة الصدور نعمة عظيمة من الله للعبد ، هذا ومما ينبغي للعبد المؤمن أن يكون سليم الصدر ، من حب الدنيا وآفاتها ، ففي سُنن ابن ماجه [(١)] عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال سمعت نبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : **«من جعل الهموم همًا واحدًا همَّ المعاد ، كفاه الله هم دنياه ، ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا ، لم يبال الله في أي أوديته هلك »** .

وعند الترمذي [(٢)] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **« من كانت الآخرة همَّهُ ، جعل الله غناه في قلبه ، وجمع له شمله ، وأتته الدنيا وهي را غمة ، ومن كانت الدنيا همَّهُ ، جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله ، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّر له»** .

قال ابن القيم – رَحِمَهُ اللَّهُ – [(٣)] : لا تدخل محبة الله في قلب فيه حب الدنيا؛ إلا كما يدخل الجمل في سم الإبرة.

عباد الله: إن سلامة الصدور من أفضل الأعمال الصالحة عند الله قال سفيان بن دينار: قلت لأبي بشير وكان من أصحاب علي ـ يعني ابن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أخبرني عن أعمال من كان قبلنا ؟، قال : (كانوا يعملون يسيرًا ويؤجرون كثيرًا) ، وقال : قلت : ولم ذاك ؟ ، قال : (لسلامة

---

(١) صحيح ابن ماجه برقم (٤١٠٦) .
(٢) صحيح الترمذي برقم (٢٤٦٥) .
(٣) الفوائد ص (٩٨) .

صدورهم) . [١]

وقال بعض السلف : أفضل الأعمال سلامة الصدور ، وسخاوة النفوس ، والنصيحة للأمة . قال ابن رجب -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- وبهذه الخصال بلغ من بلغ لا بكثرة الاجتهاد في الصوم والصلاة .[٢]

وقال العلامة ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : وأي لذة ونعيم في الدنيا أطيب من بر القلب وسلامة الصدر ومعرفة الرب تعالى ومحبته والعمل على موافقته وهل عيش في الحقيقة إلا عيش القلب السليم. [٣]

وسلامة الصدور سبب في حُسن الخاتمة ، قال زيد بن أسلم: دُخل على أبي دجانة وهو مريض، وكان وجهه يتهلل ، فقيل له: ما لوجهك يتهلل ؟ ، فقال: ما من عمل شيء أوثق عندي من اثنتين: كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، والأخرى كان قلبي للمسلمين سليمًا. [٤]

ولقد كان أهل العلم والإيمان-رحمهم الله- ، في غاية من الاهتمام بسلامة صدورهم ، فهذا الإمام أحمد بن حنبل -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- سأل بعض طلبة العلم من أين أقبلتم ، فقالوا: من مجلس أبي كريب - وكان أبو كريب ينكر على الإمام أحمد أشياء - غير أن الإمام أحمد كان ينصح بملازمته ، والكتابة عنه ، فقال : إنه شيخ صالح اكتبوا عنه ، فقالوا : إنه يطعن فيك، فقال: فأي شيء حيلتي ، شيخ صالح قد بُلي بي . [٥]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- هذا وأنا في سعة صدر

(١) الزهد لهناد ج٢(٦٠٠) .
(٢) تفسير ابن رجب ج٢(٣٩٧) جمع طارق بن عوض.
(٣) الجواب الكافي ص (١٧٨) .
(٤) السير ج١١(٢٤٣) .
(٥) السير ج١١(٣١٧) .

لمن يخالفني فإنه وإن تعدى حدود الله في بتكفير أو تفسيق أو افتراء أو عصبية جاهلية فأنا لا أتعدى حدود الله فيه بل أضبط ما أقوله وأفعله وأزنه بميزان العدل وأجعله مؤتمًا بالكتاب الذي أنزله الله وجعله هدى للناس حاكمًا فيما اختلفوا فيه قال الله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾ وذلك أنك ما جزيت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، والله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.(١)

وقال أيضًا -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: فلا أحب أن ينتصر من أحد بسبب كذبه عليَّ أو ظلمه وعدوانه، فإني قد أحللت كل مسلم وأنا أحب الخير لكل المسلمين، وأريد لكل مؤمن من الخير ما أحبه لنفسي، والذين كذبوا وظلموا فهم في حل من جهتي.(٢)

اللهم طهر قلوبنا من النفاق، وأعمالنا من الرياء، وألسنتنا من الكذب وأعيننا من الخيانة، إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

والحمد لله رب العالمين

(١) مجموع الفتاويج٣(٢٤٥ ـ ٢٤٦).
(٢) مجموع الفتاوى ج٢٨(٥٥).

٢٨ فضل المراقبة لله (١)

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

عباد الله :اتقوا الله تعالى وراقبوه وعلموا أن مراقبة الله – عَزَّوَجَلَّ – تحيي القلوب الميتة وتوقظ الضمائر النائمة ومراقبة الله – عَزَّوَجَلَّ – تجعل الأمة في خير وأمن وأمان ومأمن من كل المصائب والفتن .

مراقبة الله – عَزَّوَجَلَّ – من أجل الطاعات وأفضل القربات.

قال الإمام ابن القيم –رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى– :والمراقبة، هي دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق –سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ– على ظاهر ه وباطنه .[١]

وكم من الآيات العظيمة والأحاديث الكثيرة في الترغيب والحث على مراقبة الله – عَزَّوَجَلَّ – في السر والنجوى:

قال تعالى ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴾ [ق : ١٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴾ [يونس : ٦١] .

وقال تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ [الحديد : ٤] .

قال الحافظ ابن كثير –رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى–[٢] :أي رقيب عليكم ، شهيد على أعمالكم حيث أنتم ، وأين كنتم، من بر أو بحر في ليل أو نهار في البيوت أو في القفار الجميع في علمه على السواء ، وتحت بصره وسمعه، فيسمع

(١) مدارج السالكين :ج٢(٦٥) .
(٢) تفسير ابن كثير :ج٤(٣٠٥) .

كلامكم ويرى مكانكم ، ويعلم سركم ونجواكم

وقال تعالى ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ [العلق : ١٤] .

وقال تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [هود : ٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ : ٣] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر : ١٤] .

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة : ٧] .

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [الشعراء : ٢١٨-٢٢٠] .

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ٢٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ

ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[فصلت: ١٩-٢٣].

وعند الإمام الترمذي (١) عن أبي ذر ومعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: « **اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخُلق حسن** ».

وثبت عند البيهقي في السُنن الكبرى(٢) عن عبد الله بن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: « **ثلاث من فعلهن فقد طعم طعم الإيمان، من عبد الله وحده، فإنه لا إله إلا الله، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه، رافدة عليه في كل عام، ولم يعط الهرمة ولا الدرنة، ولا الشرط اللائمة ولا المريضة، ولكن من أوسط أموالكم فإن الله** - عَزَّوَجَلَّ - **لم يسألكم خيره ولم يأمركم بشره، وزكى عبد نفسه** »، فقال رجل: ما تزكية المرء نفسه يا رسول الله، **قال: « يعلم أن الله معه حيث ما كان** ».

قال الإمام الذهبي -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى-: قوله ﷺ « **أن الله معه حيثما كان** »، « يريد أن الله محيط علمه بكل مكان، والله على العرش ».

وفي الصحيحين (٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: « **سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله** - عَزَّوَجَلَّ -، **ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه، وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة، فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه** ».

(١) صحيح الترمذي برقم (١٩٨٧).
(٢) السُنن الكبرى للبيهقي ج٤(٣٤٧) الصحيحة: برقم (١٠٤٦).
(٣) البخاري برقم(٦٢٩) ومسلم برقم (١٠٣١).

وصح في شعب الإيمان [١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: « **ثلاث منجيات وثلاث مهلكات ، فأما المنجيات : فتقوى الله في السر والعلانية ، والقول بالحق في الرضى والسخط ، والقصد في الغنى والفقر ، وأما المهلكات : فهوى متبع ، وشح مطاع ، واعجاب المرء بنفسه وهي أشدهن**»

عباد الله: « إن الله – عَزَّوَجَلَّ – يعلم السر وأخفى لا تخفى عليه خافية في الأرض ولافي السماء فأين مراقبتنا لله – عَزَّوَجَلَّ – وأين حياؤنا من رب العالمين فما بالنا نرتكب الذنوب والمعاصي دون خوف ولا حياء من الله وهذا دليل على ضعف إيماننا وسوء مراقبتنا لربنا –تَبَارَكَ وَتَعَالَى– .

قال سفيان الثوري –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– :عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة .

وقال ابن المبارك –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– :لرجل راقب الله تعالى يا فلان فسأله عن المراقبة فقال له كن أبدًا كأنك ترى الله – عَزَّوَجَلَّ – .

واسمع إلى عاقبة من لا يراقب الله : جاء في سُنن ابن ماجه [٢] عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال : « **لأعلمن أقوامًا من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء ، فيجعلها الله** – عَزَّوَجَلَّ – **هباء منثورا** ، قال ثوبان : يا رسول الله صفهم لنا جلهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم ، **قال : أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ، ويأخذون من الليل كما تأخذون ، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها**» .

وقال حاتم الأصم –رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى– : « تعاهد نفسك في ثلاث إذا

(١) شعب الإيمان للبيهقي برقم (٧٢٥٢) والمشكاة برقم (٥١٢٢) .
(٢) صحيح سُنن ابن ماجه :برقم (٤٢٤٥) .

عملت فاذكر نظر الله اليك وإذا تكلمت فاذكر سمع الله منك وإذا سكت فاذكر علم الله فيك» . (١)

وقال بعض السلف : من راقب الله في خواطره عصمه في حركات جوارحه .

وقال أبو حفص لأبي عثمان النيسابوري : إذا جلست للناس فكن واعظًا لقلبك ولنفسك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فإنهم يراقبون ظاهرك والله يراقب باطنك (٢)

وجاء في صحيح مسلم (٣) عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال « **بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ ،وتقيم الصلاة ،وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ،وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ، قال : صدقت قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه ،قال : فأخبرني عن الإيمان ،قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ،وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال: صدقت قال: فأخبرني عن الإحسان ،قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، قال: فأخبرني عن الساعة ، قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل، قال : فأخبرني عن إمارتها، قال: أن تلد الأمة ربتها ،وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء ،يتطاولون في البنيان ، قال: ثم انطلق**

(١) سير أعلام النبلاء:ج١١(٤٨٥) .
(٢) مدارج السالكين :ج٢(٦٦) .
(٣) مسلم برقم (٨) ورواه البخاري :برقم (٥٠) ومسلم :برقم(٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فلبثت مليًّا ثم قال لي : يا عمر أتدري من السائل ؟، قلت: الله ورسوله أعلم قال فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» .

وجاء في سُنن الترمذي [(١)] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا فقال : « **يا غلام إني أعلمك : كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء ، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف»** .

وما أعظم وصية لقمان لابنه ، قال الله تعالى اخبارًا عنه : ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾ [لقمان :١٦] .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وسُنَّة نبيه محمد ﷺ ، أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه ، إنه غفور رحيم.

---

(١) صحيح الترمذي :برقم (٢٥١٦) .

الخطبة الثانية :

الحمد لله الذي يوقظ القلوب الغافلة بالوعظ والتذكير، أحمده سبحانه له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، البشير النذير والسراج المنير صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين .

أما بعد:

فيا أيها المسلمون :قد سمعتم أدلة عظيمة من القرآن والسُّنَّة في أهمية المراقبة وشأنها ومما يدل أيضًا على فضل المراقبة لله رب العالمين ، ما رواه الإمام مسلم في صحيحه [1] ، عن بريدة بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاءت الغامدية فقالت : يا رسول الله إني قد زنيت فطهرني ، وإنه ردها فلما كان الغد قالت: يا رسول الله لم تردني لعلك أن تردني كما رددت ماعزا فوالله إني لحبلى ، قال: «**إما لا فاذهبي حتى تلدي** » .

فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة قالت : هذا قد ولدته ، قال : اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه ، فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز فقالت: هذا يا نبي الله قد فطمته وقد أكل الطعام ، فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها ، وأمر الناس فرجموها ، فيقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها ، فتنضح الدم على وجه خالد فسبها، فسمع نبي الله ﷺ سبه إياها فقال : « **مهلًا يا خالد ، فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة ، لو تابها صاحب مكس لغُفِر له ، ثم أمر بها فصلى عليها**

(١) صحيح مسلم :برقم (١٦٩٥).

ودفنت» المكس: الضريبة التي يأخذها الماكس، وهو العشار. [١]

وجاء في صحيح مسلم [٢] عن عمرآن بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : « أن امرأة من جهينة أتت نبي ﷺ وهي حبلى من الزنى فقالت: يا نبي الله أصبت حدًا فأقمه علي ، فدعا النبي ﷺ وليها فقال : أحسن إليها فإذا وضعت فائتني بها ، ففعل فأمر بها النبي ﷺ فشكت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها ، فقال له عمر :تصلي عليها يا نبي الله وقد زنت فقال : « **لقد تابت توبة ، لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم ، وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى**».

فلولا مراقبة هؤلاء لله – عَزَّوَجَلَّ – لما جاؤوا تائبين إلى رسول الله ﷺ يطلبون إقامة الحد عليهم وهكذا خبر الثلاثة النفر اللذين آواهم المبيت إلى غار ، ففي الصحيحين [٣] عن عبد الله بن عمر بن الخطاب، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم قال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلًا ولا مالًا فنأى بي طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلًا أو مالًا، فلبثت والقدح على يدى أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئًا**

---

(١) النهاية في غريب الحديث ج٤(٣٤٩).
(٢) صحيح مسلم :برقم (١٦٩٦).
(٣) صحيح البخاري :برقم:(٢٢٧٢) ومسلم :برقم (٢٧٤٣).

لا يستطيعون الخروج منه. قال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم كانت أحب الناس إلي» وفي رواية: **«كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء، فأردتها على نفسها فامتنعت منى حتى ألمت بها سَنَةَ من السنين ، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بيني وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرت عليها»** وفي رواية: **«فلما قعدت بين رجليها، قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فانصرفت عنها وهى أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها. وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله أد إلي أجري، فقلت: كل ما ترى من أجرك: من الإبل والبقر والغنم والرقيق ، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي، فقلت: لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئًا، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون »** .

وجاء في الصحيحين [(١)] أيضًا عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « **إن ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص، وأقرع، وأعمى، أراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكًا، فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس، فمسحه فذهب عنه قذره وأعطي لونًا حسنًا. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل - أو قال البقر- شك الراوي -فأعطي ناقة عشراء، فقال: بارك الله لك فيها.**

(١) صحيح البخاري :برقم:(٢٢٧٢) ومسلم :برقم (٢٧٤٣).

فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟، قال: شعر حسن، ويذهب عني هذا الذي قذرني الناس، فمسحه عنه ، فأعطي شعرًا حسنًا ، قال: فأي المال. أحب إليك؟ قال: البقر، فأعطي بقرة حاملًا، وقال: بارك الله لك فيها.

فأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ ،قال: أن يرد الله إلي بصري فأبصر الناس فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم فأعطي شاة والدا فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم، ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال، بعيرًا أتبلغ به في سفري، فقال: الحقوق كثيرة، فقال: كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيرًا، فأعطاك الله، فقال: إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر، فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت، وأتى الأقرع في صورته وهيئته، فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل مارد هذا، فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلي ماكنت، وأتى الأعمى في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاةً أتبلغ بها في سفري؟ فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله ما أجهدك اليوم بشيء أخذته لله - عَزَّوَجَلَّ -، فقال: أمسك عليك مالك ،فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك» .

فانظر يا عبد الله :كيف رضي الله عن الأعمى الذي راقب الله رب العالمين ، وسخط على الأبرص والأقرع لأنهما لم يراقبا الله تعالى .

ولله در من قال :

وإذا خلوت بريبة في ظلمـــة　　والنفس داعيـة إلى الطغيان
فاستحِ من نظر الإلـه وقل لها　　إن الـذي خلق الـظـلام يـراني

وقال آخر:

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل　　خلوت ولكن قل عليَّ رقيـــب
ولا تحسبن الله يغفل ساعــة　　ولا أنـما تخفي عليه يغيـــب
ألم تر أن اليوم أسرع ذاهــب　　وأن غـدًا للناظرين قريــــب

أسأل الله أن يرزقنا وإياكم إيمانًا كاملًا ، ويقينًا صادقًا ، وأن يهب لنا من تقواه ، ما يقربنا إليه ويدنينا منه ، إنه جواد كريم بر رحيم .

والحمد لله رب العالمين .

٢٩ فضل المراقبة لله (٢)

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

عباد الله: اتقوا الله تعالى وراقبوه وعلموا أن مراقبة الله – عَزَّوَجَلَّ –

تحيي القلوب الميتة وتوقظ الضمائر النائمة ومراقبة الله - عَزَّوَجَلَّ - تجعل الأمة في خير وأمن وأمان ومأمن من كل المصائب والفتن .

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- [١]:المراقبة: هي دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- على ظاهر ه وباطنه.

وقال أيضًا -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: والمراقبة هي التعبد باسمه الرقيب، الحفيظ، العليم، السميع، البصير، فمن عقل هذه الأسماء، وتعبد بمقتضاها: حصلت له المراقبة[٢].

وذكر أهل العلم أن المراقبة تكون في أمور ثلاثة :

الأول :مراقبة الله في طاعته بالعمل الذي يرضيه .

الأمر الثاني :مراقبة الله عند ورود المعصية وذلك بتركها .

الأمر الثالث :مراقبة الله في الهم والخواطر والسر والإعلان .قال الله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [القصص:٦٩].

عباد الله مراقبة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- عبادة عظيمة وشعيرة جليلة إذا رُزقها الإنسان عصم بإذن الله من ارتكاب الذنوب والمعاصي.

قال بعض السلف الصالح : من راقب الله في خواطره ، عصمه في حركات جوارحه . [٣]

إليه وإلّا لا تُشَدُّ الركائبُ ومنه وإلّا فالمؤَمِّلُ خائبُ
وفيه وإلّا فالغَرامُ مضَيُّعُ وعنه وإلّا فالُمحدِّثُ كاذبُ

قال بعض السلف: أعظم العبادات مراقبة الله في سائر الأوقات.

(١) مدارج السالكين :ج٢(٧٣).
(٢) مدارج السالكين :ج٢(٧٤).
(٣) مدارج السالكين :ج٢(٧٣).

أيها المسلمون : كتاب الله تعالى مملوءٌ بالأمر بالمراقبة والترغيب فيها والحث عليها وبيان إحاطة علم الله بكل شيء.

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء:١].

وقال : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴾ [الاحزاب:٥٢].

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴾ [يونس:٦٢].

وقوله تعالى :﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ ﴾ أي في عمل من الأعمال ، وقوله: ﴿ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ ﴾ثم قال : ﴿ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا ﴾ومعنى شهودًا أي شاهدين حاضرين لا يغيب عنا شيء من أعمالكم ولهذا قال تعالى: ﴿ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ أي تدخلون فيه ذلك العمل».

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴾ [يونس:٦١]. أي ولا يغيب عن ربك من مثقال ذرة والذرة هي النملة الحمراء الصغيرة ، في الأرض ولا في السماء ، ولا أصغر من ذلك أي من الذرة ولا أكبر إلا في كتاب مبين ، وهو اللوح المحفوظ» .

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ١٦ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ١٧ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨ ﴾ [ق:١٦-١٨].

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ

﴿أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد:٤].

وقال –سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ–: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق:١٤].

وقال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر:١٩].

وقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٢٢٠﴾ [الشعراء:٢١٨-٢٢٠].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾ [الفجر:٤].

وقال تعالى اخبارًا عن لقمان أنه قال لولده: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان:١٦]، ومعنى ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ﴾ أي الحسنة و السيئة .

يا من خلا بمعاصي الله في الظُلم ... في اللوح يُكتَبُ فعلُ السوءِ بالقلم

بها خلوتَ وعينُ الله ناظرةٌ ... وأنتَ بالآثم منه غير مكتتم

فهل أمنتَ من المولى عقوبته ... يامن عصى الله بعد الشيب والهرم

وقال آخر:

إذا ما قال لي ربي ... أما استحييت تعصيني

وتخفى الذنب من خلقي ... وبالعصيان تأتيني

قال الحارث المحاسبي: من صحح باطنه بالمراقبة والإخلاص، زين

الله ظاهره بالمجاهدة واتباع السُّنَّة .

وقال شُجَاعُ الكرماني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: من عمرَ ظاهره باتباع السُّنَّة وباطنه بدوام المراقبة وغض بصره عن المحارم وكف نفسه عن الشهوات وأكل من الحلال لم تخطئ فراسته « وكان شجاع لا تخطئ له فراسة» .

وقال أبو حفص لأبي عثمان النيسابوري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : إذا جلست للناس فكن واعظًا لقلبك ونفسك. ولا يغرنك اجتماعهم عليك. فإنهم يراقبون ظاهرك. والله يراقب باطنك(١).

فيا عبد الله رب نفسك على مراقبة ربك سواء كنت في البيت أو في السوق أو كنت بين الناس أو وحدك رب نفسك على المراقبة لله في ليلك ونهارك في السفر والحضر في السر والعلانية في الخلوة أو الجلوة .

وإذا خلوت بريبة في ظلمة … والنفس داعية إلى الطغيانِ

فاستحِ من نظر الإله وقل لها … إن الذي خلق الظلام يراني

ومن شعر الإمام أحمد بن حنبل الشيباني -رحمه الله- : قوله

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل … خلوت ولكن قل عليَّ رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة … ولا أنما تخفي عليه يغيب

ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب … وأن غدًا للناظرين قريب

أسأل الله أن يرزقنا جميعًا خشيته في الغيب والشهادة ومراقبته في السر والعلانية ، والله تعالى أعلى وأعلم .

---

(١) مدارج السالكين :ج٢(٧٤).

الخطبة الثانية :

الحمد لله الذي يوقظ القلوب الغافلة بالوعظ والتذكير أحمده سبحانه له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله البشير النذير والسراج المنير صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين .

أما بعد :

فيا أيها المسلمون : قد سمعتم هذه الادلة العظيمة من كتاب ربنا – عَزَّوَجَلَّ – ، ومن كلام أهل العلم في المراقبة وأما ما صح من كلام نبينا محمد ﷺ في هذا الباب هذا شيء كثير ، ولكن نأتي إلى ذكر طائفة من أحاديث المصطفى محمد ﷺ ، فقد ثبت عند البزار [١] عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال :قال رسول الله ﷺ : « **ثلاث مهلكات ، و ثلاث منجيات ، فقال : ثلاث مهلكات : شح مطاع و هوىً متبع وإعجاب المرء بنفسه ، و ثلاث منجيات : خشية الله في السر و العلانية و القصد في الفقر و الغنى و العدل في الغضب و الرضا** » ، فمراقبة الله سبب من أسباب النجاة من كل البلاء ففي صحيح مسلم [٢] عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سئل رسول الله ﷺ عن الإحسان، فقال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» ، وفي هذا دليل على أن المراقبة لها مرتبتان ، الأولى أن تراقب الله

---

(١) البزار برقم (٢٧٩٢) كشف الأستار برقم (٨٠) والصحيحة برقم (١٨٠٢) وقد جاء عن عدة من الصحابة.

(٢) صحيح مسلم برقم (٨).

كأنك تراه ، وهذه مرتبة الطلب والشوق.

والمرتبة الثانية « أن الله رقيب عليك » فإن لم تكن تراه فإنه يراك. وهذه مرتبة الهرب والخوف والرهبة

إخوة الإيمان والعقيدة : لقد أوصى نبينا محمد ﷺ أصحابه كثيرًا بمراقبة الله تعالى : فقد ثبت عند أبي نعيم في الحلية (١) عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، واحسب نفسك مع الموتى ، واتق دعوة المظلوم فإنها مستجابة** ».

وصح« عن أبي ذر رضي الله عنه قال أوصاني خليلي ﷺ أن أخشى الله كأني أراه، فإن لم أكن أراه، فإنه يراني» . (٢)

وأخرج الطبراني في الأوسط (٣) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : أتى رجل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، حدثني بحديث واجعله موجزًا، فقال له النبي ﷺ « **صل صلاة مودع كأنك تراه، فإن كنت لا تراه، فإنه يراك، وآيس مما في أيدي الناس تعش غنيًا وإياك وما يعتذر منه** ».

فيا عباد الله اتقو الله تعالى وراقبوه في السر والنجوى فقد صح عند الترمذي (٤) عن أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ: « **اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها،وخالق الناس بخلق حسن** ».

ومراقبة الله سبب لإظلال العبد تحت ظل عرشه يوم القيامة : ففي الصحيحين (٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **سبعة يظلهم الله**

(١) الحلية ج٨(٢٠٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٩١٧).
(٢) جامع العلوم والحكم ج١(١٢٦).
(٣) الأوسط برقم (٤٤٢٧) وصححه الألباني الصحيحة برقم (١٩١٤).
(٤) صحيح الترمذي برقم (١٩٨٧).
(٥) البخاري برقم(١٤٢٣) ومسلم برقم (١٠٣١).

في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله– عَزَّوَجَلَّ –، ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه، وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة، فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه» .

ومراقبة الله سبب لتزكية النفوس:فقد جاء عند البيهقي في السُنن الكبرى(١) عن عبد الله بن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال : « **ثلاث من فعلهن فقد طعم طعم الإيمان ، من عبد الله وحده فإنه لا إله إلا الله ، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه ، رافدة عليه في كل عام ، ولم يعط الهرمة ولا الدرنة ، ولا الشرط اللائمة ، ولا المريضة ، ولكن من أوسط أموالكم، فإن الله – عَزَّوَجَلَّ – لم يسألكم خيره ، ولم يأمركم بشره ، وزكى عبد نفسه**»، فقال: رجل ما تزكية المرء نفسه يا رسول الله ؟، قال :« **يعلم أن الله معه حيث ما كان**» .

قال الإمام الذهبي –رَحِمَهُ اللَّهُ–: قوله ﷺ : « **أن الله معه حيثما كان** » يريد أن الله محيط بعلمه بكل مكان والله على العرش .

والمراقبة لله – عَزَّوَجَلَّ –سر النجاة وسبب للعلو في الدنيا والآخرة والذكر والثناء الحسن،وقد قال الله تعالى عن يوسف النبي الكريم –عليه الصلاة والسلام–: ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤ ﴾ [يوسف :٢٣-٢٤] .

---

(١) السُنن الكبرى للبيهقي ج٤(٣٤٧) الصحيحة :برقم (١٠٤٦).

وهذه امرأة تقول لابنتها : أخلطي الماء باللبن ، فقالت : ابنتها يا أماه إن عمر ينهى عن ذلك ، فقالت أمها : إن عمر لا يرانا ، فقالت الفتاة : إذا كان عمر لا يرانا ، فرب عمر يرانا .

وإذا كان العبد يعمل الأعمال المحرمة ولا يراقب الله ، فقد يعاقب من قبل الله عقوبة شديدة ، فالذنوب في الخلوات سبب الانتكاسات.

فالمنافقون قال الله عنهم: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ [النساء :١٠٨] .

و جاء في سُنن ابن ماجه (١) عن ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**لأعلمن أقوامًا من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء ، فيجعلها الله** – عَزَّوَجَلَّ – **هباءً منثورًا** » ، قال ثوبان : يا رسول الله صفهم لنا جلهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم ، **قال** : « **أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها**» .

ورحم الله ابن الجوزي إذ يقول: كان رجل لبَّانًا :أي كثير بيع اللبن بالبادية ، وكان يخلط الماء باللبن ، وجاء السيل فذهب بالغنم ، فجعل يبكي ويقول : اجتمعت تلك القطرات فصارت سيلًا.

وقد ثبت عند الإمام أحمد (٢) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: « **إن رجلًا حمل معه خمرًا في سفينة يبيعه، ومعه قرد** ، **قال: فكان الرجل إذا باع الخمر، شابه بالماء ثم باعه** ، **قال: فأخذ القرد الكيس، فصعد**

(١) صحيح سُنن ابن ماجه :برقم (٤٢٤٥).
(٢) مُسند الإمام أحمد برقم (٨٠٥٥).

به فوق الدقل ، قال: فجعل يطرح دينارًا في البحر ودينارًا في السفينة، حتى قسمه » .

هذه العقوبات لمن غش الناس في البيع والشراء ولم يراقب رب العالمين –تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ– فالله يمهل ولا يهمل فكن حذرًا يا مسلم من بطش الله وأخذه ، ولا تغتر بالحياة الدنيا ، فمتاعها زائل وبقاؤنا فيها قليل ، قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا** ﴾ [النساء :٧٧] .

أسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان ، وأن يردنا جميعًا إلى دينه ردًا جميلًا .

اللهم اجعل اجتماعنا هذا اجتماعًا مرحومًا ، وتفرقنا من بعده تفرقًا معصومًا ، ولا تجعل فينا ولا معنا شقيًا ولا محرومًا ، اللهم أصلح لنا ديننا ودنيانا وآخرتنا ، إنك على كل شئ قدير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

٣٠ فضل أكل الحلال وعواقب أكل الحرام

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون: لقد أمر الله - عَزَّوَجَلَّ - بأكل الطيبات ونهى عن أكل

الخبائث والمحرمات.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ [البقرة:١٧٢].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [المائدة:٨٧-٨٨].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة:١٦٨].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ [المؤمنون:٥١].

المال يذهب حله وحرامه ... يومًا وتبقى في غد آثامه
ليس التقي بمتق لإلهه ... حتى يطيب شرابه وطعامه
ويطيب ما يحوي وتكسب كفه ... ويكون في حسن الحديث كلامه
نطق النبي لنا به عن ربه ... فعلى النبي صلاته وسلامه

قال الفضيل بن عياض -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : لم يتزين الناس بشيء أفضل من الصدق وطلب الحلال فقال ابنه علي: يا أبتِ إن الحلال عزيز. قال: يا بني، وإن قليله عند الله كثير.(٢)

و قال بعض السلف : أعز الأشياء في آخر الزمان ثلاثة : أخ في الله

(١) السير ج١١(٩٤) للذهبي.
(٢) السير ج٨(٤٢٦).

يؤنس به ، وكسب درهم من حلال ، وكلمة حق عند سلطان.[١]

وقال سفيان الثوري –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– : عليك بعمل الأبطال الكسب الحلال والإنفاق على العيال.[٢]

ومن فوائد أكل الحلال وفضائله أنه سبب عظيم في صلاح القلوب ولينها وقد سئل الإمام أحمد –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– ما يلين القلوب فقال أكل الحلال فسأل السائل بشر بن الحارث وعبد الوهاب الوراق فقالا بذكر الله فذكر لهما ما قال له أحمد فقالا جاء بالأصل.[٣]

أيها المسلمون إن أكل الحرام من الذنوب العظيمة والآثام الجسيمة قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة :١٠٠] .

وقال تعالى ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة :١٨٨].

وقال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء :٢٩] .

وفي صحيح البخاري [٤] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : «**ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال أمن حلال أم من حرام** »

وهذا من الفتنة أن يفتتن المرء بأكل الحرام وصدق النبي ﷺ القائل :

---

(١) تهذيب الكمال ج٢(٣٥).
(٢) رواه أبو نعيم في الحلية ج٦(٤٢٢) وسنده صحيح.
(٣) الآداب الشرعية ج٣(٤٣٨).
(٤) البخاري برقم (٢٠٨٣).

« إن لكل أمة فتنة ، وفتنة أمتي المال » . (١)

وقد ذكر الإمام الدينوري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- عن سفيان الثوري أنه قال: يا شفي كل الحلال وصل آخر الصفوف تقبل منك ولا تأكل حرامًا وتصلي أول الصفوف فلا يقبل منك . (٢)

عباد الله: أكل الحرام عواقبه سيئة ووخيمة جدًا فمن ذلك :

١-أنه سبب في حرمان إجابة الدعاء ، ففي صحيح مسلم (٣) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : **قال رسول الله ﷺ :« أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال :** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ [البقرة :٥١] ، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ [البقرة :١٧٢] ، **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء ، يا رب يا رب ،ومطعمه حرام ،ومشربه حرام ،وملبسه حرام ،وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك ؟»** .

قال العلامة ابن رجب الحنبلي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : أكل الحرام وشربه ولبسه والتغذي به سبب موجب لعدم إجابة الدعاء. (٤)

وقال بعض السلف: لا تستبطئ الإجابة وقد سددت طرقها بالمعاصي.

قال الشاعر :

نحن ندعو الإلـه في كل كرب ثم ننساه عند كشف الكروب

---

(١) صحيح الترمذي برقم (٢٣٣٦) عن كعب بن عياض رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) المجالسة وجواهر العلم برقم (١٩٤٤) وصححه الشيخ سليم الهلالي وفقه الله تعالى.
(٣) مسلم برقم (١٠١٥).
(٤) جامع العلوم والحكم ج١(٢٧٥).

كيف نرجو إجابة لدعاء قد سددنا طريقها بالذنوب

٢- وأكل الحرام سبب في المحق للأموال وقلة البركة فيها ، يقول الله -جَلَّ وَعَلَا- : ﴿ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [البقرة :٢٧٦] .

وصح عند ابن ماجه [(١)] عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : « **ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قلة** » .

وفي الصحيحين [(٢)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة** » .

وفي الصحيحين أيضًا [(٣)] عن حكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله ﷺ : « **البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا ، بورك لهما في بيعهما وإن كتما وكذبا ، محقت بركة بيعهما** » .

٣-أن أكل الحرام سبب للعذاب في القبور عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ يوم خيبر، فلم نغنم ذهبًا ولا فضة إلا الأموال والثياب والمتاع ، فأهدى رجل من بني الضبيب يقال له رفاعة بن زيد لرسول الله ﷺ غلامًا ، يقال له مدعم ، فوجَّه رسول الله ﷺ إلى وادي القرى، حتى إذا كان بوادي القرى ، بينما مدعم يحط رحلًا لرسول الله ﷺ إذا سهم عائر فقتله،فقال الناس: هنيئًا له الجنة ، فقال رسول الله ﷺ: «**كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم، لتشتعل عليه نارًا** »،فلما سمع ذلك الناس جاء رجل بشراك أو

(١) صحيح ابن ماجه برقم (٢٢٧٩).
(٢) البخاري برقم (٢٠٨٧) ومسلم برقم (١٦٠٦).
(٣) البخاري برقم (٢٠٧٩) ومسلم برقم (١٥٣٢).

شراكين إلى النبي ﷺ **فقال :«شراك من نار أو شراكان من نار»**.[١]

٤ –أن أكل الحرام سبب للعذاب في الآخرة في نار جهنم والعياذ بالله، فعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال :قال رسول الله ﷺ : « **يا كعب بن عجرة أعيذك بالله من إمارة السفهاء** ». قال : وما ذاك يا رسول الله؟، قال: «**أمراء سيكونون من بعدي من دخل عليهم فصدقهم بحديثهم ، وأعانهم على ظلمهم ، فليسوا مني ولست منهم ، ولم يردوا علي الحوض ومن لم يدخل عليهم ولم يصدقهم بحديثهم ولم يعنهم على ظلمهم ، فأولئك مني وأنا منهم ، وأولئك يردون علي الحوض يا كعب بن عجرة ، الصلاة قربان والصوم جنة ، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار ، يا كعب بن عجرة لا يدخل الجنة من نبت لحمه من سحت ، النار أولى به يا كعب بن عجرة ، الناس غاديان فغاد بائع نفسه ، وموبق رقبته ، وغاد مبتاع نفسه ومعتق رقبته** ». [٢]

وعن خولة الأنصارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت سمعت النبي ﷺ يقول : « **إن رجالًا يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة** » . [٣]

٥ – أن أكل الحرام سبب لفساد القلب ففي الصحيحين [٤] عن النعمان ابن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «... **ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب** » .

قال ابن حجر –رَحِمَهُ اللَّهُ–: وفيه تنبيه على تعظيم قدر القلب ، والحث

---

(١) البخاري برقم (٦٧٠٧).
(٢) أحمد برقم (١٥٢٨٤).
(٣) البخاري برقم (٣١١٨).
(٤) البخاري برقم (٥٢) ومسلم برقم (١٥٩٩).

على صلاحه ، والإشارة إلى أن لطيب الكسب أثرًا فيه . (١)

٦- أكل الحرام موجب للهلاك ففي الصحيحين (٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: « **اجتنبوا السبع الموبقات** »، قالوا: يا رسول الله وما هن ، قال : « **الشرك بالله ، والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ،والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات** » .

٧- السؤال عن كسب هذا المال يوم القيامة ، ففي سُنن الترمذي (٣) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : « **لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه ، حتى يسأل عن خمس ، عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وماله من أين اكتسبه ، وفيما أنفقه وماذا عمل فيما علم** ».

نسأل الله - عَزَّ وَجَلَّ - أن يكفينا بحلاله عن حرامه ، وأن يغنينا بفضله عمن سواه .

والحمد لله رب العالمين.

(١) الفتح ج١(١٥٦).
(٢) البخاري برقم (٢٧٦٦) ومسلم برقم (٨٩) .
(٣) صحيح الترمذي برقم (٢٤١٦) .

الخطبة الثانية :

الحمد لله الكريم الوهاب والصلاة والسلام على النبي الأواب وعلى آله والأصحاب والتابعين ومن تبعهم إلى يوم المآب **أما بعد:**

فيا أيها المسلمون: اتقوا الله - عَزَّوَجَلَّ - واجتنبوا أكل أموال الناس بالباطل واحذروا طرق الشيطان:

قال يوسف بن أسباط -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- إن الشاب إذا تعبد قال الشيطان لأعوانه: اُنظروا من أين مطعمه فإن كان مطعم سوء، قال: دعوه يتعب ويجتهد فقد كفاكم نفسه.(١)

واعلموا رحمكم الله أن الحرام أنواعه كثيرة وأبوابه، متعددة فالربا من أعظم أبواب الحرام، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةًۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[آل عمران: ١٣٠-١٣٢].

ومن أنواع الحرام الرشوة، قال الله تعالى عن اليهود: ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔاۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِۚ إِنَّ

(١) الكبائر ص (٤٣) للذهبي .

ﵟٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَﵞ [المائدة: ٤٢].

والمراد بالسحت في الآية: الرشوة.

ومن صور أنواع أكل الحرام، ما جاء في الصحيحين (١) عن أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ « **نهى عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن** ».

ومهر البغي هو ما تأخذه الزانية على الزنا.

وحلوان الكاهن هو ما يعطاه على كهانته.

ومن أنواع صور أكل الحرام ما جاء في الصحيحين (٢) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه سمع رسول الله ﷺ يقول عام الفتح وهو بمكة: «**إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة، والخنزير والأصنام**»، فقيل: يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة، فإنها يطلى بها السفن، ويدهن بها الجلود، ويستصبح بها الناس، **فقال**: « **لا هو حرام** »، ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: «**قاتل الله اليهود، إن الله لما حرم شحومها، جملوه ثم باعوه، فأكلوا ثمنه** ».

ومعنى يستصبح بها الناس: أي يشعلون بها مصابيحهم.

ومعنى جملوه: أي أذابوه واستخرجوا دهنه.

ومن أنواع أكل الحرام أكل أموال اليتامى ظلمًا، قال الله تعالى: ﵟإِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗاﵞ [النساء: ١٠].

وقال تعالى: ﵟوَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗاﵞ [النساء: ٢].

---

(١) البخاري برقم (٢٢٣٧) ومسلم برقم (١٥٦٧).
(٢) البخاري برقم (٢٢٣٦) ومسلم برقم (١٥٨١).

عباد الله : يجب الحذر من أكل الحرام فإنه داء عضال قال وهب بن الورد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- لو قمت مقام هذه السارية لم ينفعك شيء حتى تنظر ما يدخل بطنك أحلال أم حرام.

فالواجب على كل مسلم أن يكون ورعًا في مأكله ومشربه ولهذا جاء في الصحيحين [(١)] عن النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله ﷺ : « **إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات ، لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحمى ، يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب** » ومعنى استبرأ أي احتاط.

واسمع أخا الإيمان إلى ورع الصحابة ومن بعدهم فهذا أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من أورع الناس في مأكله ومشربه ، ففي صحيح البخاري [(٢)] عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت : كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج ، وكان أبو بكر يأكل من خراجه ، فجاء يومًا بشيء فأكل منه أبو بكر ، فقال له الغلام: أتدري ما هذا ، فقال أبو بكر : وما هو ، قال كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية ، وما أحسن الكهانة إلا أني خدعته ، فلقيني فأعطاني بذلك ، فهذا الذي أكلت منه ، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه.

وهذا عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان يقول تركنا تسعة أعشار الحلال مخافة الربا. [(٣)]

وقال بكر بن عبد الله المزني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- من سره أن ينظر إلى أورع من

(١) البخاري برقم (٥٢) ومسلم برقم (١٥٩٩) .
(٢) البخاري برقم (٣٨٤٢) .
(٣) مصنف عبد الرزاق برقم (١٤٦٨٣) .

أدركنا في زمننا فلينظر إلى ابن سيرين فإنه كان يدع الحلال تأثمًا يعني مخافة الإثم .

وقال عبد الله بن المبارك -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : لأن أرد درهمًا من شبهة ، أحب إلي من أن أتصدق بمائة ألف درهم.

وأكل معمر بن راشد فاكهة عند أهله ، ثم سأل فقيل: هدية من فلانة النواحة فقام فتقيأ . (١)

وهذا إسماعيل بن إبراهيم والد الإمام البخاري قال أحمد بن حفص: دخلت على أبي الحسن - يعني: إسماعيل - والد أبي عبد الله عند موته، فقال: لا أعلم من مالي درهمًا من حرام، ولا درهمًا من شبهة.

قال أحمد: فتصاغرت إلي نفسي عند ذلك.ثم قال أبو عبد الله: أصدق ما يكون الرجل عند الموت. (٢)

وقال عمر بن عبد العزيز -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:ليست التقوى قيام الليل، وصيام النهار ، والتخليط فيما بين ذلك ، ولكن التقوى أداء ما افترض الله، وترك ما حرم الله ، فإن كان مع ذلك عمل ، فهو خير إلى خير . (٣)

أيها المسلمون : هذه أمثلة من كثير وغيض من فيض عن ورع السلف الصالح فأين نحن منهم ومن اتباع طريقتهم.

نسأل الله أن يعفو عنا وعنكم ، وأن يستر عنا الخطأ والزلل،اللهم اهد ضال المسلمين وأصلح رجالهم ونساءهم وأبناءهم ، اللهم أبرم لأمتنا أمر رشد ، يعز فيه أهل الطاعة ، ويذل فيه أهل المعصية ، ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر ، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

---

(١) السير ج٧(١١) .
(٢) السير ج١٢(٤٤٧) .
(٣) جامع العلوم والحكم ج١(٤٠٠) .

٣١ حقوق الزوجة على زوجها

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون : لقد أوصى نبينا محمد ﷺ بالنساء خيرًا ، ففي الصحيحين [(١)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره واستوصوا بالنساء خيرًا فإنهن خلقن من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرًا** » .

وفي صحيح مسلم [(٢)] عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ : « **..فاتقوا الله في النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربًا غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ...** »

والإسلام حرم ظلمهن حقوقهن فقد ثبت عند ابن ماجه [(٣)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : « **اللهم إني أحرج حق الضعيفين اليتيم والمرأة** » . ومعنى أحرج: أي أضيق على الناس في تضيع حقهما، وأشدد عليهم في ذلك.

عباد الله: حقوق الزوجة على زوجها كثيرة منها:

١- حُسن العشرة: قال الله تعالى:﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء :١٩] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة :٢٢٨] .

(١) البخاري برقم (٥١٨٦) ومسلم برقم (١٤٦٨) .
(٢) مسلم برقم (١٢١٨) .
(٣) صحيح ابن ماجه برقم (٣٦٧٨) .

وعند الترمذي [١] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : قال رسول الله ﷺ : «**خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي**» .

قال بعض العلماء: إذا أردت أن تعرف خير الرجل فأنظره مع أهله لأن النبي ﷺ يقول : «**خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي**» .

وحُسن العشرة لفظ عام والمراد به إحسان الصحبة ، وكف الأذى وعدم مطل الحقوق مع القدرة ، وإظهار البشر والطلاقة والانبساط. [٢]

٢- ومن حقوق المرأة على زوجها أداء صداقها كاملًا إليها : قال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء :٢٠] .

٣- ومن حقوق المرأة على زوجها الإنفاق عليها بالمعروف، من غير إسراف ولا تقتير، قال الله تعالى: ﴿ **لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا** ﴾ [الطلاق :٧] .

وقال الله تعالى: ﴿ **يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ** ﴾ [الأعراف :٣١] .

وقال تعالى عن عباده : ﴿ **وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا** ﴾ [الفرقان :٦٧] .

وقال تعالى : ﴿ **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا** ﴾ [الإسراء :٢٩] .

---

(١) صحيح الترمذي برقم (٣٨٩٥) .
(٢) صحيح فقه السُّنَّة ج٣(١٩٧) للشيخ كمال بن السيد سالم .

وقال تعالى : ﴿ **وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة :٢٣٣] .

قال الحافظ ابن كثير -رَحِمَهُ اللَّهُ- [(١)]: أي: وعلى والد الطفل نفقة الوالدات وكسوتهن بالمعروف، أي: بما جرت به عادة أمثالهن في بلدهنّ من غير إسراف ولا إقتار، بحسب قدرته في يساره وتوسطه وإقتاره.

وفي صحيح مسلم [(٢)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « **دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته في رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك** ».

وفي صحيح مسلم [(٣)] أيضًا عن عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال :قال رسول الله ﷺ : « **كفى بالمرء إثمًا أن يحبس عمن يملك قوته** ».

وللنسائي في الكبرى [(٤)] « **كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يعول** ».

وفي الصحيحين[(٥)] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن هند بنت عتبة قالت :يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح ، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم ، **فقال** « **خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف** ».

وقال ﷺ: « ....**ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف** ...» . [(٦)]

وعند أبي داود [(٧)] عن معاوية القشيري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قلت يا رسول الله، ما حق زوجة أحدنا عليه قال: « **أن تطعمها إذا طعمت ، وتكسوها إذا**

---

(١) التفسير ج١(٢٦٨) .
(٢) مسلم برقم (٩٩٥) .
(٣) مسلم برقم (٩٩٦) .
(٤) النسائي برقم (٩١٧٦) وصحيح الترغيب برقم (١٩٦٥) .
(٥) البخاري برقم (٥٣٦٤) ومسلم برقم (١٧١٤) .
(٦) مسلم برقم (١٢١٨) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
(٧) صحيح أبي داود برقم (٢١٤٢) .

اكتسيت أو اكتسبت، ولا تضرب الوجه ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت».

٤- ومن حقوق المرأة على زوجها أن يعلمها الواجبات الدينية ويحثها على ذلك قال الله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ [التحريم:٦].

وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾ [مريم: ٥٤-٥٥].

وقال تعالى: ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ** ﴾ [طه:١٣٢].

قال بعض العلماء من دلائل رضوان الله على العبد توفيقه له بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أهله.

وفي الصحيحين (١) عن معقل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: « **ما من عبد يسترعيه الله رعية، فلم يحطها بنصحه، إلا لم يجد رائحة الجنة** ».

وعند أبي داود (٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **رحم الله رجلًا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء** ».

وفي صحيح البخاري (٣) عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: استيقظ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) البخاري برقم (٧١٥٠) ومسلم برقم (١٤٢).
(٢) صحيح أبي داود برقم (١٣٠٨).
(٣) البخاري برقم (١١٥).

ذات ليلة فقال :« **سبحان الله ، ماذا أنزل الليلة من الفتن ، وماذا فتح من الخزائن ، أيقظوا صواحب الحجر ، فرُبَّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة** ».

وفي الصحيحين (١) عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله ، وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ، ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ، ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في مال أبيه ، ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته** .

٥- ومن حقوق المرأة على زوجها أن يغض الطرف عن بعض أخطائها ما لم يكن فيه إخلال بشرع الله أو بحق من حقوقه الواجبة عليها اداؤه :

ففي صحيح مسلم (٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:قال رسول الله ﷺ : « **لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خُلقًا ، رضي منها آخر أو قال غيره** ».

وقد قال الله : ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [التحريم :٣] .

جعلنا الله وإياكم هداة مهتدين ، غير ضالين ولا مضلين ، أقول ما تسمعون ، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) البخاري برقم (٨٩٣) ومسلم برقم (١٨٢٩) .
(٢) مسلم برقم (١٤٦٩) .

الخطبة الثانية :

الحمد لله الكريم المنان ، أحمده سبحانه ، خلق الخلق من ذكر وأنثى فكان بذلك عمارة الأكوان ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أمر بإحسان عشرة النساء ﴿ **ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ** ﴾ وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، خير الناس عشرة لنسائه ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد:

فإن من طبيعة المرأة كما وصفها رسول الهدى ﷺ، خُلقت من ضلع أعوج ، فلابد من مسايرته والصبر عليه ،وذلك مما يستدعي العطف والرعاية، وأكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلقًا ،وألطفهم بأهله.

عباد الله: وإن من الحقوق العظيمة للزوجة على زوجها:

٦- العدل بينها وبين ضرتها في الطعام والشراب ، واللباس والمبيت ، فقد ثبت عند أبي داود [١] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ قال: « **من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما ، جاء يوم القيامة وشقه مائل** » .

وأما الحب فلا يلزم فيه العدل ، لأن هذا بغير مقدور الإنسان ، ولكن يحرص الإنسان على أن لا يميل كل الميل إلى إحداهن ، قال الله تعالى: ﴿ **وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا** ﴾ [النساء :١٢٩] .

(١) صحيح أبي داود برقم (٢١٣٣) .

والذي يعدل بين نسائه له أجر عظيم، ففي صحيح مسلم [١] عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: « **إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن - عَزَّ وَجَلَّ - ، وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا** ».

٧- ومن حقوق المرأة على زوجها أن يسمر مع زوجته ويحدثها ويستمع إلى حديثها: ففي الصحيحين [٢] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: جلس إحدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئًا، قالت الأولى: زوجي لحم جمل غث [٣] على رأس جبل، لا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقل، قالت الثانية: زوجي لا أبث خبره، إني أخاف أن لا أذره، إن أذكره أذكر عجره وبجره [٤]،قالت الثالثة: زوجي العشنق [٥]، إن أنطق أطلق، وإن أسكت أعلق، قالت الرابعة: زوجي كليل تهامة، لا حر ولا قر، ولا مخافة ولا سآمة، قالت الخامسة: زوجي إن دخل فهد، وإن خرج أسد، ولا يسأل عما عهد، قالت السادسة: زوجي إن أكل لف، وإن شرب اشتف، وإن اضطجع التف، ولا يولج الكف ليعلم البث، قالت السابعة: زوجي غياياء [٦]، أو عياياء [٧]، طباقاء [٨]، كل داء له داء شجك [٩]، أو فلك [١٠]، أو جمع كلًا لك،

(١) مسلم برقم (١٨٢٧).
(٢) البخاري برقم (٥١٨٩) ومسلم برقم (٢٤٤٨).
(٣) أي هزيل نحيف.
(٤) والعجر هي العروق والأعصاب التي تنتفخ وتظهر في الوجه والجسد عند الغضب والبجر مثلها إلا أنها مختصة بالبطن.
(٥) أي الطويل المذموم.
(٦) أي أحمق.
(٧) أي من العيّ الذي لا يستطيع جماع النساء.
(٨) أي بلغ الغاية في الحمق.
(٩) أي يجرح في الرأس.
(١٠) أي يجرح في الجسد.

قالت الثامنة: زوجي المس مس أرنب، والريح ريح زرنب [١]، قالت التاسعة: زوجي رفيع العماد طويل النجاد، عظيم الرماد، قريب البيت من الناد [٢]، قالت العاشرة زوجي مالك وما مالك مالك خير من ذلك، له إبل كثيرات المبارك، قليلات المسارح وإذا سمعن صوت المزهر [٣] أيقن أنهن هوالك، قالت الحادية عشرة: زوجي أبو زرع، وما أبو زرع أناس من حلي أذني وملأ من شحم عضدي، وبجحني فبجحت إلي نفسي وجدني في أهل غنيمة بشق، فجعلني في أهل صهيل [٤]، وأطيط [٥]، ودائس [٦]، ومنق [٧]، فعنده أقول فلا أقبح، وأرقد فأتصبح، وأشرب فأتقنح، أم أبي زرع فما أم أبي زرع عكومها [٨] رداح [٩]، وبيتها فساح، ابن أبي زرع فما ابن أبي زرع مضجعه كمسل شطبة [١٠]، ويشبعه ذراع الجفرة [١١] بنت أبي زرع فما بنت أبي زرع، طوع أبيها وطوع أمها وملء كسائها، وغيظ جارتها، جارية أبي زرع فما جارية أبي زرع، لا تبث حديثنا تبثيثًا، ولا تنقث ميرتنا تنقيثًا، ولا تملأ بيتنا تعشيشًا [١٢]، قالت: خرج أبو زرع والأوطاب [١٣] تمخض [١٤] فلقي امرأة معها ولدان لها كالفهدين

---

(١) وهو نبت له ريح طيب .
(٢) فهي تصفه بالجرأة والشجاعة والكرم .
(٣) وهي آلة كالعود يضرب به لاستقبال الأضياف .
(٤) أي الخيول.
(٥) أي إبل.
(٦) أي القمح الذي يداس عليه.
(٧) أي دجاج.
(٨) أي الأعدال والأحمال التي توضع فيها الأمتعة.
(٩) أي واسعة عظيمة.
(١٠) وهي سعف الجريد.
(١١) وهي الأنثى من المعز.
(١٢) أي أنها نظيفة وتنظف البيت ولا تتركه قذرًا دنسا.
(١٣) أي قدور اللبن وأوعيته.
(١٤) أي تخض كي يستخرج منها الزبد والسمن.

يلعبان من تحت خصرها برمانتين فطلقني ونكحها فنكحت بعده رجلًا سريًا [١] ركب شريًا [٢] وأخذ خطيًا[٣] وأراح علي [٤] نعمًا ثريًا [٥] وأعطاني من كل رائحة زوجا وقال كلي أم زرع وميري [٦] أهلك قالت فلو جمعت كل شيء أعطانيه ما بلغ أصغر آنية أبي زرع قالت عائشة: قال رسول الله ﷺ: « **كنت لك كأبي زرع لأم زرع** ».

وفي رواية عند الطبراني في الكبير [٧]: «**يا عائشة كنت لك كأبي زرع لأم زرع، إلا أن أبا زرع طلق، وأنا لا أطلق**».

٨- ومن حقوق المرأة على زوجها إحسان الظن بها، وعدم تتبع عثراتها: قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الحجرات: ١٢].

وقال تعالى: ﴿ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴾ [النور: ١٢].

وفي صحيح مسلم [٨] عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «**نهى رسول الله ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلًا يتخونهم، أو يلتمس عثراتهم**».

٩- و من حقوق المرأة على زوجها أن يتزين الرجل لزوجته كما تتزين

(١) أي من سراة الناس وهو كبراؤهم في حسن الصورة والهيئة.
(٢) أي فرسًا جيدًا.
(٣) أي رمح.
(٤) أتى بها إلى المراح وهو موضع الماشية.
(٥) وهو المال الكثير من الإبل وغيرها.
(٦) أي أطعمي.
(٧) الطبراني في الكبير برقم (٢٧٠) وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع برقم (١٤١).
(٨) مسلم برقم (١٩٢٨).

له: قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إني أحب أن أتزين للمرأة، كما أحب أن تتزين لي : لأن الله تعالى ذكره يقول : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) .

عباد الله : وأن مما يبعث على الأسف أن تصبح بين الناس وبين هذه التعاليم الإسلامية فجوة عظيمة ، وأن ينقسموا في شأن المرأة إلى قسمين:

قسم ارتفع بها لدرجة أن قدمها على الرجل ، وترك لها الحبل على الغارب ، تفعل ما تشاء وتتحكم فيه بما تريد ، فأضحت صاحبة السلطان عليه وقادته بغير زمام.

وقسم غلا في التجني عليها وإذلالها وهضم حقوقها ، وغدت في بيته وكأنها من العجماوات الذليلة المعتقلة ، لا تستطيع أن تغير من وضعها أو تبوح بسوء التصرف فيها ، وكلا الوضعين يا عباد الله خاطئ وذميم ، فالارتفاع بالمرأة عن المكانة التي وضعها الله فيها ، خروج عن المبدأ الذي رسمه الإسلام ، حيث جعل الرجل قوامًا على المرأة ، وحسب المرء خطيئة أن يخرج على تعاليم الإسلام ، وتحطيم المرأة وغمط حقوقها جاهلية عمياء، وضع الإسلام من شأنها فلا يصح لمسلم أن يرفع ما وضعه الإسلام ، وأن يعود إلى جفوة الجاهلية وحماقتها ، وأن يظلم الحليلة ربة الدار. (٢)

وهذا الجفاء قد حصل عند أولئك القوم الذين تنكروا لنسائهم ، فظلموهن بأقبح الهجاء ، وقد قيل لأعرابي: كيف حبك لزوجتك؟ ، قال: ربما كنت معها على الفراش، فمدت يدها إلى صدري، فوددت والله أن آجره خرت من السقف ،فقدت يدها وضلعين من أضلاع صدري، ثم

(١) تفسير الطبري ج٤(١٢٠) .
(٢) الخطب في المسجد الحرام (٤٢- ٤٣) للشيخ عبدالله خياط -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- .

أنشأ يقول:

لقد كنت محتاجًا إلى موت زوجتي ولكن قرين السوء باق معمر
فيا ليتها صارت إلى القبر عاجلًا وعـذبهـا فيه نكير ومنكر(١)

وهجا بعضهم امرأته فقال:

لها جسم برغوث وساق بعوضة ووجه كوجه القرد بل هو أقبح
وتـبرق عينيها إذا مـا رأيتها وتعبس في وجه الضجيع وتكلح
لهـا منظر كالنار تحسب أنها إذا ضحكت في أوجه الناس تلفح
إذا عاين الشيطان صورة وجهها تعوذ منها حين يمسي ويصبح

اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، وارحم حوزة الدين ، ودمر الكفرة أجمعين ، ووحد بين صفوف المسلمين .

اللهم آمنا في أوطاننا ، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك ، واتبع رضاك.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار.

(١) العقد الفريد ج٦(١٢٢) .

٣٢ حقوق الزوج على زوجته

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون: لقد أوجب الله - عَزَّوَجَلَّ - حقوقًا على الزوجين كل

منهما للآخر فنسأل الله أن يبصرنا جميعًا بهذه الحقوق وأن يعيننا على أدائها ذلك ابتغاء وجه الله الكريم وستكون هذه الخطبة بعون الله عن حق الزوج على زوجته .

عباد الله: حق الزوج على زوجته عظيم ، قال الله تعالى: ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾[البقرة:٢٢٨]، وهذه الدرجة هي الرتبة والمنزلة وهي القوامة والرعاية والإشراف وليست الاستبداد والتجبر ، قال الله تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [النساء :٣٤] .

عباد الله :وحقوق الزوج على زوجته كثيرة نذكر بعضًا من ذلك :

الحق الأول أن تعرف المرأة مكانة زوجها ، وأن تشكر له إحسانه ، وأن لا تجحد فضله وهي لا تستغني عنه .

ففي الصحيحين (١) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال :قال النبي ﷺ : «**أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن** » قيل أيكفرن بالله قال : «**يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئًا قالت ما رأيت منك خيرًا قط** » .

وعند الترمذي (٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عن النبي ﷺ قال: « **لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها** » .

(١) البخاري برقم (٢٩) ومسلم عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ برقم (٨٨٤) .
(٢) صحيح الترمذي برقم (١١٥٩) .

وفي مُسند الإمام أحمد [١] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **.....لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، من عظم حقه عليها ، والذي نفسي بيده ، لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قَرْحَةً تنبجس بالقيح والصديد ، ثم استقبلته فلحسته ما أدت حقه** » .

وفي مُسند الإمام أحمد [٢] أيضًا عن حصين بن محصن أن عمة له أتت النبي ﷺ في حاجة ففرغت من حاجتها ، فقال لها النبي ﷺ : « **أذات زوج أنت** » قالت : نعم ، قال : « **كيف أنت له** » ، قالت: ما آلوه إلا ما عجزت عنه ، قال : « **فانظري أين أنت منه فإنما هو جنتك ونارك** » ، ومعنى لا آلوه أي لا أقصر في حقوقه.

وثبت في سُنن ابن ماجه [٣] عن عبد الله بن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : لما قدم معاذ من الشام سجد للنبي ﷺ فقال : « **ما هذا يا معاذ ؟** » ، قال : أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم، فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك، فقال رسول الله ﷺ : « **فلا تفعلوا ، فإني لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها ولو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه**» .

والقتب: المكان الذي تجلس عليه المرأة للولادة وقيل قتب البعير.

وعند النسائي في الكبرى [٤] عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال :قال

---

(١) أحمد برقم (١٢٦١٤) وصحيح الترغيب برقم (١٩٣٦) .
(٢) أحمد برقم (١٩٠٠٣) وصحيح الترغيب برقم (١٩٣٣) .
(٣) صحيح ابن ماجه برقم (١٨٥٣) .
(٤) السُنن الكبرى برقم (٩١٣٥) والصحيحة برقم (٢٨٩) .

رسول الله ﷺ : « **لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه** » .

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ : « **ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة**» ، قالوا : بلى يا رسول الله **قال** : « **النبي في الجنة، والصديق في الجنة ، والشهيد في الجنة ، والمولود في الجنة ، ورجل زار أخاه في ناحية المصر يزوره في الله في الجنة ، ونساؤكم من أهل الجنة الودود العؤود على زوجها ، التي إذا غضب جاءت حتى تضع يدها في يده ثم تقول: لا أذوق غمضًا حتى ترضى** » (١) غمضًا- أي- نومًا .

و هذه ام الدرداء رضي الله عنها كانت إذا حدثت عن زوجها أبي الدرداء تقول حدثني سيدي ولم تقول حدثني زوجي ، وهذا يدل على أدبها مع زوجها وحُسن التخاطب في حقه.

وقالت امرأة سعيد بن المسيب -رحمهما الله-: ما كنا نكلم أزواجنا إلا كما تكلمون أمراءكم ، أصلحك الله عافاك الله. (٢)

الحق الثاني: الطاعة ، فطاعة المرأة لزوجها واجبة عليها ، وعصيان زوجها محرم عليها ، وهذه الطاعة إنما تكون بالمعروف .

وقال ﷺ : «**لا طاعة لمخلوق في معصية الله - عز وجل -** ». (٣)

قال ﷺ : «**إنما الطاعة في المعروف** » . (٤)

وقال الله -عز وجل- : ﴿ **فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ**

(١) الفوائد لتمام برقم (١٣١١) الصحيحة للألباني: برقم (٢٨٧) .
(٢) الحلية ج٥(٢٢٥) .
(٣) أحمد برقم (٢٠٦٥٣) وصحيح الجامع برقم (٧٥٢٠) عن عمران بن حصين رضي الله عنه .
(٤) البخاري برقم (٧١٤٥) ومسلم برقم (١٨٤٠) عن علي رضي الله عنه .

﴿وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا﴾ [النساء :٣٤] .

وفي مُسند الإمام أحمد [(١)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سُئل رسول الله ﷺ أي النساء خير قال : « **الذي تسره إذا نظر وتطيعه إذا أمر ولا تخالفه فيما يكره في نفسها وماله** » .

وجاء عند الطبراني [(٢)] عن عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: « **خير النساء تسرك إذا أبصرت، وتطيعك إذا أمرت، وتحفظ غيبتك في نفسها ومالك**» .

وفي صحيح ابن حبان [(٣)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ: « **إذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وحصنت فرجها ، وأطاعت بعلها ، دخلت من أي أبواب الجنة شاءت** » .

ويروى أن أسماء بنت خارجة قالت لابنتها عند التزويج : إنك خرجت من العش الذي منه درجت وصرت إلى فراش لا تعرفيه ، وقرين لم تألفيه، فكوني له أرضًا يكن لك سماءً ، وكوني له مهادًا يكن لك عمادًا، وكوني له أمة يكن لك عبدًا ، لا تلحفي به فيقلاك ولا تباعدي عنه فينساك ، إن دنا فاقربي منه ، وإن نأى فابعدي عنه ، واحفظي أنفه وسمعه وعينه ، لا يشم منك إلا طيبًا ، ولا يسمع إلا حسنًا ، ولا ينظر إلا جميلًا.

وأوصت أخرى بنتها حين زواجها فقالت أي بنية: إنك فارقت بيتك الذي منه خرجت، وعشك الذي فيه درجت، إلى رجل لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فكوني له أمة يكن لك عبدًا، واحفظي له خصالًا عشرًا يكن لك ذخرًا.

---

(١) أحمد برقم (٧٤٢١) والصحيحة برقم (١٨٣٨) .
(٢) الطبراني في الكبير ج١٨(٤٤٠) وصحيح الجامع برقم (٣٢٩٩) .
(٣) صحيح ابن حبان (٤١٦٣) .

أما الأولى والثانية: فالخشوع له بالقناعة، وحسن السمع له والطاعة.

وأما الثالثة والرابعة: فالتفقد لموضع عينه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح.

وأما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت منامه وطعامه، فإن تواتر الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة.

وأما السابعة والثامنة: فالاحتراس بماله، والإرعاء على حشمه وعياله، وملاك الأمر في المال حسن التقدير، وفي العيال حسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تعصين له أمرًا ولا تفشين له سرًا، فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره. ثم إياك والفرح بين يديه إذا كان مغتمًا، والكآبة بين يديه إذا كان فرحًا. (١)

إذا أطاعت المرأة زوجها كسبت ثقته ودوام حبه لها فيلبي طلباتها بسبب رقة كلامها وأدبها وعطفها وحسن تبعلها واهتمامها به فتملك قلبه وشعوره وأصبح سعيدًا بسبب البسمة الحانية والنظرة الودود والكلام الرقيق والأسلوب المهذب والخضوع اللين .

الحق الثالث: التزين للزوج والقيام بكل شئون البيت: قال الله تعالى: ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ﴾ [الزخرف:١٨] .

قال ابن كثير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: أي: المرأة ناقصة يكمل نقصها بلبس الحلي منذ تكون طفلة، وإذا خاصمت فلا عبارة لها، بل هي عاجزة عَيِيَّة. (٢)

وقال قتادة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : ما تكلمت امرأة ولها حجة إلا جعلتها على نفسها.

(١) العقد الفريد ج٦(٩٢) .
(٢) التفسير ج٤(١٢٧) .

فالزينة والتطيب والنظافة حق لابد منه للزوج ، وقد جاء في صحيح البخاري [١] عن أبي جحيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء ، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة فقال لها: ما شأنك قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا ، فقال : كل ، قال : فإني صائم ، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل ، قال: فأكل ، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم قال: نم فنام ثم ذهب يقوم ، فقال : نم ، فلما كان من آخر الليل ، قال سلمان : قم الآن فصليا، فقال له سلمان : إن لربك عليك حقًا ، ولنفسك عليك حقًا ، ولأهلك عليك حقًا ، فأعط كل ذي حق حقه ، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له ، فقال النبي ﷺ : « **صدق سلمان** » .

عباد الله: لاشك أن الدنيا متاع يتمتع فيها الإنسان ، وإن خير متاع الدنيا المرأة الصالحة.

ففي صحيح مسلم [٢] عن عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال : « **الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة** » .

قال القرطبي -رَحِمَهُ اللَّهُ- : والصالحة هي الصالحة في دينها ونفسها والمصلحة لأحوال زوجها. [٣]

عباد الله : وهذه الزينة إنما هي للزوج دون غيره أما إذا تطيبت المرأة وخرجت وشم الناس رائحتها فهي آثمة ممقوتة على فعلها لكونها عملت عملًا يكون داعيًا لها للوقوع في الريبة ولخطورة هذا الفعل المذموم فقد

---

(١) البخاري برقم (١٩٦٨) .
(٢) مسلم برقم (١٤٦٧) .
(٣) المفهم ج٤(٢٢١) .

حذرها النبي ﷺ من ذلك الفعل ، فقد جاء في سُنن النسائي [١] عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله ﷺ : «**أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها ، فهي زانية** » .

نسأل الله - جَلَّ وَعَلَا - أن يصلح أحوالنا ، وأحوال المسلمين ، في كل مكان ، إنه على كل شيء قدير.

(١) صحيح النسائي برقم (٥١٢٦) .

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى والذي خلق الزوجين الذكر والأنثى القائل -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم:٢١]، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أحسن الناس خلقًا وأكرمهم عشرة وأعظمهم مودة ﷺ.

أما بعد:

فيا عباد الله: المرأة المؤمنة العاقلة لا يتغير حالها ولا تسوء أخلاقها مع زوجها بل تقابل ذلك بالرضا وحسن الصبر والأناة وتتحمل مع زوجها آلام العسر راضية بذلك مرضية ولها الأجر عند الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

الحق الرابع: أن لا تمنعه من نفسها إذا طلبها لقضاء حاجته منها في أي وقت إلا لعذر شرعي.

وفي الصحيحين [(١)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت، فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح**».

وفي رواية لمسلم: «**والذي نفسي بيده، ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها، حتى يرضى عنها**» والذي في السماء هو الله رب العالمين جل جلاله.

---

(١) البخاري برقم (٣٢٣٧) ومسلم برقم (١٤٣٦).

وفي سُنن الترمذي [١] عن طلق بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا الرجل دعا زوجته لحاجته ، فلتأتيه وإن كانت على التنور** » .

وفي سُنن الترمذي[٢] عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **ثلاثة لا تجاوز صلاتهم ، آذانهم العبد الآبق حتى يرجع ، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، وإمام قوم وهم له كارهون**» .

فلتتق الله المرأة المسلمة في طاعة زوجها وتحذر من الأذية له ومخالفة أمره فقد ثبت عند الترمذي . [٣]

عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عن النبي ﷺ قال : « **لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين : لا تؤذيه قاتلك الله ، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا** » .

ومعنى دخيل: أي نزيل. وضيف عندها.

الحق الخامس: أن لا تسمح لأحد يدخل في بيت زوجها إلا بإذنه:فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه ، وما أنفقت من نفقة عن غير أمره فإنه يؤدى إليه شطره** » . [٤]

وفي صحيح مسلم [٥] عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ : « **...فاتقوا الله في النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه،**

---

(١) صحيح الترمذي برقم (١١٦٠) .
(٢) صحيح الترمذي برقم (٣٦٠) .
(٣) صحيح الترمذي برقم (١١٧٤) .
(٤) البخاري برقم (٥١٩٥) ومسلم برقم (١٠٢٦) .
(٥) مسلم برقم (١٢١٨) .

فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربًا غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ...» .

وعند الترمذي (١) عن عمرو بن الأحوص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله ﷺ : « **... واستوصوا بالنساء خيرًا فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئًا غير ذلك ، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربًا غير مبرح ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلًا ، ألا إن لكم على نسائكم حقًا ، ولنسائكم عليكم حقًا فأما حقكم على نسائكم ، فلا يطئن فراشكم من تكرهون ، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون ، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن** » .

الحق السادس: أن تقر في بيتها ولا تخرج إلا بإذنه قال الله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى–: لا يحل للزوجة أن تخرج من بيتها إلا بإذنه ، ولا يحل لأحد أن يأخذها إليه ويحبسها عن زوجها ، سواء كان ذلك لكونها مرضعًا أو لكونها قابلة أو غير ذلك من الصناعات، وإذا خرجت من بيت زوجها بغير إذنه ،كانت ناشزة عاصية لله ورسوله، ومستحقة للعقوبة.(٢)

الحق السابع: أن لا تصوم التطوع وزوجها حاضر إلا بإذنه، ففي سُنن أبي داود (٣) عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ

(١) صحيح الترمذي برقم (١١٦٣) .
(٢) الفتاوى ج٨(٣٧٠) .
(٣) صحيح أبي داود برقم (٢٤٥٩) .

ونحن عنده فقالت : يا رسول الله إن زوجي صفوان بن المعطل يضربني إذا صليت ، ويفطرني إذا صمت ، ولا يصلي صلاة الفجر حتى تطلع الشمس ، قال وصفوان عنده : قال : فسأله عما قالت فقال يا رسول الله أما قولها يضربني إذا صليت فإنها تقرأ بسورتين، وقد نهيتها، قال: فقال: « **لو كانت سورة واحدة لكفت الناس** » وأما قولها يفطرني فإنها تنطلق فتصوم وأنا رجل شاب فلا أصبر ، فقال رسول الله ﷺ يومئذ : « **لا تصوم امرأة إلا بإذن زوجها** » وأما قولها : إني لا أصلي حتى تطلع الشمس فإنا أهل بيت قد عرف لنا ذاك لا نكاد نستيقظ حتى تطلع الشمس ، قال : «**فإذا استيقظت فصل**» .

فيجب على نساء المسلمين أن يعرفن هذه الحقوق ، ويقمن بذلك أحسن قيام ، حتى تتحقق السعادة بين الأسر وتسودهم المحبة والوئام ، أما إذا نشأ الخلاف والكراهية بين الزوجين ، فلربما آل الأمر إلى هدم بيت الزوجة ، وانقسم كل منهما عن الآخر ، فيضيع الأولاد وتنهار الأسرة والله المستعان .

اللهم إنا نسألك عيشة هنية ، ونفوسًا تقية ، وميتة سوية ، ومردًا غير مخز ولا فاضح.

ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ، واجعلنا للمتقين إمامًا.

اللهم أصلح لنا الأهل والذرية ، وارحم اللهم آباءنا وأمهاتنا ، اللهم افتح لدعائنا باب القبول والإجابة ، وارزقنا الحسنى و زيادة.

٣٣ فضائل الصحابة ي

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون: أصحاب النبي ﷺ مكانتهم عند الله عالية ومنزلتهم

رفيعة ، الصحابة هم السادة الأبرار والثلة الأخيار .

الصحابة هم حماة الإسلام وحراس العقيدة وحملة الرسالة .

الصحابة هم رهبان الليل وفرسان النهار هم أهل الجهاد والتضحية والفداء وهم الذين حازوا قصب السبق في كل شيء في باب الورع ، وفي باب التقوى والإخلاص ، وفي باب العلم والعمل، والدعوة إلى الله تعالى قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه ، فابتعثه برسالته ، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد ، فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه ، فما رأه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن ، وما رأوه سيئًا فهو عند الله سيئ.[(١)]

عباد الله: أصحاب النبي ﷺ بذلوا النفس والنفيس والمهج ، والأموال في سبيل نصرة دين الله تعالى.

ولله در من قال:

هم النجوم مسائلها إذا التبست عليك السرى يا صاحبي السبل

اتبع طريقتهم اعرف حقيقتهم إقـراء وثيقتهم بالحب يا رجل

لقد زكاهم الله – عَزَّوَجَلَّ – وأثنى عليهم ومدحهم في كتابه الكريم قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح :١٨] .

وروى الإمام مسلم في صحيحه[(٢)] عن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال:

(١) أحمد برقم (٣٦٠٠) وحسنه الألباني في شرح الطحاوية (٤٧٠) .

(٢) مسلم برقم (٢٤٩٦) .

أخبرتني أم مبشر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة : « **لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها** ».

وفي صحيح البخاري [(١)] عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال :قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية : « **أنتم خير أهل الأرض** » ، وكنا ألفًا وأربع مائة ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة.

هذا والقرآن مليئ بالمدح والثناء عليهم.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة :١٠٠] .

وقال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [التوبة :الحديد : ١٠] .

وقال -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [التوبة :٨٨] .

وقال -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾[الفتح:٢٩].

وقال -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ نُورُهُمْ

---

(١) البخاري برقم (٤١٥٤) .

يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ التحريم الآية(٨)

وقال تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[التوبة :١١٧] .

وقال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[البقرة :١٤٣] .

وقال – جَلَّ وَعَلَا –: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب :٢٣] .

وقال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران :١١٠] .

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: في قوله ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ قال أصحاب محمد ﷺ الذين هاجروا معه إلى المدينة (١)

وقد أمر الله – عَزَّ وَجَلَّ – رسوله ﷺ أن يجالس الصحابة ، وما ذلك إلا لإخلاصهم لله – عَزَّ وَجَلَّ – .

قال تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾[الكهف :٢٨] .

(١) أحمد برقم (٢٩٨٧) وسنده صحيح .

وقد أخبر سبحانه أن أهل الكتاب لو آمنوا كما آمن الصحابة لكانوا على الهدى، قال تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[البقرة :١٣٧].

وقد أخبر عز شأنه أن الصحابة أهل الرشد والإيمان قال الله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ [الحجرات :٧] .

وقد توعد الله – عَزَّوَجَلَّ – من يتبع سبيلًا غير سبيلهم بالنار قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء :١١٥] .

و في الصحيحين [١] عن عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال :قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم** » قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثًا – « **ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يفون ، ويظهر فيهم السمن**» .

وفي صحيح مسلم [٢] عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: صلينا المغرب مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثم قلنا : لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء، قال: فجلسنا فخرج علينا فقال : « **ما زلتم ههنا ؟**» ، قلنا يا رسول الله صلينا معك المغرب ثم قلنا نجلس حتى نصلي معك العشاء ، قال : «**أحسنتم أو أصبتم** » ، قال : فرفع رأسه إلى السماء وكان كثيرًا مما يرفع رأسه إلى السماء

(١) البخاري برقم (٣٦٥٠) مسلم برقم (٢٥٣٥) .
(٢) مسلم برقم (٢٥٣١) .

فقال : « **النجوم أمنة للسماء ، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد ، وأنا أمنة لأصحابي ، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي أمنة لأمتي ، فإذا ذهب أصحابي ، أتى أمتي ما يوعدون** » .

ومعنى الحديث : أن النجوم ما دامت باقية فالسماء باقية ، فإذا انكدرت النجوم وتناثرت في يوم القيامة ، وهنت السماء فانفطرت وانشقت وذهبت « **وأنا أمنة لأصحابي** » أي من الفتن والحروب ، وارتداد من ارتد من الأعراب ، واختلاف القلوب ، ونحو ذلك مما أنذر به صريحًا ، وقد وقع كل ذلك « **فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**» من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه ، وطلوع قرن الشيطان وظهور الروم وغيرهم عليهم ، وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك ، وهذه كلها من معجزاته ﷺ.(١)

وفي الصحيحين (٢) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:رسول الله ﷺ: « **يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقولون فيكم من صاحب رسول الله ﷺ فيقولون نعم ، فيفتح لهم ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس ، فيقال هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ ، فيقولون نعم فيفتح لهم ، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ ، فيقولون نعم فيفتح لهم** » .

وعن واثلة بن الاسقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تزالون بخير ما دام فيكم من رآني وصاحبني ، والله لا تزالون بخير ما دام فيكم**

---

(١) مسلم ج٤ (١٩٦١) بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي .
(٢) البخاري برقم (٣٦٤٩) مسلم برقم (٢٥٣٢) .

من رأى من رآني وصاحب من صاحبني » .[١]

وفي سُنن ابن ماجه[٢] عن جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال خطبنا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالجابية فقال : إن رسول الله ﷺ قام فينا مثل مقامي فيكم فقال « **احفظوني في أصحابي ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يفشو الكذب حتى يشهد الرجل وما يستشهد ،ويحلف وما يستحلف** ».

والحمد لله رب العالمين

(١) مصنف ابن أبي شيبة ج١١(٢١٨) والصحيحة برقم (٣٢٨٣) .
(٢) صحيح ابن ماجه برقم (٢٣٦٣) .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه الغر الميامين وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد:

فليس في الأمــة كالصحابة في الفضل والمعروف والإصابة

فهم نقلة الإسلام وعدول الأنام، و سبهم أو الطعن فيهم من الكبائر العظام قال الإمام الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : فمن طعن فيهم أو سبهم فقد خرج من الدين و مرق من ملة المسلمين لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم و إضمار الحقد فيهم و إنكار ما ذكره الله تعالى في كتابه من ثنائه عليهم.[١]

وفي الصحيحين [٢] عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال النبي ﷺ: « **لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهبًا ، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه** » .

وعند الطبراني [٣] عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ : « **من سب أصحابي ، فعليه لعنة الله والملائكة، والناس أجمعين** » .

وفي مُسند الإمام أحمد[٤] عن رياح بن الحارث: أن المغيرة بن شعبة كان

(١) الكبائر ص (٣٩٦) .
(٢) البخاري برقم (٣٦٧٣) ومسلم برقم (٢٥٤٠) .
(٣) الطبراني في الكبير برقم (١٢٧٠٩) والصحيحة برقم (٢٣٤٠) .
(٤) أحمد برقم (١٦٢٩) وصححه شعيب.

في المسجد الأكبر، وعنده أهل الكوفة عن يمينه، وعن يساره، فجاءه رجل يدعى سعيد بن زيد، فحياه المغيرة وأجلسه عند رجليه على السرير، فجاء رجل من أهل الكوفة فاستقبل المغيرة، فسب وسب، فقال: من يسب هذا يا مغيرة؟ قال: يسب علي بن أبي طالب، قال: يا مغير بن شعب، يا مغير بن شعب ثلاثًا، ألا أسمع أصحاب رسول الله ﷺ يسبون عندك؟، لا تنكر ولا تغير، فأنا أشهد على رسول الله ﷺ، بما سمعت أذناي ووعاه قلبي من رسول الله ﷺ، فإني لم أكن أروي عنه كذبا يسألني عنه إذا لقيته، أنه قال: « **أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعلي في الجنة، وعثمان في الجنة وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وتاسع المؤمنين في الجنة**» ، لو شئت أن أسميه لسميته، قال: فضج أهل المسجد يناشدونه يا صاحب رسول الله ﷺ من التاسع؟ قال: ناشدتموني بالله، والله عظيم أنا تاسع المؤمنين ورسول الله ﷺ، العاشر، ثم أتبع ذلك يمينًا، قال: والله لمشهد شهده رجل يغبر فيه وجهه مع رسول الله ﷺ، أفضل من عمل أحدكم. ولو عُمِّر عُمْر نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قيل لعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: إن ناسًا يتناولون أصحاب رسول الله ﷺ حتى إنهم ليتناولون أبا بكر وعمر فقال: أتعجبون من هذا؟ إنّما قطع عنهم العمل، فأحب الله أن لا يقطع عنهم الأجر. (١)

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: لا تسبوا أصحاب محمد، فلمقام أحدهم ساعة خير من عبادة أحدكم أربعين سَنَة. (٢)

وقال ميمون بن مهران – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : « ثلاث ارفضوهن: سب أصحاب

(١) مختصر تاريخ دمشق ج٦(٤٦).
(٢) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (١٧٢٩) وصححه شيخنا وصي الله الهندي.

محمد ﷺ، والنظر في النجوم ، والنظر في القدر » . [١]

وقال الإمام مالك-رَحِمَهُ اللَّهُ-:من أصبح وفي قلبه بُغض لأحد من الصحابة فقد أصابته هذه الآية يعني قوله:﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾[الفتح:٢٩] .

وقال الإمام أبو زرعة -رَحِمَهُ اللَّهُ- : إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق ؛ وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا القرآن والسُنن أصحاب رسول الله ﷺ وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسُّنَّة، والجرح أولى بهم، وهم زنادقة . [٢]

وسئل الإمام أحمد -رَحِمَهُ اللَّهُ- عن من يشتم أبا بكر وعمر وعائشة ؟ قال : ما أراه على الإسلام .

وقال : قال مالك : « الذي يشتم أصحاب النبي ﷺ ليس له سهم أو قال : نصيب في الإسلام » . [٣]

فيا عباد الله حب أصحاب رسول الله ﷺ من أعظم الإيمان وأجل الأعمال.

وقال أيوب السختيانى-رَحِمَهُ اللَّهُ-:من أحب أبا بكر فقد أقام الدين، ومن أحب عمر ، فقد أوضح السبيل ، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله ، ومن أحب عليًا فقد استمسك بالعروة الوثقى ، ومن قال الحسنى في أصحاب رسول الله ﷺ فقد برىء من النفاق . [٤]

---

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (١٧٣٩) .
(٢) مختصر تاريخ دمشق ج٥(١٢٣) .
(٣) السُنَّة للخلال ج٢(٣٢٤) .
(٤) البداية والنهاية ج٨(١٣) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في لاميته:

حب الصحابة كلهم لي مذهب ومــودة القربى بها أتوسل

ولكلهم قدر علا وفضائل لكنما الصديق منهم أفضل

وما أجمل ما قاله ابن القيم –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– : ولهذا حكَّم الصحابة ي رسول الله ﷺ في أنفسهم وأموالهم فقالوا :هذه أموالنا بين يديك فاحكم فيها بما شئت، وهذه نفوسنا بين يديك لو استعرضت بنا البحر لخضناه ، نقاتل بين يديك ، ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك . [(١)]

فـهـم أصـحـاب المصطفى وهـم الخـواص مـن الأمـم

أهــل المــآثــر والمـفــا خــر والــفــتــوة والــكــرم

وبـعـدلهـم سـادوا الـورى وبـنـورهـم تُجـلى الـظـلـم

خـلـفـاء أفـضـل شـافـع لـلـخـلـق في يـوم الـنـدم

صـلى عـلـيـه ربـنـا مـا سـح دمـع وانـسـجـم

وعـلى صـحـابـتـه الـكـرام الـطـاهـريـن أولي الشيم

اللهم إنا نشهدك أننا نحب أصحاب رسولك محمد ، اللهم ألحقنا بهم واجزهم عنا خير الجزاء ، اللهم ارزقنا حبهم وحب من أحبهم ، وبغض من يبغضهم أو طعن فيهم أجمعين ، أو شكك في عدالتهم ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وسلم .

---

(١) روضة المحبين ص(٢٧٧) .

٣٤ حفظ الله لعباده

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون: يقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ

﴿ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ ﴾[الأنبياء:٤٢].

ومعنى ﴿ يَكۡلَؤُكُم ﴾ أي يحرسكم ويحفظكم والمعنى من يحرسكم بالليل إذا نمتم وبالنهار إذا قمتم وتصرفتم في أموركم.

فالله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- هو الحافظ لكل شيء قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢاۚ بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [الفتح:١١].

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴾ [الأحزاب:١٧].

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [المائدة:١٧].

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [المؤمنون:٨٨].

ولهذا من أسماء الله تعالى الحافظ قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف:٦٤].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩].

فيا أيها المسلمون: الله هو الذي يحفظكم ويحفظ لكم دينكم وعقيدتكم.

ومن أسماء الله - جَلَّ وَعَلَا - الحفيظ قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴾ [الشورى:٦].

وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكّٖۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴾ [سبأ :٢١] .

وقال تعالى ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴾ [هود :٥٧] .

واسمه -تبارك وتعالى- بالحفيظ يتضمن معنيين:

المعنى الأول: أنه يحفظ على العباد ما عملوه من خير وشر أي ضبطه وأحصاه عليهم قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴾ [يس :١٢] .

وقال تعالى: ﴿ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ [المجادلة :٦].

وقال تعالى : ﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾ [الكهف :٤٩] .

وقال تعالى ﴿ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ٥٣ ﴾ [القمر :٥٢-٥٣] .

ومعنى الزُّبر: كُتب الحفظة.

ومعنى مستطر: أي مسطور مكتوب في اللوح المحفوظ.

والمعنى الثاني: الحافظ لعباده من جميع ما يكرهون ، ولهذا يقول ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- :

وهو الحفيظ عليهم وهو الكفيل بحفظهم من كل أمر عان

وحفظ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لعباده على نوعين:

حفظه العام لجميع المخلوقات وذلك أن ييسر الله لهذه المخلوقات ما تحتاجه من رزق وغيره ويحفظ لها بنيتها ويلهمها بتدبير شؤونها وكل بحسبه قال تعالى إخبارًا عن موسى عليه السلام ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه :٥٠].

حفظه الخاص لأوليائه حفظًا زائدًا على ما تقدم من حفظه العام يحفظهم مما يضرهم ويزلزل إيمانهم ويقيهم من الفتن والشهوات والشبهات ويحفظهم من أعدائهم من الجن والأنس فينصرهم ويدفع عنهم المكائد والشرور قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ [الحج :٣٨].

ومن صور حفظ الله لعبده المؤمن ، أن يحفظه في صحة بدنه وقوته ، وعقله وماله ، وبالذات العلماء وحملة القرآن ، و لهذا قال بعض العلماء: العَالِم لا يخزن.

وقال بعضهم: من حفظ القرآن مُتع بعقله.

وكان أبو الطيب الطبري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : قد جاوز المائة من عمره ، وهو في كمال صحة عقله وقوته ، فوثب يومًا من سفينة كان فيها إلى الأرض وثبة شديدة ، فعوتب على ذلك فقال : هذه جوارح حفظناها في الصغر ، فحفظها الله علينا في الكبر. [١]

ورأى بعض السلف شيخًا يسأل الناس أموالهم يمد يديه ليعطوه فقال: إن هذا ضيع الله في صغره فضيعه الله في كبره.

وقال محمد بن المنكدر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : إن الله ليحفظ بالرجل الصالح

(١) البداية والنهاية ج١٢(٨٥).

ولده وولد ولده وقريته التي هو فيها والدويرات التي حولها فما يزالون في حفظ الله وستره. (١)

وقال سعيد بن المسيب لابنه يا بني إني لأزيد في صلاتي من أجلك أن أحفظ فيك وتلا هذه الآية ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف : ٨٢] .

وقال عمر بن عبد العزيز -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : ما من مؤمن يموت إلا حفظه الله تعالى في عقبه وعقب عقبه.

ومن صور حفظ الله للعبد أن جعل له حفظة من الملائكة يحفظونه بأمره ، قال تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الرعد :١١] .

أي ملائكة يتعاقبون في حفظه وحراسته ، ملك عن يمينه يكتب الحسنات ، وملك عن شماله يكتب السيئات ، وملك من بين يديه لحراسته، وملك من خلفه لحراسته ، فهو بين أربعة من الملائكة بالنهار ، وأربعة من الملائكة بالليل.

فقد جاء في الصحيحين (٢) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: « **يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة العصر ، وصلاة الفجر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي ، فيقولون: تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم**

---

(١) الزهد لابن المبارك برقم (٣١٤) .
(٢) البخاري برقم (٧٤٨٦) ومسلم برقم (٦٣٢) .

وهم يصلون » .

وجاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ** ﴾ قال: « **ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ، فإذا جاء قدره خلَّوا عنه »**.[١]

وعن أبي مجلز قال: جاء رجل من مُرادٍ إلى عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يصلي، فقال: احترس، فإنّ ناسًا من مراد يريدون قتلك!، فقال: إنّ مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدَّر، فإذا جاء القدَرُ خلَّيا بينه وبينه، وإن الأجل جُنَّةٌ حصينة.[٢]

وقال مجاهد -رَحِمَهُ اللَّهُ- : ما من عبدٍ إلا له ملك موكَّل بحفظه في نومه ويقظته من الجنّ والإنس والهوامّ، فما منها شيء يأتيه يريده إلا قال: وراءَك! إلا شيئًا يأذن الله فيه فيصيبه.[٣]

ولقد ذكر الله - عَزَّوَجَلَّ - حفظه لعباده من الأنبياء والأولياء والصالحين في كتابه الكريم ما لا يحصى: قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-عن حفظه لنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن معه من المؤمنين:﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴾ [الحاقة :١١] .

وحفظ الله - عَزَّوَجَلَّ - موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو طفل صغير حفظه الله وهو في التابوت في البحر ، وحفظه الله من كيد فرعون ، بل وتربى في قصر فرعون وعلى نفقته ، قال الله تعالى:﴿ **وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ**

---

(١) تفسير الطبري ج١٣(٤٥٨) .
(٢) تفسير الطبري ج١٣(٤٦٦) .
(٣) تفسير الطبري ج١٣(٤٦٦) .

قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [القصص: ٧- ١٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ﴾ [إبراهيم: ٦].

وحفظ الله يونس ابن متى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في ظلمات ثلاث في ظلمة البحر وفي ظلمة الليل وفي ظلمة بطن الحوت قال الله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿١٤٢﴾ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ﴿١٤٦﴾﴾ [الصافات: ١٣٩- ١٤٦].

وحفظ الله نبيه إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ من كيد المشركين ومن النار التي ألقوه فيها، قال تعالى: عنه ﴿قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ

﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٦٨ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٦-٧١].

وحفظ الله -عَزَّوَجَلَّ- يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ من كيد إخوانه، لما رموا به في الجب وحفظه الله -عَزَّوَجَلَّ- في قصر الملك من امرأة العزيز وكيدها، وحفظه الله وهو في السجن وجمع بينه وبين أخيه،بل وبين أمه وأبيه وإخوته، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ٩٩ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠﴾ [يوسف: ٩٩ - ١٠٠].

وحفظ الله - عَزَّوَجَلَّ - نبيه وخليله محمدًا ﷺ من مكر المشركين قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وقال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

أيها المسلمون: يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

فما أحوجنا جميعًا إلى حفظ الله في البر والبحر ،والسفر والحضر، والليل والنهار، والعسر واليسر في الدنيا والآخرة ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف :٦٤].

اللهم احفظنا من كيد الكائدين ، ومكر الماكرين ، ومن جميع الشياطين، احفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا ، وعن أيماننا وعن شمائلنا ، ومن فوقنا ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا.

واستغفروا الله إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية :

الحمد لله الذي أعز أهل طاعته بعبادته ، وأسعدهم بولايته ، وحبب الإيمان إلى قلوبهم بفضله ، وكره إليهم الفسوق والعصيان ، وأسكن قلوبهم من خشيته ما كفاهم به عن معصيته ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله من صفوته ، وعلى آله وصحابته.

أما بعد:

فيا أيها المسلمون: لا غنى لنا عن فضل الله طرفة عين: ومن رحمته -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أن بين لعباده أسباب الحفظ في كتابه الكريم ، وبينها رسوله ﷺ في سُنَّته ، فإن التزموا بها وعملوا بها كما أراد الله وأراد رسوله ، حفظهم الله ، ومن أهم تلك الأسباب :

١ - التقوى، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ [الطلاق :٢] .

قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أي يكفيه غم الدنيا وهمها .

وقال الربيع بن خثيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : يجعل له مخرجًا من كل ما ضاق على الناس.(١)

وقال أبو سليمان الداراني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- من أحسن في ليله كفي في نهاره.

وقال ابن الجوزي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : من أراد دوام العافية فليتق الله.

بتقوى الإلـه نجا من نجا وفـاز وصـار إلى مـا رجـا

(١) تفسير الطبري ج٢٣(٤٤) .

ومـــن يـتـق الله يجـعـل له   كـما قـال مـن أمـره مخرجا

قال ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : صاحب الصدق مع الله لا تضره الفتن.

وقال أيضا -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : الله يجعل لأوليائه عند ابتلائهم مخارج [١]

وعن عبد الله بن عكيم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وكان قد أدرك الجاهلية ، أنه أرسل إليه الحجاج بن يوسف فقام فتوضأ ثم صلى ركعتين ثم قال: اللهم إنك تعلم أني لم أزن ، قط ولم أسرق قط ، ولم آكل مال يتيم قط ، ولم أقذف محصنة قط ، إن كنت صادقًا فادرأ عني شره. [٢]

٢- ومن أسباب حفظ الله للعبد التوكل على الله ، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق :٣] .

وفي صحيح البخاري [٣] عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال في قوله تعالى: ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ قالها إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ قال بعض السلف: من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله [٤]

واسمعوا عباد الله: إلى هذه القصة العظيمة التي تدل على أن التوكل على الله ، من أعظم أسباب الحفظ لدين العبد وماله ، ففي صحيح البخاري[٥] عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ : « **أنه ذكر رجلًا من بني إسرائيل، سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال ائتني**

(١) الفتح ج٧(١٥٥) .
(٢) تاريخ بغداد ج١٠(٤) .
(٣) البخاري برقم (٤٥٦٣) .
(٤) زاد المعاد ج٢(٣٣١) .
(٥) البخاري برقم (٢٢٩١) .

بالشهداء أشهدهم فقال كفى بالله شهيدًا، قال فأتني بالكفيل قال كفى بالله كفيلًا ،قال صدقت فدفعها إليه إلى أجل مسمى ،فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركبًا يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجله فلم يجد مركبًا ،فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه ثم زجج موضعها ،ثم أتى بها إلى البحر فقال اللهم إنك تعلم أني كنت تسلفت فلانًا ألف دينار، فسألني كفيلًا فقلت كفى بالله كفيلًا فرضي بك ،وسألني شهيدًا فقلت كفى بالله شهيدًا فرضي بك ،وأني جهدت أن أجد مركبًا أبعث إليه الذي له فلم أقدر وإني أستودعكها ،فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف ،وهو في ذلك يلتمس مركبًا يخرج إلى بلده فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركبًا قد جاء بماله ، فإذا بالخشبة التي فيها المال فأخذها لأهله حطبًا ، فلما نشرها وجد المال والصحيفة ، ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى بالألف الدينار ،فقال والله ما زلت جاهدًا في طلب مركب لآتيك بمالك ،فما وجدت مركبًا قبل الذي أتيت فيه ،قال هل كنت بعثت إلي بشيء قال أخبرك أني لم أجد مركبًا قبل الذي جئت فيه، قال فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة ،فانصرف بالألف الدينار راشدًا » .

٣- ومن أسباب حفظ الله حفظ أوامر الله: فقد جاء في سُنن الترمذي(١) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا فقال: « **يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك ،إذا سألت فاسأل الله ،وإذا استعنت فاستعن بالله ،واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ،لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**

(١) صحيح الترمذي برقم (٢٥١٦) .

رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

قال العلامة ابن الجوزي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- :تدبرت هذا الحديث فأدهشني وكدت أطيش ثم قال فوا أسفا من الجهل بهذا الحديث وقلة الفهم لمعناه.

٤- ومن أسباب حفظ الله التقرب إلى الله بالنوافل والطاعات :فقد جاء في صحيح البخاري (١) ، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله ﷺ : « **إن الله قال من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ، ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت ، وأنا أكره مساءته** » .

٥- ومن أسباب حفظ الله :الدعاء فعند أبي داود (٢) عن أبي بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله ﷺ : « **دعوات المكروب :اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت** ».

وفي سُنن أبي داود (٣) عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح « **اللهم إني أسألك العفو والعافية ، في الدنيا والآخرة ، اللهم إني أسألك العفو والعافية ، في ديني ودنياي وأهلي ومالي ، اللهم استر عوراتي ، وآمن روعاتي ، اللهم احفظني من بين يدي ، ومن خلفي ، وعن يميني ، وعن شمالي ، ومن فوقي ، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي** » .

---

(١) البخاري برقم (٦٥٠٢) .
(٢) صحيح أبي داود برقم (٥٠٩٠).
(٣) صحيح أبي داود برقم (٥٠٧٤).

أيها المسلمون: إذا أردتم الحفظ من الله فعليكم بالتمسك بشرعه ، والبعد عن معصيته ، ولهذا كان بعض السلف يقول: إني لأعصي الله فأجد ذلك في خُلق دابتي وامرأتي.

اللهم إنا نسألك أن تجعلنا من أوليائك المقربين ، وحزبك المفلحين ، وجندك الغالبين ، وأن تجعلنا يوم الفزع الأكبر من الآمنين ، اللهم صل على نبيك الكريم ، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين ، وآله الطيبين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

٣٥ عواقب الذنوب والمعاصي

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون: إنه لا يخفى على أمثالكم ما للذنوب والمعاصي من

عواقب وخيمة ، ونتائج سيئة في الدنيا والآخرة ، فما من بلاء ولا شر إلا وسببه مخالفة أمر الله ورسوله ﷺ ، ولقد بين الله عاقبة من يرتكب الذنوب والمعاصي ، قال عز شأنه : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء :١٤].

ولقد انتشر الفساد واستفحل أمره في هذا الزمان وصدق الله إذ يقول ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم :٤١] .

قال العلامة ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- [(١)]: اقشعرت الأرض وأظلمت السماء، وظهر الفساد في البر والبحر من ظلم الفجرة، وذهبت البركات وقلت الخيرات وهُزلت الوحوش، وتكدرت الحياة من فسق الظلمة، وبكى ضوء النهار وظلمة الليل من الأعمال الخبيثة والأفعال الفظيعة، وشكا الكرام الكاتبون والمعقبات إلى ربهم من كثرة الفواحش وغلبة المنكرات والقبائح، وهذا والله منذر بسيل عذاب قد انعقد غمامه، ومؤذن بليل بلاء قد ادلهم ظلامه، فاعتزلوا عن طريق هذا السبيل بتوبة نصوح ما دامت التوبة ممكنة وبابها مفتوح، وكأنكم بالباب وقد أُغلق، وبالرهن وقد غلق ، وبالجناح وقد علق ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء :٢٢٧] .

وعواقب الذنوب والمعاصي كثيرة ، منها:

١ – الهلاك :قال الله وتعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ [الأنعام :٦] .

(١) فوائد الفوائد ص (٤٤١) .

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الإسراء: ١٦-١٧].

وقال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ [الكهف: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَۚ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٤].

وقال تعالى ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [المرسلات: ١٦-١٩].

وفي الصحيحين [(١)] عن زينب بنت جحش رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: أن النبي ﷺ دخل عليها فزعًا يقول: «**لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج، ومأجوج مثل هذا، وحلق بإصبعه، وبالتي تليها**» فقالت زينب فقلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟، قال: «**نعم إذا كثر الخبث**».

٢- ومن عواقب الذنوب و المعاصي أنها سبب للأخذ والبطش: قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢].

وفي الصحيحين [(٢)] عن أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته قال ثم قرأ** ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٠٥٩) و مسلم برقم (٢٨٨٠).
(٢) البخاري برقم (٤٦٨٦) ومسلم برقم (٢٥٨٣).

إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود:١٠٢].

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[الأعراف:٩٦].

وقال تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٠].

٣- ومن عواقب الذنوب و المعاصي أنها سبب للخسف في الأرض ونزول العذاب وحلول العقاب،قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[النحل:٤٥].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنعام:٦٥].

وقال تعالى عن عقوبته لقارون: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ [القصص:٨١].

وثبت عند الترمذي(١) عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: « **في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف** » فقال رجل من المسلمين : يا رسول الله ومتى ذاك ؟، قال : « **إذا ظهرت القينات والمعازف وشربت الخمور** » . والقينات: المغنيات والراقصات.

والمعازف: هي آلات اللهو والطرب.

ومعنى شربت الخمور: أي أن يشرب الناس الخمور ويستحلوا شربها.

(١) صحيح الترمذي برقم (٢٢١٢).

وقد ثبت عند الطبراني [١] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «**إذا استحلت أمتي ستًا فعليهم الدمار: إذا ظهر فيهم التلاعن، وشربوا الخمور، ولبسوا الحرير، واتخذوا القيان، واكتفى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء**».

وفي الصحيحين [٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :قال النبي ﷺ : « **بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل جمته ، إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة** » .

وفي صحيح مسلم [٣] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**بينما رجل يمشي قد أعجبته جمته وبرداه، إذ خسف به الأرض، فهو يتجلجل في الأرض حتى تقوم الساعة**» أي :يغوص فيها إلى يوم القيامة.

و جاء عند الطبراني في الأوسط [٤] عن أم سلمة زوج النبي ﷺ ، أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إذا ظهر السوء في الأرض أنزل الله بأسه بأهل الأرض** » ، قلت : يا رسول الله ، وإن كان فيهم صالحون ؟ ، **قال : « نعم وإن كان فيهم صالحون ، يصيبهم ما أصاب الناس ، ثم يرجعون لرحمة الله** » .

وفي صحيح ابن حبان [٥] عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : « **ما ظهر في قوم الزنى والربا ، إلا أحلوا بأنفسهم عقاب الله – جل وعلا –** » .

٤– ومن عواقب الذنوب والمعاصي أنها سبب لضيق الحياة والحصول

---

(١) الطبراني في الأسط برقم (١٠٨٦) .
(٢) البخاري برقم (٥٧٨٩) و مسلم برقم (٢٠٨٨).
(٣) مسلم برقم (٢٠٨٨).
(٤) الطبراني في الأوسط برقم (٢٠٨٩) وصحيح الجامع برقم (٦٨٠).
(٥) صحيح ابن حبان برقم (٤٤١٠) .

على المعيشة الضنكا : قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه : ١٢٤] .

قال بعض العلماء –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– : لا يعرض أحد عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته ، وتشوش عليه رزقه، وكان في عيشة ضنك. [(١)]

وهكذا حياته في القبر حياة الضنك والويل والثبور: ففي صحيح ابن حبان [(٢)] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال : « **إن المؤمن في قبره لفي روضة خضراء ويُرْحَبُ له قبره سبعون ذراعًا ، وينور له كالقمر ليلة البدر ، أتدرون فيما أنزلت هذه الآية : ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ أتدرون ما المعيشة الضنكة ؟** » قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « **عذاب الكافر في قبره والذي نفسي بيده إنه يسلط عليه تسعة وتسعون تنينًا أتدرون ما التنين سبعون حية لكل حية سبع رؤوس يلسعونه ويخدشونه إلى يوم القيامة** » .

٥– ومن عواقب الذنوب والمعاصي أنها سبب لسواد الوجوه في الدنيا والآخرة: قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر :٦٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [يونس : ٢٧] .

(١) تفسير القرطبي ج١١(٢٥٩) .
(٢) صحيح ابن حبان برقم (٣١٢٢) وقال شعيب سنده حسن..

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : إن للحسنة لنورًا في القلب ، وضياء في الوجه، وسعة في الرزق ، وقوة في البدن ، ومحبة في قلوب الخلق ، وإن للسيئة لسوادًا في الوجه ، وظلمة في القلب ، ووهنًا في البدن ، ونقصًا في الرزق ، وبغضًا في قلوب الخلق.[1]

٦- ومن عواقب الذنوب والمعاصي أنها حمل ثقيل يوم القيامة على أصحابها: قال الله تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [الأنعام :٣١] .

وقال تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [النحل :٢٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [العنكبوت :١٢- ١٣] .

٧- ومن عواقب الذنوب والمعاصي أنها سبب للحسرة والندامة في الدنيا والآخرة ، قال الله تعالى: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴾ [الزمر : ٥٦] .

وقال تعالى ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ٤٩] .

قال الفضيل بن عياض -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى-: «ضجوا من الصغائر قبل

(١) منهاج السُّنَّة النبوية ج٣(٢٧) لابن تيمية.

الكبائر» .(١)

وقال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفرقان : ٢٧- ٢٩] .

٨- ومن عواقب الذنوب والمعاصي أنها سبب في حرمان الرزق والطيبات من الحلال: قال الله تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ﴾ [النساء :١٦٠-١٦١] .

وقال تعالى:﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾[الأنعام :١٤٦] .

قال بعض العلماء: إياك والمعصية فقد تكون سببًا لتوقف الرزق.

وقال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : المعاصي تزيل النعم الحاضرة ، وتقطع النعم الواصلة ، فتزيل الحاصل وتمنع الواصل.

ولله در من قال:

إذا كنت في نعمة فارعها ... فإن الذنوب تزيل النعم
وحطها بطاعة رب العباد ... فرب العباد سريع النقم
وإياك والظلم مهما استطعت ... فظلم العباد شديد الوخم
وسافر بقلبك بين الورى ... لتبصر آثار من قد ظلم

---

(١) أضواء البيان ج٣(٢٨٩).

فتلك مساكنهم بعدهم شهود عليهم، ولا تتهم
وما كان شيء عليهم أضر من الظلم وهو الذي قد قصم
فكم تركوا من جنان ومن قصور، وأخرى عليهم أطم
صلوا بالجحيم وفات النعيم وكان الذي نالهم كالحلم

٩- ومن عواقب الذنوب والمعاصي أنها سبب لدخول النار يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ (٣٩) فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ (٤٠) عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ (٤٢) قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ (٤٨)﴾ [المدثر :٣٨- ٤٨].

وفي صحيح مسلم (١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون ما المفلس؟**». قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال: «**إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار**».

أسأل الله - عَزَّ وَجَلَّ - أن يحفظنا وإياكم جميعًا من الخطأ والزلل، ومن المحن والفتن، واستغفروا الله، إنه هو الغفور الرحيم.

(١) مسلم برقم (٢٥٨١).

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على الرسول الكريم ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، **أما بعد:**

فيا أيها المسلمون: والله الذي لا إله غيره ما حلت الهزائم والنكبات والحروب والفتن والفيضانات بالمسلمين إلا بسبب معاصيهم ومخالفتهم فهل من مدكر وهل من معتبر ، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران :١٥٢] .

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران :١٦٥] .

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ [التوبة :٢٥] .

وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد :١١] .

وما أصاب المسلمين من الأمراض المنتشرة والهموم المتراكمة ، والأحزان المتفاقمة ، والأوجاع المختلفة المتنوعة ، التي لم تعرفها الأمم

الماضية ، كالجلطات الدموية ، والسكتات القلبية ، والسرطانات المعدية، إلا بسبب الذنوب والمعاصي ، ولهذا جاء عند ابن ماجه [(١)] عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال : « **يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن؛ وأعوذ بالله أن تدركوهن، لم تظهر الفاحشة في قوم قط ، حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع ، التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين، وشدة المؤونة، وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء،ولولا البهائم لم يمطروا،ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوًا من غيرهم ، فأخذوا بعض ما في أيديهم ، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ، ويتخيروا مما أنزل الله ، إلا جعل الله بأسهم بينهم**».

قال بعض السلف : من أراد دوام العافية فليتق الله.

والمعاصي سبب لغضب الله ومقته قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الزخرف :٥٥] .

قال بعض السلف: يا أهل المعاصي لا تغتروا بطول حلم الله عليكم واحذروا أسفه فإن الله يقول ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ا[الزخرف :٥٥] .

وقال عمر بن عبد العزيز -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : وجدت النقمة مع الغفلة ثم قرأ هذه الآية ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الزخرف :٥٥] .

والمعاصي سبب لحرمان العبد من فعل الطاعات، قال بعض السلف: أذنبت ذنبًا فحرمت قيام الليل سَنَة .

---

(١) صحيح ابن ماجه برقم (٤٠٩١) .

وقال آخر: أذنبت ذنبًا فحُرمت فهم القرآن.

وقال آخر: إني لأعصي الله فأجد ذلك في خُلق دابتي وامرأتي.

ولله در من قال:

خل ادكار الأربع والمعهد المرتبع
والظاعن المودع وعد عنه ودع
واندب زمانًا سلفا سودت فيه الصحفا
ولم تزل معتكفا على القبيح الشنع
كم ليلة أودعتها مآثمًا أبدعتها
لشهوة أطعتها في مرقد ومضجع
وكم خطىً حثثتها في خزية أحدثتها
وتوبة نكثتها لملعب ومرتع
وكم تجرأت على رب السماوات العلى
ولم تراقبه ولا صدقت في ما تدعي
وكم غمصت بره وكم أمنت مكره
وكم نبذت أمره نبذ الحذاء المرقع
وكم ركضت في اللعب وفهت عمدًا بالكذب

ولـــــم تـــراع مـــا يجب ... مـــن عـــــــهـده المـتـبـع
فــالـبـس شـعـار الـنـدم ... واسـكـب شـآبـيـب الـدم
قـبـل زوال الـقـدم ... وقـبـل سـوء المـصـرع (١)

وقال آخر:

أنا العبد الذي كسب الذنوبا ... وصدته الأماني أن يتوبا
أنا العبد الذي أضحى حزينا ... على زلاته قلقا كئيبا
أنا العبد الذي سطرت عليه ... صحائف لم يخف فيها الرقيبا
أنا العبد المسيء عصيت سرا ... فما لي الآن لا أبدي النحيبا
أنا العبد المفرط ضاع عمري ... فلم أرع الشبيبة والمشيبا (١)

عباد الله: يجب أن نستعد للقاء الله بالأعمال الصالحة، وأن نحفظ أنفسنا ممّا حرم الله، فالعذاب غير مأمون والخلاص غير مضمون، فطوبى لمن راقب الله ووقف عند حدوده، واتقى الله في معاملته، ورغب في ثواب الله.

أسأل الله أن يرزقنا حُسن الإتباع لرسول الله ﷺ، وأن يهدينا الصراط المستقيم، اللهم أذهب ظلمة ذنوبنا بنور معرفتك وهداك، واجعلنا ممن أقبلت عليه فأعرض عمن سواك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) شرح مقامات الحريري ص (٥٩٦ - ٥٩٨).
(٢) الآداب الشرعية ج٤(٢٥٣- ٢٥٤).

٣٦ أحوال العصاة بعد الممات

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

معاشر المسلمين: اتقوا الله حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى، واعلموا أن هذه الدنيا دار ممر وعمل، والآخرة دار حساب ومقر، وأن الإنسان إذا مات يجزى بما عمل من خير أو شر قال الله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

وقال تعالى ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٣].

وقال تعالى ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴾ [النجم: ٣١].

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل. (١)

وسوف نستعرض في هذه الجمعة المباركة عن أحوال العصاة بعد الموت فأحوالهم بعد مماتهم مهيلة ومواقفهم مخزية مخيفة، قال الله تعالى عن أحوال أكلة الربا: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

والمعنى أنهم يقومون من قبورهم كالمجانين والمصاريع.

---

(١) فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل برقم (٨٨١) وصححه الشيخ وصي الله عباس -حفظه الله ورعاه-.

وفي الصحيحين [١] عن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديثه الطويل أن رسول الله ﷺ قال : « **فانطلقنا فأتينا على نهر - حسبت أنه كان يقول - أحمر مثل الدم ، وإذا في النهر رجل سابح يسبح ، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة ، وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ، ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة فيفغر له فاه فيلقمه حجرًا فينطلق يسبح، ثم يرجع إليه ، كلما رجع إليه فغر له فاه فألقمه حجرًا - قال - قلت لهما ما هذان» وذكر الحديث وفيه « وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجر ، فإنه آكل الربا...**».

وأما أحوال المتكبرين يوم القيامة ففي سُنن الترمذي [٢] عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده ي: عن النبي ﷺ قال : « **يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال ، يغشاهم الذل من كل مكان ، فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس ، تعلوهم نار الأنيار ، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال** » .

«والذر هي صغار النمل التي لا يعبأ بها أحد فتوطأ من غير شعور».

وأما أحوال الغادرين يوم القيامة ففي الصحيحين [٣] عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة ، فيقال : هذه غدرة فلان بن فلان** » .

وعند مسلم [٤] عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عن النبي ﷺ قال : « **لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة** » .

---

(١) البخاري برقم (٧٠٤٧) ومسلم برقم (٢٢٧٥) .
(٢) صحيح الترمذي برقم (٢٤٩٢) .
(٣) البخاري برقم (٦١٧٨) ومسلم برقم (١٧٣٥) .
(٤) مسلم برقم (١٧٣٨) .

وقوله ﷺ عند استه : أي خلف ظهره ، لأن لواء العزة ينصب تلقاء الوجه ، فناسب أن يكون علم المذلة فيما هو كالمقابل له ، قال ابن المنير كأنه عومل بنقيض قصده ، لأن عادة اللواء أن يكون على الرأس فنصب عند السفل زيادة في فضيحته ، لأن الأعين غالبًا تمتد إلى الألوية فيكون ذلك سببًا لامتدادها إلى التي بدت له ذلك اليوم فيزداد بها فضيحة [١]

وأما أحوال مانعي الزكاة يوم القيامة فيحشرون مطوقين بالشجاع الأقرع.

ففي صحيح البخاري [٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : « **من آتاه الله مالًا فلم يؤد زكاته ، مثل له ماله يوم القيامة شجاعًا أقرع ، له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه ، يعني بشدقيه ، ثم يقول : أنا مالك أنا كنزك ثم تلا** ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [آل عمران : ١٨٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة : ٣٤] .

وفي صحيح مسلم [٣] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها ، إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار ، فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها**

(١) الفتح ج٦(٣٢٧) .
(٢) البخاري برقم (١٤٠٣) .
(٣) مسلم برقم (٩٨٧) .

جنبه وجبينه وظهره ، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سَنَة حتى يقضى بين العباد ، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار...» .

وأما حال تاركي الصلاة يوم القيامة: ففد جاء في مُسند الإمام أحمد[(١)] عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يومًا فقال : « **من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأُبي بن خلف**» .

وفي صحيح البخاري [(٢)] عن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديثه الطويل وفيه أن النبي ﷺ قال « وإنا أتينا على رجل مضطجع ، وإذا آخر قائم عليه بصخرة ، وإذا هو يهوى بالصخرة لرأسه ، فيثلغ رأسه فيتهدهد الحجر ها هنا ، فيتبع الحجر فيأخذه ، فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان ، ثم يعود عليه ، فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى . قال قلت لهما سبحان الله ما هذان (الحديث وفيه) «**أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر ، فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة ..**».

وأما حال الزناة والزوا ني فهي حالة سيئة. فإن الله – عَزَّوَجَلَّ – قد حرم الزنا فقال تعالى ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء :٣٢]، فوقعوا فيما حرم الله فجاءت العقوبة لهم جزاءً وفاقًا .

فقد جاء في صحيح البخاري [(٣)] عن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديثه الطويل وفيه أن النبي ﷺ قال: « **فانطلقنا فأتينا على مثل التنور**

(١) أحمد برقم (٦٥٧٦) بتحقيق شعيب.
(٢) البخاري برقم (٧٠٤٧) .
(٣) البخاري برقم (٧٠٤٧) .

- قال فأحسب أنه كان يقول - فإذا فيه لغط وأصوات - قال - فاطلعنا فيه، فإذا فيه رجال ونساء عراة ، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم ، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا - قال - قلت لهما ما هؤلاء (الحديث وفيه) « .. وأما الرجال والنساء العراة الذين في مثل بناء التنور فإنهم الزناة والزواني ..» ومعنى ضوضوا أي (رفعوا أصواتهم مختلطة) يا له من موقف وما أشده من خزي وفي صحيح ابن حبان [1] عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **بينا أنا نائم إذ أتاني رجلان فأخذا بضبعي فأتيا بي جبلًا وعرًا فقالا لي : اصعد حتى إذا كنت في سواء الجبل فإذا أنا بصوت شديد فقلت : ما هذه الأصوات ؟، قال : هذا عواء أهل النار ثم انطلق بي ،فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم مشققة أشداقهم تسيل أشداقهم دما، فقلت : من هؤلاء ؟ فقيل : هؤلاء الذين يفطرون قبل تحلة صومهم ، ثم انطلق بي فإذا بقوم أشد شيء انتفاخًا وأنتنه ريحًا وأسوئه منظرًا ،فقلت: من هؤلاء ؟ قيل : الزانون والزواني ، ثم انطلق بي فإذا بنساء تنهش ثديهن الحيات ،قلت : ما بال هؤلاء ؟، قيل هؤلاء اللاتي يمنعن أولادهن ألبانهن ثم انطلق بي ، فإذا أنا بغلمان يلعبون بين نهرين فقلت: من هؤلاء ؟ فقيل هؤلاء ذراري المؤمنين، ثم شرف بي شرفًا، فإذا أنا بثلاثة يشربون من خمر لهم فقلت : من هؤلاء ؟ ، قالوا : هذا إبراهيم وموسى وعيسى وهم ينتظرونك »** .

وأما أحوال من يتناول المسكرات ففي صحيح مسلم [2] عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله ﷺ : « **إن على الله** - عَزَّ وَجَلَّ - **عهدًا لمن يشرب**

---

(١) صحيح ابن حبان برقم (٧٤٩١) وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط - رَحِمَهُ اللَّهُ -.
(٢) مسلم برقم (٢٠٠٢) .

المسكر أن يسقيه من طينة الخبال » ، قالوا يا رسول الله وما طينة الخبال ؟ قال : « **عرق أهل النار أو عصارة أهل النار** ».

وأما حال الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا فقد قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا** ﴾ [النساء :١٠] ، أي نارًا محرقة متوقدة وهذا وعيد شديد يدل على شناعة وعظم أكل أموال اليتامى ظلمًا ، وأن ذلك موجب لدخول النار فهل من مدكر .

وقد روى الشيخان في صحيحيهما [(١)] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : « **اجتنبوا السبع الموبقات**» ، قالوا يا رسول الله وما هن ،قال: «**الشرك بالله ،والسحر ،وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ،وأكل الربا، وأكل مال اليتيم ،والتولي يوم الزحف ،وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات** » .

اللهم إنا نعوذ بك من عذاب القبر ،ووسوسة الصدر ، وشتات الأمر اللهم أجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

والحمد لله رب العالمين.

(١) البخاري برقم (٢٧٦٦) ومسلم برقم (٨٩) .

الخطبة الثانية :

الحمد لله الذي جعل الدنيا دار عمل واكتساب ، والآخرة دار جزاء وثواب ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إليه المرجع والمآب ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أفضل رسول أُنزل عليه كتاب –صلوات الله وسلامه عليه – وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين ، وعلى آله وأصحابه الذين تمسكوا بالدين ، تاركين الدنيا مخافة يوم الحشر والحساب رضي الله عنهم وأرضاهم وعمن سار على منهجهم ، واقتفى أثرهم ، بإحسان إلى يوم الدين **أما بعد:**

إخوة الإيمان والإسلام: فإنني أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله تعالى ، فإنها وصية الله للأولين والآخرين .

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾ [النساء:١٣١] .

عباد الله: وإن من العصاة الذين ورد الوعيد في حقهم ، الظلمة الذين يغتصبون أموال الناس ويأخذون حقوقهم ، ففي صحيح البخاري[(١)] عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال :قال النبي ﷺ : « **من أخذ من الأرض شيئًا بغير حقه ، خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين**» .

---

(١) البخاري برقم (٢٤٥٤) .

وعند الإمام أحمد [١] عن يعلى بن مرة الثقفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من أخذ أرضًا بغير حقها ، كلف أن يحمل ترابها إلى المحشر** » .

وفي الصحيحين [٢] عن سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من ظلم من الأرض شيئًا طوقه من سبع أرضين** » .

وأما أحوال النساء المتبرجات يوم القيامة ففي صحيح مسلم [٣] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ : « **صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب البقر ، يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا** » ، وفي مُسند الإمام أحمد[٤] عن فضالة بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **ثلاثة لا تسأل عنهم ، رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصيًا ، وأمة أو عبد أبق فمات ، وامرأة غاب عنها زوجها قد كفاها مؤنة الدنيا فتبرجت بعده، فلا تسأل عنهم ، وثلاثة لا تسأل عنهم رجل نازع الله - عَزَّوَجَلَّ - رداءه، فإن رداءه الكبرياء ، وإزاره العزة ، ورجل شك في أمر الله ، والقنوط من رحمة الله**».

والمراد بقوله ﷺ : «**ورجل شك في أمر الله** » أي البعث والنشور.

وفي مُسند الإمام أحمد [٥] أيضًا عن عمارة بن خزيمة قال : بينا نحن

---

(١) أحمد برقم (١٧٥٥٨) والصحيحة برقم (٢٤٢).
(٢) البخاري برقم (٢٤٥٢) ومسلم برقم (١٦١٠).
(٣) مسلم برقم (٢١٢٨).
(٤) أحمد برقم (٢٣٩٤٣) .
(٥) أحمد برقم (١٧٧٧٠) وصححه شيخنا الوادعي - رَحِمَهُ اللَّهُ - في الصحيح المُسند برقم (١٠١٠).

مع عمرو بن العاص في حج أو عمرة فقال : بينما نحن مع رسول الله ﷺ في هذا الشعب إذ قال : « **انظروا هل ترون شيئًا** » فقلنا : نرى غربانًا فيها غراب أعصم أحمر المنقار والرجلين فقال رسول الله ﷺ : « **لا يدخل الجنة من النساء إلا من كان منهن مثل هذا الغراب في الغربان** » .

وأما أحوال الغاشين لرعاياهم من الأئمة ، وغيرهم ممن يسترعاهم الله رعيته :

فقد جاء في الصحيحين (١) عن معقل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته ، إلا حرم الله عليه الجنة** » .

قال الشيخ ابن عثيمين -رَحِمَهُ اللَّهُ- : ومعنى غاش لرعيته بعدم تربيتهم أو بإدخال الفساد عليهم كإدخال القنوات الفضائية ونحوها. (٢)

وعند الإمام أحمد (٣) عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله ﷺ «**من ولي من أمر الناس شيئًا فاحتجب عن أولي الضعفة والحاجة احتجب الله عنه يوم القيامة** » .

وأما حال المنتحر وهو القاتل لنفسه ففي الصحيحين (٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : « **من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيه خالدًا مخلدًا فيها أبدًا ، ومن تحسى سمًا فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا ، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم ، خالدًا مخلدًا فيها أبدًا**» ومعنى

---

(١) البخاري برقم (٧١٥١) ومسلم برقم (١٤٢) .
(٢) قاله بتاريخ ج٢٥/ ٣/ ١٤١٧هـ بتوقيعه.
(٣) أحمد برقم (٢٢٠٧٦) وصحيح الترغيب برقم (٢٢٠٩) .
(٤) البخاري برقم (٥٧٧٨) ومسلم برقم (١٠٩) .

قوله (يجأ) يطعن ويضرب» .

وفي صحيح البخاري [(١)] عن جندب بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله ﷺ : « **كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكينًا فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات قال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة** ».

وقد نهى الله عن قتل النفس، فقال الله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ٣٠** ﴾ [النساء :٢٩-٣٠] .

وأما حال أصحاب الغلول الذين يأخذون الأموال من الغنائم قبل أن تقسم بين المسلمين فهي حالة سيئة يوم القيامة اسمعوا إلى ذلك: فقد جاء في سُنن ابن ماجه [(٢)] عن عبد الله بن أنيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ ذكر غلول الصدقة فقال:« **من غل منها بعيرًا أو شاة أتي به يوم القيامة يحمله** ».

وقال الله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ** ﴾ [آل عمران :١٦١] .

فيا ويل لمن يتلاعب بأموال المسلمين أو الممتلكات العامة اللهم سلم سلم .

وأما حال من يسأل الناس وعنده ما يغنيه فأحوالهم مرديه ، ومناظرهم بشعة ، قل حياؤهم وكثرت وقاحتهم وحيلهم ، وبالذات في

(١) البخاري برقم (٣٤٦٣) .

(٢) صحيح ابن ماجه برقم (١٨١٠) .

هذه الأزمنة فقد استهانوا بهذه القضية ، وجمعوا الأموال فعاقبهم الله يوم القيامة بأخذ لحومهم من وجوههم جزاءً وفاقًا على أعمالهم السيئة ، ففي صحيح مسلم[1] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله ﷺ : « **من سأل الناس أموالهم تكثرًا ، فإنما يسأل جمرًا فليستقل أو ليستكثر** » .

وفي صحيح مسلم [2] أيضًا عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال : « **لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحم** ».

ومعنى مزعة لحم: أي قطعة لحم.

وأما حال من يتجسس على الناس أو يستمع لحديثهم وهم له كارهون فاسمعوا إلى حاله ففي صحيح البخاري [3] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال « **...ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون أو يفرون منه ، صب في أذنه الآنك يوم القيامة ...** » .

والآنك: الرصاص المُذاب .

وأما حال المصورين يوم القيامة ففي الصحيحين [4] عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت النبي ﷺ يقول « **إن أشد الناس عذابًا عند الله يوم القيامة المصورون** ».

وفي سُنـن الترمذي[5] عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « **يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران ، وأذنان تسمعان ، ولسان ينطق ، يقول : إني وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد ، وبكل من دعا**

---

(١) مسلم برقم (١٠٤١) .
(٢) مسلم برقم (١٠٤٠) .
(٣) البخاري برقم (٧٠٤٢) .
(٤) البخاري برقم (٥٩٥٠) مسلم برقم (٢١٠٩) .
(٥) صحيح الترمذي برقم (٢٥٧٤) .

مع الله إلها آخر ، وبالمصورين » .

وأما حال النائحة التي تتسخط عند المصيبة وترفع صوتها بالبكاء أو تشق ثيابها ففي صحيح مسلم [١] عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال : « **أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن ، الفخر في الأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة ، وقال النائحة إذا لم تتب قبل موتها ، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب** ». والمعنى أنها تكسى الرصاص المذاب ويسلط على أعضائها الجرب والحكة.

نسأل الله السلامة من ذلك.

اللهم استرنا بسترك الجميل في الدنيا والآخرة ، اللهم أنت ملاذنا إذا ضاقت الحيل ، وملجؤنا إذا انقطع الأمل ، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، الأحياء منهم والأموات ، برحمتك يا أرحم الراحمين

---

(١) مسلم برقم (٩٣٤) .

٣٧ الطاعة وثمراتها

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أما بعد: فاتقوا الله عباد الله ، وعلموا رعاكم الله أن للطاعة ثمرات

عظيمة ، وهذه الثمرات دنيوية وأخروية .

أما الثمرات في الدنيا فمنها :

١- الحياة الطيبة والعيشة الهنية :قال الله تعالى: : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٧] .

وهذه الحياة الطيبة قد فسرت بعدة تفسيرات:

١- بالرزق الحلال :قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : « الحياة الطيبة: الرزق الحلال في الدنيا » . [١]

ولا شك أن من أكل الحلال فإنه في سعادة وحياة طيبة ، وثبت عندأحمد[٢] عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لكعب بن عجرة: « **أعاذك الله من إمارة السفهاء**»، قال: وما إمارة السفهاء؟، قال: «**أمراء يكونون بعدي، لا يقتدون بهديي، ولا يستنون بسنتي، فمن صدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فأولئك ليسوا مني، ولست منهم، ولا يردوا علي حوضي، ومن لم يصدقهم بكذبهم،ولم يعنهم على ظلمهم، فأولئك مني وأنا منهم، وسيردوا علي حوضي. يا كعب بن عجرة، الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة،والصلاة قربان- أو قال:برهان- يا كعب ابن عجرة، إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت النار، أولى به، يا كعب ابن عجرة، الناس غاديان: فمبتاع نفسه فمعتقها، وبائع نفسه فموبقها** ».

٢- فسرت الحياة الطيبة بالقناعة.قاله الجسن البصري -رَحِمَهُ اللَّهُ-.

---

(١) تفسير الطبري ج١٤(٣٥٠) بسند حسن .

(٢) أحمد برقم (١٤٤٤١) وصححه شغيب .

قال بعض الشعراء:

هي القناعة لا تبغي بها بدلًا فيها النعيم وفيها راحة البدن

وانظر لمن ملك الدنيا بجمعها هل راح فيها بغير القطن والكفن

والقناعة كنز لا يفنى ولهذا جاءت الأدلة العظيمة في الترغيب فيها وفي فضلها ففي صحيح مسلم[١] عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «**قد أفلح من أسلم، ورزق كفافًا، وقنعه الله بما آتاه**» .

٣- وفسرت الحياة الطيبة بتوفيق لله للعبد للطاعات ، قاله الضحاك ابن مزاحم -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى- وهذا صحيح.

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴾ [محمد :١٧] .

وقال سبحانه : ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا ﴾ [مريم :٧٦].

٤- وقد فسرت الحياة الطيبة بالسعادة: قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله: ﴿ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ ﴾ قال: «السعادة» .[٢]

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقي هو السعيد

وقال آخر :

ليس السعيد الذي تسعده دنياه إن السعيد الذي ينجو من النار

وصدق الله القائل: ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ

(١) مسلم برقم (١٠٥٤) .
(٢) تفسير الطبري ج١٤(٣٥٠) .

﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [آل عمران :١٨٥] .

٥- وفسرت الحياة الطيبة :بحلاوة الطاعة قاله أبو بكر الوراق ، وهذا صحيح .فإن أهل الإيمان في سعادة وحياة طيبة .

ولهذا جاء في صحيح مسلم [(١)] عن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا** » .

وفي الصحيحين [(٢)] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار** » .

قال ابن كثير -رَحِمَهُ اللَّهُ- [(٣)]: والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت .

٢- ومن ثمرات الطاعة :محبة الله - عَزَّوَجَلَّ - والملائكة والناس للعبد الصالح: قال الله تعالى: **﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدًّا﴾** [مريم :٩٦].

قال الإمام قتادة -رَحِمَهُ اللَّهُ- [(٤)]: « ما أقبل عبد بقلبه إلى الله، إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه، حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم » .

---

(١) مسلم برقم (٣٤) .
(٢) البخاري برقم (١٦) ومسلم برقم (٤٣) .
(٣) تفسير ابن كثير ج٤(٧١٠) .
(٤) تفسير الطبري ج١٥(٦٤٣) بسند صحيح .

وعند ابن كثير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-(١): عن الحسن البصري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- قال: قال رجل: والله لأعبدن الله عبادة أذكر بها، فكان لا يرى في حين صلاة إلا قائمًا يصلي، وكان أول داخل إلى المسجد وآخر خارج، فكان لا يعظم، فمكث بذلك سبعة أشهر، وكان لا يمر على قوم إلا قالوا: انظروا إلى هذا المرائي، فأقبل على نفسه فقال: لا أراني أذكر إلا بشر، لأجعلن عملي كله لله - عَزَّوَجَلَّ -، فلم يزد على أن قلب نيته، ولم يزد على العمل الذي كان يعمله، فكان يمر بعد بالقوم فيقولون: رحم الله فلانًا الآن، وتلا الحسن: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ [مريم :٩٦].

وفي البخاري (٢) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « **إن الله قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته**» .

وفي البخاري أيضًا (٣) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله -تبارك وتعالى- إذا أحب عبدًا نادى جبريل: إن الله قد أحب فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء: إن الله قد أحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في أهل الأرض** » .

---

(١) تفسير ابن كثير ج٥(٢٦٥) .
(٢) البخاري برقم (٦٥٠٢) .
(٣) البخاري برقم (٧٤٨٥) .

٣- ومن ثمرات الطاعة :ثناء الناس ودعاؤهم للمؤمن ففي صحيح مسلم [٤] عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه؟ قال: «**تلك عاجل بشرى المؤمن**»

بل وثبت في مُسند أحمد [٥] عن عمرو بن الحمق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله بعبد خيرًا عسله**» ، قيل: وما عسله؟ قال: «**يفتح له عملًا صالحًا بين يدي موته حتى يرضى عنه من حوله**» .

٤- ومن ثمرات الطاعة أيضًا حصول البركة في الأعمار والديار والذرية والأرزاق كل هذا بسبب الطاعة ، قال الله تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ** ﴾ [الأعراف :٩٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾** ﴾ [الطلاق :٢-٣] .

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إن أجمع آية في القرآن قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل :٩٠] ، وإن أكبر آية في القرآن فرجًا ﴿ **وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا** ﴾ [الطلاق :٢] .[٦]

وقال عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا** ﴾

(٤) مسلم برقم (٢٦٤٢) .
(٥) أحمد (١٧٧٨٤) صححه شعيب .
(٦) تفسير ابن كثير ج٧(٣٠٠-٣٠١) .

يقول: ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة ويرزقه من حيث لا يحتسب» .(١)

وقال الربيع بن خيثم : « يجعل له مخرجًا أي من كل شيء ضاق على الناس» (٢) وقيل لأحد الصالحين إن الأسعار قد ارتفعت فقال: أنزلوها بالتقوى .

وقال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- (٣) : أن المعاصي تقصر العمر وتمحق بركته، ولابد؛ فإن البر كما يزيد في العمر، فالفجور يقصر العمر.

وقال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- (٤) : وقد ذكر الإمام أحمد في مُسنده في ضمن حديث قال: وجدت في خزائن بني أمية حنطة، الحبة بقدر نواة التمر وهي في صرة مكتوب عليها: هذا كان ينبت في زمن العدل.

فالخير يا عباد الله بحذافيره في طاعة الله واتباع رسوله محمد ﷺ ، والشر كله في معصية الله ، ومعصية رسوله محمد ﷺ.

نسأل الله التوفيق والسداد لكل خير ، اللهم أعزنا بطاعتك ، ولا تذلنا بمعصيتك .

أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ، إنه هو الغفور الرحيم

---

(١) تفسير ابن كثير ج٧(٣٠١) .
(٢) تفسير ابن كثير ج٧(٣٠١) .
(٣) الجواب الكافي ص (٣٦) .
(٤) الجواب الكافي ص (٤٢) .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، و أشهد أن محمدًا رسوله الصادق الأمين ، وعلى آله وصحبه والتابعين .

أما بعد:

عباد الله ثمرات الطاعة أعظم مما نتصور وفوق ما نتخيل ومنها:

٥- نور القلب وضياء الوجه :قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة :٢٥٧] .

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : « إن للحسنة نورًا في القلب ، وضاء في الوجه وسعة في الرزق ، وقوة في البدن ، ومحبة في قلوب الخلق ، وإن للسيئة سوادًا في الوجه ، وظلمة في القلب ، وقلة في الرزق ، ووهنًا في البدن ، وبُغضًا في قلوب الخلق » . (١)

وهذا تقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى- قال عنه الذهبي -رَحِمَهُ اللَّهُ- (٢) : عظيم الخلق، تام القامة، كأن النور يخرج من وجهه، وكان قد ضعف بصره من البكاء والنسخ والمطالعة. وقد قيل للإمام الحسن البصري -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى- : ما بال المتهجدين بالليل من

---

(١) منهاج السُّنَّة النبوية لابن تيمية ج٣(٢٧) .
(٢) السير ج٢١(٤٤٦) .

أحسن الناس وجوها قال لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم من نوره. (١)

ولهذا يقول الله تعالى عن النبي ﷺ وأصحابه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

قال ابن كثير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: (٢) فالصحابة «ي» خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم، فكل من نظر إليهم أعجبوه في سمتهم وهديهم.

٦- ومن ثمرات الطاعة. انشراح الصدور: قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢].

وقال سبحانه ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وفي سُنن أبي داود (٣) عن سالم بن أبي الجعد عن عبد الله بن محمد ابن الحنفية، قال: انطلقت أنا وأبي إلى صهر لنا من الأنصار نعوده، فحضرت الصلاة، فقال لبعض أهله: يا جارية، ائتوني بوضوء، لعلي أصلي فاستريح، قال: فأنكرنا ذلك عليه، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قم يا بلال، فأرحنا بالصلاة».

---

(١) المدهش لابن الجوزي ص(٥٢٣).
(٢) تفسير ابن كثير ج٦(٧٠١).
(٣) سُنن أبي داود برقم (٤٩٨٦).

وجاء في مُسند أحمد [١]، عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**حُبب إلي من الدنيا: النساء، والطيب، وجعل قرة عيني في الصلاة**».

٧- ومن ثمرات الطاعة أيضًا. علو قدر الطائع بين الناس: قال بعض السلف: « من خاف من الله خاف منه كل شيء ».

وقال الحسن البصري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: « هانوا عليه فعصوه، ولو عزوا عليه لعصمهم ».

فمن طابت سريرته حمدت سيرته بين الناس ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس.

٨- ومن ثمرات الطاعة أيضًا :متابعة الحسنات. قال شيخ الإسلام -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- [٢]: إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها وإن من عقوبة السيئة السيئة بعدها. وقال شداد بن أوس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إذا رأيت الرجل يعمل بطاعة الله فاعلم أن لها أخوات وإذا رأيت الرجل يعمل بمعصية الله فاعلم أن لها أخوات فإن الطاعة تدل على أختها وإن المعصية تدل على أختها.

نعم أيها الإخوة ويدل على مثل هذا الكلام أدلة كثيرة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ [الليل :٥-٧].

٩- ومن ثمرات الطاعة أيضًا .ذهاب الفقر وغفران الذنوب :كما جاء عند النسائي [٣] عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « **تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما: ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير: خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحج المبرور ثواب دون الجنة**».

---

(١) مُسند أحمد برقم (١٢٢٩٤).
(٢) مجموع الفتاوى ج٨ (٣٩٨).
(٣) سُنن النسائي برقم (٢٦٣٢).

١٠- ومن ثمرات الطاعة أيضًا. بسط الرزق وإطالة العمر :

كما جاء في البخاري ومسلم [(١)] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «**من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه**» .

قال ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى- [(٢)]: فالصلاة من أكبر العون على تحصيل مصالح الدنيا والآخرة، ودفع مفاسد الدنيا والآخرة، وهي منهاة عن الإثم، ودافعة لأدواء القلوب، ومطردة للداء عن الجسد، ومنورة للقلب، ومبيضة للوجه، ومنشطة للجوارح والنفس، وجالبة للرزق، ودافعة للظلم، وناصرة للمظلوم، وقامعة لأخلاط الشهوات، وحافظة للنعمة، ودافعة للنقمة، ومنزلة للرحمة، وكاشفة للغمة، ونافعة من كثير من أوجاع البطن.

وقال الإمام المناوي -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى-[(٣)]: الصلاة معينة على دفع جميع النوائب بإعانة الخالق الذي قصد بها الإقبال عليه والتقرب إليه فمن أقبل بها على مولاه حاطه وكفاه لإعراضه عن كل ما سواه وذلك شأن كل كبير في حق من أقبل بكليته عليه.أهـ

فيا عباد الله تفرغوا لما خلقتم لأجله ، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات :٥٦] .

وثبت عند الحاكم [(٤)] عن معقل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « **يقول ربكم -تبارك وتعالى-: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك**

---

(١) البخاري برقم (٥٩٨٦) ومسلم برقم (٢٥٥٧) وجاء في البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
(٢) زاد المعاد ج٤(١٩٢) .
(٣) فيض القدير ج٥(١٢٠) .
(٤) الحاكم ج٤(٣٦٢) .

غنى ، وأملأ يديك رزقًا ، يا ابن آدم لا تباعد مني فأملأ قلبك فقرًا ، وأملأ يديك شغلًا » .

وثقوا أن الله لا يضيع أجر عامل منكم قال الله تعالى : ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات :١٤] ، والمعنى لا ينقصكم من أجوركم شيئًا.

نسأل الله العليَّ الأعلى بأسمائه الحسنى وصفاته العُلاء ، أن يبارك لنا في طاعتنا ، وأن يزيدنا من فضله و إحسانه ، وأن يقينا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

٣٨ الدعاء آدابه وموانعه

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون: إن الدعاء من أهم الواجبات ، وأعظم المفروضات ،

وأجل الطاعات ، فهو سلاح المؤمن وهو سبب للنصر والتمكين ، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر:٦٠] .

وقال تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

وقال تعالى: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأعراف:٥٥] .

وقد سمى الله – عَزَّوَجَلَّ – الدعاء دينًا قال تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[الأعراف:٢٩] .

وقال تعالى ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٥] .

وسماه الله –عَزَّوَجَلَّ – صلاة قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[التوبة :٩٩] ، ومعنى صلوات الرسول:أي دعوات الرسول. وقال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة :١٠٣] .

أخي الكريم إذا سألت الله أعاطك كما أمرك بدعائه ووعدك بالإجابة وإذا لم تسأل الله عرضت نفسك لغضبه –سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ– ولهذا جاء في الأدب

المفرد للإمام البخاري [١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: « **من لم يسأل الله يغضب عليه** ».

ولله در من قال:

لا تسألن بني آدم حاجة … وسل الذي أبوابه لا تحجب

الله يغضب إن تركت سؤاله … وبُني آدم حين يُسأل يغضب

والدعاء من أعظم العبادات ففي سُنن الترمذي [٢] عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت النبي ﷺ يقول « الدعاء هو العبادة ». ثم قرأ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

أيها المؤمنون: كم في الدعاء من المنافع والفضائل العظام التي ينالها المتضرعون إلى الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - ، فمن فضائل الدعاء أنه يرد القضاء ففي سُنن الترمذي [٣] عن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « **لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد العمر إلا البر** » .

ولهذا يقول الله تعالى عن خليله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ [مريم: ٤٨].

وقال تعالى عن نبيه زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ [مريم: ٤].

ومن فضائل الدعاء أن الله مع عبده إذا دعاه ففي صحيح مسلم [٤]

(١) صحيح الأدب برقم (٦٥٨) .
(٢) صحيح الترمذي برقم (٣٥٥٥) .
(٣) صحيح الترمذي برقم (٢١٣٩) .
(٤) صحيح مسلم برقم (٢٦٧٥) .

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « **إن الله يقول أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا دعاني** » .

ومن فضائله أيضًا أنه سبب للشفاء ورفع الكرب والبلاء قال تعالى ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأنبياء :٨٣-٨٤].

وجاء في مستدرك الحاكم [١] عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله ﷺ : « **الدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء** » .

ومن فضائل الدعاء أنه أكرم شيء يكرم الله به العبد فعند الترمذي [٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : « **ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء** » .

فينبغي للمؤمن أن يدعو الله تعالى كثيرًا في الشدة والرخاء ، والرغبة والرهبة ، وأن يظهر الافتقار والانكسار لمن له الحكم والاختيار ، قال الله تعالى عن بعض رسله: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء :٩٠].

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[الأنعام :٤٢-٤٣].

وأنت إذا دعوت ربك فلن يضيع دعاؤك عند الله ففي مُسند الإمام

---

(١) المستدرك ج٤(٣٦٢) وصحيح الجامع برقم (٣٤٠٩) .
(٢) صحيح الترمذي يرقم (٣٣٧٠) .

أحمد [١] عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: « **ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها**، قالوا: إذا نكثر، **قال: الله أكثر** ».

وجاء عند الإمام الترمذي[٢] عن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: « **إن الله حيي كريم، يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرًا خائبين** ».

أتهزأ بالدعاء وتزدريه ... ولا تدري بما صنع الدعاء

سهام الليل لا تخطي ولكن ... لها أمد وللأمد انقضاء

ولعظم شأن الدعاء أن الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- كانوا يدعون الله تعالى في وقت الشدة والرخاء، ولا سيما عند الكربات والأزمات وتكذيب أقوامهم لهم، فحقق الله لهم ما طلبوا وأعطاهم ما سألوا، فهذا نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لما سخر به قومه وكذبوه دعا عليهم، قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾﴾ [القمر: ٩- ١٦].

(١) أحمد برقم (١١١٣٣)
(٢) صحيح الترمذي برقم (٣٥٥٦).

وهذا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لما ترك أهله في وادي مكة توجه إلى البيت ودعا الله تعالى فكان لهذه الدعوة المباركة الأثر العظيم إلى قيام الساعة، قال الله تعالى عنه : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾ [إبراهيم :٣٧] .

وهذا زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ طلب الولد من الله وكان كبير السن ، وكانت زوجته عاقرًا ، قال الله تعالى: ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠ ﴾ [الأنبياء :٨٩-٩٠] .

وهذا أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ دعا الله - عَزَّ وَجَلَّ - فكشف الله ضره ، قال تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤ ﴾ [الأنبياء :٨٣-٨٤] .

وهكذا من يتأمل القرآن الكريم يجد فيه كثيرًا من أدعية الأنبياء وسؤالهم الرب -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ، وخضوعهم بين يديه في جميع أحوالهم عليهم الصلاة والسلام .

فيا معاشر المسلمين: احرصوا على الدعاء ، فهو عبادة عظيمة ، وهو زاد المتقين ، وعنوان التذلل والخضوع لرب العالمين.

اللهم وفقنا لهداك ، وأعنا على طاعتك ، ويسر لنا الخير أينما كنا ، والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ، أما بعد.

فيا أيها المسلمون: لقد سمعتم شأن الدعاء ومكانته ونحن حينما نتوجه بدعائنا لربنا نستشعر وجوده وغناه ، ولهذا يقول الإمام ابن عقيل -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: قد ندب الله إلى الدعاء وفي ذلك معانٍ وهي صفات لله تعالى.

أحدها : الوجود فإن من ليس بموجود لا يدعى.

الثاني : الغنى فإن الفقير لا يدعى.

الثالث : السمع فإن الأصم لا يدعى.

الرابع : الكرم فإن البخيل لا يدعى.

الخامس : الرحمة فإن القاسي لا يدعى.

السادس : القدرة فإن العاجز لا يدعى [(١)]

معاشر المسلمين: هناك سؤال أو إشكال قد يقول قائل أنا أدعو كثيرًا وأرغب في الدعاء إلا أني كلما دعوت الله لا أجد إجابة لدعائي ولم تتحقق رغباتي مع أن الله قال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

أقول أخي الكريم ، لاشك أن الله وعد بالإجابة لمن دعاه ، ولكن ينبغي أن تعلم أن هنالك موانع لإجابة الدعاء ، ورد بيانها في السُّنَّة النبوية

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص(٤٥٩) بتحقيق الألباني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-.

فمن وقع فيها أو في بعضها كانت سببًا لرد دعوته وعدم قبولها عند الله:

فمن ذلك:

١- الاستعجال في الدعاء ففي صحيح مسلم [(١)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: « **لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل** » ، قيل يا رسول الله : ما الاستعجال ؟ قال : « **يقول قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجيب لي ، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء** » .

ومعنى يستحسر: أي ينقطع ويمل فيترك الدعاء

٢.ومنها أكل الحرام ففي صحيح مسلم [(٢)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾** [المؤمنون:٥١] ،وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ [البقرة:١٧٢] ، **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك ؟** » .

وقال وهب ابن منبه -رَحِمَهُ اللَّهُ- : من سره أن يستجيب الله دعوته فليطب طعمته.

ولما سئل سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تستجاب دعوتك من بين أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: « **ما رفعت إلى فمي لقمة إلا وأنا عالم من أين**

---

(١) مسلم برقم (٢٧٣٥) .

(٢) مسلم برقم (١٠١٥) .

مجيئها ومن أين خرجت » . [١]

٣-ومنها ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ففي سُنن الترمذي [٢] عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ قال : «**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم** ».

٤-ومنها الغفلة في الدعاء ففي سُنن الترمذي [٣] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : « **ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه** ».

ورضي الله عن عمر بن الخطاب الذي قال : إني لا أحمل هم الإجابة ولكن أحمل هم الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه.

وكان بعض السلف يقول: إني لأعلم متى يستجيب الله لي دعائي قيل كيف ذاك قال : إذا شرح الله صدري لدعائه.

فلا تعجزن أخي المسلم عن الدعاء وتغفلن عنه فإنه سلاح المؤمنين وسبب للنصر المبين وصدق النبي -عليه الصلاة والسلام- إذ قال: «**إن أبخل الناس من بخل بالسلام وأعجز الناس من عجز عن الدعاء** » . [٤]

٥-ومنها كثرة الذنوب والمعاصي،قال تعالى: ﴿ **لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ** ﴾ [الرعد:١١].

(١) جامع العلوم والحكم ج١(٢٧٥) .
(٢) صحيح الترمذي برقم (٢١٦٩) .
(٣) صحيح الترمذي برقم (٣٤٧٩) .
(٤) صحيح ابن حبان برقم (٤٤٩٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

قال بعض السلف: لا تستبطئ الإجابة وقد سددت طريقها بالمعاصي.

نحن ندعو الإلـه في كل كرب ثم ننساه عند كشف الكروب

كيف نـرجـو إجـابـة لدعاء قد سددنا طريقها بالذنوب

عباد الله: علينا أن نجتهد في الدعاء خصوصًا في أوقات الإجابة التي ورد بيانها في السُّنَّة النبوية، فمن ذلك:

١. الدعاء بين الأذان والإقامة: فقد جاء عند الترمذي [١] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة**».

٢. ومنها الدعاء في السجود: ففي صحيح مسلم [٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء**».

٣. ومنها الدعاء في يوم الجمعة وخصوصًا في الساعة الأخير ة بعد العصر: ففي الصحيحين [٣] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال أبو القاسم ﷺ: «**إن في الجمعة لساعة لا يوافقها مسلم قائم يصلي يسأل الله خيرًا إلا أعطاه إياه**» وقال بيده يقللها يزهدها.

وفي رواية أبي داود [٤] «**فالتمسوها في آخر ساعة بعد العصر**».

٤. ومنها الدعاء في جوف الليل الآخر ففي صحيح مسلم [٥] عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن في الليل لساعة لا يوافقها**

---

(١) صحيح الترمذي برقم (٢١٢).
(٢) مسلم برقم (٤٨٢).
(٣) البخاري برقم (٩٣٥) ومسلم برقم (٨٥٢).
(٤) سُنن أبي داود: برقم (١٠٤٨).
(٥) مسلم برقم (٧٥٧).

رجل مسلم يسأل الله خيرًا من أمر الدنيا والآخرة ، إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة».

٥-ومنها الدعاء عند نزول المطر ، ففي مستدرك الحاكم [(١)] عن سهل ابن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **ثنتان ما تردان : الدعاء عند النداء و تحت المطر** » .

٦-ومنها الدعاء عند شرب ماء زمزم :ففي سُنن ابن ماجه [(٢)] عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال سمعت رسول الله ﷺ : يقول : « **ماء زمزم لما شرب له** » .

٧- ومنها الدعاء في شهر رمضان : فقد جاء في كشف الأستار للهيثمي[(٣)] من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن لله -تبارك وتعالى- عتقاء في كل يوم وليلة يعني في رمضان وإن لكل مسلم في كل يوم وليلة دعوة مستجابة**» .

وجاء عند أحمد [(٤)] عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالا : قال رسول الله ﷺ : « **إن لله عتقاء في كل يوم وليلة ، لكل عبد منهم دعوة مستجابة** » .

وهناك من الأوقات الشريفة والأزمنة الفاضلة ، والأماكن المقدسة ما هو حري بالمؤمن أن يحرص على الدعاء ، والإخبات والانكسار بين يدي الله تعالى .

و هكذا وعد الله -عَزَّوَجَلَّ- أنه يستجيب للذاكر لله كثيرًا ، وللمظلوم

---

(١) المستدرك ج٢(١١٣) وصحيح الجامع برقم (٣٠٧٨) .
(٢) صحيح ابن ماجه برقم (٣٠٦٢) .
(٣)كشف الأستار للهيثمي برقم(٩٦٢)صحيح الترغيب والترهيب:ج١(٥٨٦):صحيح لغيره.
(٤) أحمد برقم (٧٤٥٠) .

وللإمام العادل وللصائم حتى يفطر ، وللوالد إذا دعا على ولده ، وللمسافر إذا دعاه في سفره ، كل هذه ورد ذكرها في أحاديث صحيحة في سُنَّة رسول الله.

وفقنا الله وإياكم لمراضيه وجعل مستقبل حالنا خيرًا من ماضيه ، اللهم يا من فتح بابه للطالبين وأطلق بالسؤال ألسنة القاصدين ، نسألك أن تجعلنا من أوليائك المقربين ، وحزبك المفلحين ، وأن تجعلنا من الآمنين من الفزع الأكبر يوم الدين.

اللهم اجعل الإيمان لنا سراجًا ، ولا تجعله لنا استدراجًا ، وعلمنا ما لم نعلم ، وثبت قلوبنا على دين نبيك المعظم ﷺ وعلى آله الطيبين ، وأصحابه المكرمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(٣٩) تذكير العباد بآلاء الله ونعمه

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون: إن نعم الله - عَزَّوَجَلَّ - كثيرة لا تعد ولا تحصى قال الله:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم :٣٢- ٣٤].

فقد عدد الله – عَزَّوَجَلَّ – في هذه الآيات المباركة نعمه على خلقه وذكر عشر نعم مما أنعم بها على خلقه وهي:

١- خلق السموات .

٢- وخلق الأرض .

٣- وأنزل من السماء ماءً .

٤- وسخر لكم الفلك .

٥- وسخر لكم الأنهار .

٦-٧- وسخر لكم الشمس والقمر دائبين .

٨-٩- وسخر لكم الليل والنهار .

١٠- وآتاكم من كل ما سألتموه.

فلا إله إلا الله كم من نعمة ، قد أنعم الله بها علينا ، ونحن في غفلة عن ذلك نسأل الله أن يعفو عنا .

عباد الله: ومن النعم العظيمة نعمة السمع والبصر والفؤاد ، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل :٧٨] .

ومن النعم العظيمة نعمة الأمن في الأوطان، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ

إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة :١٢٦] .

وقال النبي ﷺ : « **من أصبح منكم آمنًا في سربه معافىً في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا** » . (١)

ومن نعم الله العظيمة صحة الأبدان ففي صحيح البخاري (٢) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : قال النبي ﷺ : « **نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ** » .

وفي صحيح مسلم (٣) عن عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : كان من دعاء رسول الله ﷺ : «**اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك** ».

قال بعض العلماء : الصحة غنى الجسد .

وقال بعضهم : العافية الملك الخفي .

وقال بكر بن عبد الله المزني: إذا أردت أن تعرف قدر ما أنعم الله عليك فأغمض عينيك .

ومن نعم الله العظيمة نعمة الطعام والشراب والكساء والهواء ففي مستدرك الحاكم (٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال : دعا رجل من الأنصار من أهل قباء النبي ﷺ فانطلقنا معه ، فلما طعم وغسل يديه - أو قال : يده - قال : « **الحمد لله الذي يطعم ولا يطعم ، منَّ علينا فهدانا وأطعمنا**

(١) صحيح الترمذي برقم (٢٣٤٦) عن عبيد الله بن محصن الخطمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) البخاري برقم (٦٤١٢) .
(٣) مسلم برقم (٢٧٣٩) .
(٤) الحاكم ج١ (٥٤٦) .

وسقانا وكل بلاء حسن أبلانا الحمد لله غير مودع ولا مكافئ ولا مكفور ولا مستغنى عنه الحمد لله الذي أطعم من الطعام ، وسقى من الشراب ، وكسا من العري ، وهدى من الضلالة وبصر من العماية وفضل على كثير ممن خلق تفضيلًا ، الحمد لله رب العالمين » .

وأعظم النعم على الإطلاق نعمة الهداية لهذا الدين العظيم قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عن أهل الجنة : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف :٤٣] .

وقال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة :٣] .

قال العلامة ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- (١): والنعمة نعمتان نعمة مطلقة ونعمة مقيدة فالنعمة المطلقة هي المتصلة بسعادة الأبد وهي نعمة الإسلام والسُّنَّة وهي التي أمرنا الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أن نسأله في صلواتنا أن يهدينا صراط أهلها ومن خصهم بها وجعلهم أهل الرفيق الأعلى حيث يقول تعالى ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء :٦٩] فهؤلاء الأصناف الأربعة هم أهل هذه النعمة المطلقة ، وأصحابها أيضا هم المعنيون بقول الله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة :٣] .

فالله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- **أعطى عباده من كل ما سألوه من النعم الظاهرة**

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية .

والباطنة ومما لم يسألوه ، قال الله – جَلَّوَعَلَا –: ﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ [لقمان :٢٠] .

وقال –تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ– ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ [النحل :٥٣] .

قال طلق بن حبيب –رَحِمَهُٱللَّهُ– : إن حق الله أثقل من أن يقوم به العباد وإن نعم الله أكثر من أن يحصيها العباد ولكن اصبحوا توابين وامسوا توابين.

لو كل جارحة مني لها لغة … تثني عليك بما أوليت من حسن

لكان ما زاد شكري إذ شكرتُ به … إليك أبلغ في الإحسان والمنن

عباد الله هناك أسباب كثيرة لبقاء النعم ودوامها:

١- منها تذكر النعم ، قال الله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الأنفال :٢٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٣] .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الأحزاب :٩] .

وقال تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ [البقرة :٤٠] .

وقد بين الله - عَزَّوَجَلَّ - أن الأنبياء ذكروا قومهم بنعم الله قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة :٢٠] .

وهذا هود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ يقول لقومه ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [البقرة :١٣٢-١٣٥] .

وقال لهم : ﴿ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[الأعراف :٦٩] .

وقال نبي الله صالح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لقومه: ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾ [الأعراف :٧٤] .

٢- ومنها الشكر لله قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴾ [إبراهيم :٧] .

وقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ [البقرة :١٧٢] .

قال الحسن البصري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : إن الله ليمتع بالنعم ما شاء ، فإذا لم يشكر عليها قلبها عذابًا.

٣- ومنها أن ينظر الإنسان إلى من هو أسفل منه ففي الصحيحين [١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : «**انظروا إلى هو من أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله**» .

٤- ومنها أن يستحضر أن الله سائله يوم القيامة عن هذه النعم التي أنعم الله بها عليه هل قام بشكرها أم لا، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[الإسراء :٣٦].

وقال تعالى ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر :٨] .

وفي سُنن الترمذي [٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة يعني العبد من النعيم أن يقال له ألم نصح لك جسمك ونرويك من الماء البارد**» .

وفي سُنن الترمذي [٣] أيضًا عن أبي برزة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل ، عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن جسمه فيم أبلاه**» .

وفي صحيح مسلم [٤] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله ﷺ : «**يقول الله للعبد يوم القيامة: أي فل ، ألم أكرمك وأسودك ، وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع ، فيقول: بلى قال فيقول أفظننت أنك ملاقي ؟ ، فيقول: لا ، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني ، ثم يلقى الثاني فيقول : أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك ، وأسخر لك**

---

(١) البخاري برقم (٦٤٩٠) ومسلم برقم (٢٩٦٣) .
(٢) صحيح الترمذي برقم (٣٣٥٨) .
(٣) صحيح الترمذي برقم (٢٤١٧) .
(٤) مسلم برقم (٢٩٦٨) .

الخيل والإبل ، وأذرك ترأس وتربع ؟ ، فيقول: بلى أي رب ، فيقول: أفظننت أنك ملاقي ؟ ، فيقول: لا ، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني ، ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك ، فيقول: يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ، ويثني بخير ما استطاع ، فيقول: هاهنا إذا قال ثم يقال له :الآن نبعث شاهدنا عليك ويتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي ؟، فيختم على فيه ، ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله ، وذلك ليعذر من نفسه ، وذلك المنافق، وذلك الذي يسخط الله عليه ».

والسؤال للمؤمن سؤال تذكير بنعم الله ، لا سؤال توبيخ وتقريع.

ومعنى قوله أي فل : أي فلان.

نسأل الله – عَزَّوَجَلَّ – أن يجعلنا من الشاكرين الذاكرين وأن يحشرنا في زمرة عباده الصالحين.

والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية :

الحمد لله كما أمر والشكر له على ما أنعم وتفضل وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك العظيم وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله النبي الكريم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن نعم الله تترا وآلاؤه لا تحصى ، أمة الإسلام: ذكرنا فيما سبق أسباب بقاء النعم وهنا نذكر بمشيئة الله أسباب زوالها:

١ - المعصية والجحود لنعم الله ففي مُسند أحمد (١) عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال «إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا وهو مقيم على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج ثم تلا رسول الله ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٤].

قال ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ- وهو يتكلم عن عقوبة المعاصي : ومن عقوباتها أنها تزيل النعم الحاضرة وتقطع النعم الواصلة فتزيل الحاصل وتمنع الواصل فإن نعم الله ما حفظ موجودها بمثل طاعته ولا استجلب مفقودها بمثل طاعته فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته . (٢)

---

(١) أحمد برقم (١٧٣١١) والصحيحة برقم (٤١٣) .

(٢) الجواب الكافي ص (١٣٨) .

٢- ومنها تغير النفوس إلى معصية الله ، قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال :٥٣] .

إذا كنت في نعمة فارعها ... فإن الذنوب تزيل النعم

وحطها بطاعة رب العباد ... فرب العباد سريع النقم

وإياك والظلم مهما استطعت ... فظلم العباد شديد الوخم

وسافر بقلبك بين الورى ... لتبصر آثار من قد ظلم

فتلك مساكنهم بعدهم ... شهود عليهم ولا تتهم

وما كان شيء عليهم أضر ... من الظلم وهو الذي قد قصم

فكم تركوا من جنان ومن ... قصور وأخرى عليهم أطم

صلوا بالجحيم وفات النعيم ... وكان الذي نالهم كالحلم

٣-ومنها الكفر بالله ونعمه ، قال الله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل :١١٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم :٧] .

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : و الشكر مبني على خمس قواعد : خضوع

الشاكر للمشكور وحبه له واعترافه بنعمته وثناؤه عليه بها وأن لا يستعملها فيما يكره.⁽١⁾

٤-ومنها عدم تصريف النعم في حوائج العباد منهم: قال تعالى ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ (٢٢) فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ (٢٣) أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ (٣٠) قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ (٣١) عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ (٣٢) كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْأٓخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ (٣٣) ﴾ [القلم:١٧-٣٣].

وعند الطبراني ⁽٢⁾ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « **إن لله عبادًا اختصهم بالنعم لمنافع العباد، يقرهم فيها ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم، فحولها إلى غيرهم** ».

وعند الطبراني ⁽٣⁾ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « **ما من عبد أنعم الله عليه نعمة فأسبغها عليه، ثم جعل من حوائج الناس إليه فتبرم فقد عرض تلك النعمة للزوال** ».

٥-ومنها الإعراض عن الله وشرعه: قال تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ [سبأ:١٥].

---

(١) المدارج ج٢(٢٣٤).
(٢) المعجم الأوسط (٥١٦٢) وصحيح الترغيب برقم (٢٦١٧).
(٣) المعجم الأوسط (٧٥٢٩) وصحيح الترغيب برقم (٢٦١٨).

٦-ومنها العجب بالنعمة : ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾ [الكهف :٣٢-٤٢].

٧.ومنها الكبر وعدم قبو ل النصيحة : ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ

ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [القصص: ٧٦-٨٢].

٨- ومنها أكل الربا ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

نسأل الله العلي الأعلى أن يوزعنا شكر نعمه، ورعاية مننه، وأن يوفقنا لإتباع أنبيائه ورسله، إنه أرحم الراحمين.

اللهم لك الحمد بكل نعمة أنعمت بها علينا، في قديم أو حديث، أو سر أو علانية، أو خاصة أو عامة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

٤٠ نعيم الجنة والأسباب الموصلة إليها

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

عباد الله: إن الحديث عن الجنة لا يُسأم ولا يُمل .

ولله در من قال :

أتـــاك حديث لا يمل سماعه　　شـهـي إلـيـنـا نـشـره ونظامه

إذا ذكرته النفس زال عناؤها　　وزال عن القلب المعنى ظلامه

عباد الله يقول الله – جَلَّوَعَلَا –: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران :١٣٣] .

وقال تعالى : ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الحديد :٢١] .

وقد دعا الله – عَزَّوَجَلَّ – عباده إلى الجنة والمغفرة ، قال الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [البقرة :٢٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [يونس :٢٥] .

وإذا مات الإنسان وبعث كان مصيره ، إما إلى الجنة وإما إلى النار.

الدار جنات عدن إن عملت بما　　يرضي الإله وإن خالفت فالنار

هما مصيران ما للمرء غيرهما　　فانظر لنفسك مـاذا أنت تختار

و في الصحيحين (١) عن عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا: أن رسول الله ﷺ

(١) البخاري برقم (١٣٧٩) ومسلم برقم (٢٨٦٦) .

قال: «**إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة** » .

قال أحمد بن حرب -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : أحدنا يؤثر الظل على الشمس فما بالنا لا نؤثر الجنة على النار.

وقال محمد بن الحنفية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : إن أبدانكم هذه ليس لها أثمان إلا الجنة ، فلا تبيعوها إلا بها. أهـ

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[التوبة:١١١].

قال العلامة السعدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: يخبر تعالى[١] خبرًا صدقًا، ويعد وعدًا حقًا بمبايعة عظيمة،ومعاوضة جسيمة، وهو أنه ﴿ ٱشۡتَرَىٰ ﴾ بنفسه الكريمة ﴿ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم ﴾ فهي المثمن والسلعة المبيعة.

﴿ بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ التي فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين من أنواع اللذات والأفراح، والمسرات، والحور الحسان، والمنازل الأنيقات.

وصفة العقد والمبايعة، بأن يبذلوا لله نفوسهم وأموالهم في جهاد أعدائه، لإعلاء كلمته وإظهار دينه فـ ﴿ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَ ﴾ فهذا العقد والمبايعة، قد صدرت من الله مؤكدة بأنواع التأكيدات.

---

(١) تفسير السعدي ج١(٢٥٢) .

﴿ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ ﴾ التي هي أشرف الكتب التي طرقت العالم، وأعلاها، وأكملها، وجاء بها أكمل الرسل أولو العزم، وكلها اتفقت على هذا الوعد الصادق.

﴿ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ ﴾ أيها المؤمنون القائمون بما وعدكم الله، ﴿ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦ ﴾ أي: لتفرحوا بذلك، وليبشر بعضكم بعضًا ، ويحث بعضكم بعضًا .

﴿ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ الذي لا فوز أكبر منه، ولا أجل، لأنه يتضمن السعادة الأبدية، والنعيم المقيم، والرضا من الله الذي هو أكبر من نعيم الجنات، وإذا أردت أن تعرف مقدار الصفقة، فانظر إلى المشتري من هو؟، وهو الله جل جلاله، وإلى العوض، وهو أكبر الأعواض وأجلها، جنات النعيم، وإلى الثمن المبذول فيها، وهو النفس، والمال، الذي هو أحب الأشياء للإنسان.

وإلى من جرى على يديه عقد هذا التبايع، وهو أشرف الرسل، وبأي كتاب رقم، وهي كتب الله الكبار المنزلة على أفضل الخلق.(١)

أثامن بالنفس النفيسة ربها ... وليس لها في الخلق كلهم ثمن

بها تدرك الأخرى فإن أنا بعتها ... بشيء من الدنيا فذاك هو الغبن

لئن ذهبت نفسي بدنيا أصبتها ... لقد ذهبت نفسي وقد ذهب الثمن

وقال آخر:

بعنا النفوس فلا خيار ببيعنا ... أعظم بقوم بايعوا الغفار

---

(١) تفسير السعدي ج٢(٣٢٢- ٣٢٣) .

رب اعطنا ثمنًا ألذ من المنى جنات عـدنٍ تتحف الأبـرار

وقد جاء في الصحيحين[١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **قال الله أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقرءوا إن شئتم** ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ فنعيم الجنة فوق ما نتصور وأعظم مما نتخيل قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ليس في الجنة شيء مما في الدنيا إلا الأسماء.[٢]

فالنعيم الذي في الجنة مختلف عن النعيم الذي في الدنيا شكلًا وطعمًا ولونًا فالعنب مثلًا موجود في الدنيا وهو موجود في الجنة فالاشتراك في الأسماء فقط ففي الصحيحين [٣] عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: إن الصحابة قالوا: يا رسول الله، رأيناك تناولت شيئًا في مقامك ثم رأيناك كعكعت؟ قال ﷺ : « **إني رأيت الجنة، فتناولت عنقودًا ، ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا** » .

ومعنى كعكعت .أي تأخرت. والله لا فوز أعظم من الفوز بالجنة قال تعالى: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ** ﴾ [آل عمران :١٥٨].

وقد أخبرنا ربنا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عن الفواكه في الجنة قال تعالى: ﴿ **إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾** ﴾ [النبأ :٣١- ٣٢].

وقال تعالى : ﴿ **فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ** ﴾ [الرحمن :٦٨].

---

(١) البخاري برقم (٣٢٤٤) ومسلم برقم (٢٨٢٤) .
(٢) رواه الضياء المقدسي وهو في صحيح الجامع برقم (٥٤١٠) .
(٣) البخاري برقم (١٠٥٢) ومسلم برقم (٩٠٧) .

وقال تعالى ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴿٢٨﴾ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴿٢٩﴾ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الواقعة :٢٧- ٣٣].

وهناك الأشجار العظيمة ذوات الظل العظيم في الجنة ، ففي الصحيحين [(١)] عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إن في الجنة لشجرة، يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها**» .

وعند الترمذي [(٢)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ : «**ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب**» .

فيا أخا الإسلام اغرس لك أشجارًا في الجنة من الآن ففقد ثبت عند الترمذي [(٣)] عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: « **من قال: سبحان الله العظيم وبحمده، غرست له نخلة في الجنة** » .

أما نساء أهل الجنة فقد قال الله تعالى: في وصفهن ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة :٢٥].

ومعنى مطهرة : أي من الحيض والغائط ، والبول والنخام ، والبزاق والمني ، والولد والإثم ، والقذر والأذى ، فهي عامة في هذه الأمور كلها.

و في صحيح البخاري [(٤)] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: «**لروحة في سبيل الله، أو غدوة، خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس**

---

(١) البخاري برقم (٦٥٥٣) ومسلم برقم (٢٨٢٨) .
(٢) صحيح الترمذي برقم (٢٥٢٥) .
(٣) صحيح الترمذي برقم (٣٤٦٤) .
(٤) البخاري برقم (٢٧٩٦) .

أحدكم من الجنة، أو موضع قيد - يعني سوطه - خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأته ريحًا، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها» .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قيل يا رسول الله هل نصل إلى نسائنا في الجنة ، فقال: « **إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء** » . (١)

وفي سُنن الترمذي (٢) عن المقدام بن معدي كرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه** » .

ولقد كان الحسن البصري -رَحِمَهُ اللَّهُ- يقول: يا معشر الشباب أما تشتاقون إلى الحور العين.

أيها المؤمنون: فمن كان يشتاق للحور العين عمل الأسباب الموصلة إليها: ومن ذلك كظم الغيظ عن الناس فقد صح عند الترمذي (٣) عن معاذ ابن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**من كظم غيظًا وهو يقدر على أن ينفذه، دعاه الله على رءوس الخلائق يوم القيامة ، حتى يخيره في أي الحور شاء**».

نسأل الله العلي العظيم أن يسكننا وإياكم جميعًا جنات النعيم ، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه ، أقول ما سمعتم ، واستغفروا الله إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) الطبراني في الكبير ج١٩(٧٦) والصحيحة برقم (٣٦٧) .
(٢) صحيح الترمذي برقم (١٦٦٣) وغيره الصحيحة برقم (٣٢١٣) .
(٣) صحيح الترمذي برقم (٢٤٩٣) .

الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على نبيه وعبده محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فيا أيها المسلمون: أما بيوت وقصور أهل الجنة فقد جاءت أدلة كثيرة من القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية تبين بنائها ومناظرها وحصبائها وما يوجد فيها :نذكر بعضًا من ذلك يقول الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَى–: ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾ [الزمر: ٢٠].

وقال الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴾ [الفرقان: ٧٥].

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سبأ: ٣٧].

وفي صحيح ابن حبان [١] عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: « **إن في الجنة غرفًا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن أطعم الطعام وأفشى السلام وصلى بالليل والناس نيام**».

وفي سُنن الترمذي [٢] عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة لغرفا ترى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها**» فقام إليه

(١) صحيح ابن حبان برقم (٥٠٩).
(٢) صحيح الترمذي برقم (٢٥٢٧) وحسنه العلامة الألباني – رَحِمَهُ ٱللَّهُ –.

أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله؟ قال: «**هي لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى لله بالليل والناس نيام**»: «هذا حديث غريب، وقد تكلم بعض أهل العلم في عبد الرحمن بن إسحاق هذا من قبل حفظه وهو كوفي، وعبد الرحمن بن إسحاق القرشي مديني وهو أثبت من هذا.

وفي الصحيحين [(١)] عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما ليتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق ، من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم**» . قالوا: يا رسول الله ، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ، **قال** : «**بلى ، والذي نفسي بيده ، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين** ».

وفي سُنن الترمذي [(٢)] عن بريدة بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :« **أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالًا فقال يا بلال بم سبقتني إلى الجنة ؟ ،ما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك أمامي فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب فقلت لمن هذا القصر ؟، فقالوا لرجل من العرب فقلت أنا عربي لمن هذا القصر؟، قالوا لرجل من قريش قلت أنا قرشي لمن هذا القصر ؟ ،قالوا لرجل من أمة محمد قلت أنا محمد لمن هذا القصر ؟ قالوا لعمر بن الخطاب فقال بلال يا رسول الله ما أذنبت قط إلا صليت ركعتين وما أصابني حدث قط إلا توضأت عندها ورأيت أن لله علي ركعتين فقال رسول الله ﷺ بهما** ».

وفي مُسند الإمام أحمد [(٣)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قلنا: يا رسول الله، إنا إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقناك أعجبتنا

---

(١) البخاري برقم (٣٢٥٦) ومسلم برقم (٢٨٣١).
(٢) صحيح الترمذي برقم (٣٦٨٩) .
(٣) أحمد برقم (٨٠٤٣) حديث صحيح بطرقه وشواهده.

الدنيا، وشممنا النساء والأولاد قال: « **لو أنكم تكونون - على كل حال على الحال التي أنتم عليها عندي، لصافحتكم الملائكة بأكفهم، ولزارتكم في بيوتكم، ولو لم تذنبوا، لجاء الله بقوم يذنبون كي يغفر لهم** » قال: قلنا: يا رسول الله، حدثنا عن الجنة، ما بناؤها؟ قال: « **لبنة ذهب ولبنة فضة، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدْخلها ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام، وتفتح لها أبواب السماوات، ويقول الرب** -عَزَّوَجَلَّ-: **وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين** » ؟.

وتأملوا معاشر المسلمين قوله ﷺ :« **وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت** »، فقد جاء في مُسند أحمد [١] عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة، طمس الله** - عَزَّوَجَلَّ- **نورهما، ولولا أن الله طمس نورهما، لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب** » .

وسوف يتجه أهل الجنة يوم القيامة إلى قصورهم في الجنة فيعرف كل واحد منهم قصره وبيته من بين ملايين القصور بل ومليارات البيوت من الذي عرفهم إليها إنه الله كما قال تعالى ﴿ **وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾** ﴾[محمد :٤-٦] .

وفي صحيح البخاري [٢] عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده، لأحدهم أهدى**

(١) أحمد برقم (٧٠٠٠) وصحيح الجامع برقم (١٦٣٣).
(٢) البخاري برقم (٦٥٣٥).

بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا» .

وإذا أردت أخي المؤمن أن تحظى بما تقدم ذكره من النعيم المقيم والبيوت في الجنة فعليك أن تقوم بأسباب نيل ذلك فمن ذلك:

١- نصرة دين الله - عَزَّوَجَلَّ - فهذه خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج النبي ﷺ نصرت دين الله ونصرت رسول الله ﷺ بنفسها ومالها فبشرت ببيت في الجنة ففي الصحيحين [(١)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:« **أتى جبريل النبي ﷺ فقال يا رسول الله: هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام، أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه، ولا نصب** » .

ومعنى قصب: أي من قصب اللؤلؤ .

ومعنى صخب: صياح وأصوات مختلفة .

ومعنى ولا نصب: أي تعب .

٢- ومنها المحافظة على صلاة ثنتي عشرة ركعة تطوعًا ، ولهذا جاء في صحيح مسلم[(٢)] عن أم حبيبة، زوج النبي ﷺ، أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعًا، غير فريضة، إلا بنى الله له بيتًا في الجنة، أو إلا بني له بيت في الجنة**»

قالت أم حبيبة: «فما برحت أصليهن بعد» .

وقال عمرو: الراوي عن أم حبيبة «ما برحت أصليهن بعد»، وقال النعمان الراوي عن عمرو مثل ذلك.

---

(١) البخاري برقم (٣٨٢٠) ومسلم برقم (٢٤٣٢) .

(٢) مسلم برقم (٧٢٨) .

وقد جاء بيان هذه الاثنتي عشرة ركعة عند الترمذي [١] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: « **من ثابر على ثنتي عشرة ركعة من السُّنَّة بنى الله له بيتًا في الجنة: أربع ركعات قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل الفجر** » .

٣- ومنها عمارة المساجد فقد جاء في الصحيحين [٢] عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت النبي ﷺ يقول: « **من بنى مسجدًا يبتغي به وجه الله ، بنى الله له مثله في الجنة** » .

٤- ومنها حُسن الخُلق ففي سُنن أبي داود [٣] عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا وببيت في أعلى الجنة لمن حسُن خُلقه**» .

٥- ومنها قراءة قل هو الله أحد عشر مرات ففي مُسند الإمام أحمد [٤] عن معاذ بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: « **من قرأ:** ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ [الإخلاص :١] .**حتى يختمها عشر مرات، بنى الله له قصرًا في الجنة** ».

فقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إذًا نستكثر يا رسول الله؟ ، فقال رسول الله ﷺ: «**الله أكثر وأطيب**» .

عباد الله : هذه هي الجنة وهذا هو نعيمها جعلها الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- بعد رحمته جزاءً لمن آمن به واتقاه وأحسن العمل في هذه الدار :إلا أن

(١) صحيح الترمذي برقم (٤١٤) .
(٢) البخاري برقم (٤٥٠) ومسلم برقم (٥٣٣) .
(٣) صحيح أبي داود برقم (٤٨٠٠) .
(٤) أحمد برقم (١٥٦١٠) وصححه العلامة الألباني في الصحيحة برقم (٥٨٩) .

هنالك بعض الأسباب من حافظ عليها كانت موصلة له إلى الجنة فاجتهدوا في طلبها والعمل بها .

١-فمنها حفظ اللسان والفرج ففي صحيح البخاري(١) عن سهل بن سعد: عن رسول الله ﷺ قال: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة»

٢-ومنها المحافظة على صلاة الفجر والعصر ففي الصحيحين (٢) عن **أبي موسى،** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أن رسول الله** ﷺ قال: « **من صلى البردين دخل الجنة**»

٣-ومنها طاعة الوالدين ففي سُنن ابن ماجه(٣) عن معاوية السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إني كنت أردت الجهاد معك أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، قال: «**ويحك، أحية أمك؟**» قلت: نعم، قال: «**ارجع فبرها**» ثم أتيته من الجانب الآخر، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أردت الجهاد معك، أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، قال: «**ويحك، أحية أمك؟**» قلت: نعم، يا رسول الله، قال: «**فارجع إليها فبرها**» ثم أتيته من أمامه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أردت الجهاد معك، أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، قال: «ويحك، أحية أمك؟» قلت: نعم، يا رسول الله، قال: «**ويحك، الزم رجلها، فثم الجنة**».

٤-ومنها عزة النفس وعدم التذلل للناس، ففي مُسند أحمد عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **عن النبي** ﷺ قال: « **من يتكفل لي بواحدة وأتكفل له بالجنة** » قال ثوبان: أنا. قال:« **لا تسأل الناس**» يعني شيئًا.قال: نعم.قال: فكان لا يسأل .

(١) البخاري برقم (٦٤٧٤) .
(٢) البخاري برقم (٥٧٤) ومسلم برقم (٦٣٥) .
(٣) صحيح ابن ماجه برقم (٢٧٨١) .

٥.ومنها طاعة الزوجة لزوجها ففي مُسند أحمد[١] عن حصين بن محصن، أن عمة له أتت النبي ﷺ في حاجة، ففرغت من حاجتها، فقال لها: « أذات زوج أنت؟ «، قالت: نعم، قال: « فأين أنت منه؟ « قالت: ما آلوه إلا ما عجزت عنه، قال: « انظري أين أنت منه فإنه جنتك ونارك «

٦.ومنها إماطة الأذى عن طريق الناس ففي صحيح مسلم [٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ ، قال: «**لقد رأيت رجلًا يتقلب في الجنة، في شجرة قطعها من ظهر الطريق، كانت تؤذي الناس**» .

واعمل لدار يكن رضوان خازنها ... والجار أحمد والرحمن بانيها
أرض لها ذهب والمسك طينتها ... والزعفران حشيش نابت فيها
أنهارها لبن محض ومن عسل ... والخمر يجري رحيقًا في مجاريها
والطير تجري على الأغصان عاكفة ... تسبح الله جهرًا في مغانيها
من يشتري الدار في الفردوس يغمرها ... بركعة في ظلام الليل يحييها

اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة اللهم استرنا بسترك الجميل في الدارين وبارك لنا في جميع ما أعطيتنا .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) أحمد برقم (٢٢٣٦٦) وصححه شعيب الأرنؤوط -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى-.
(٢) مسلم برقم (١٩١٤) .

٤١ الزراعة وفضلها

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أيها المؤمنون: حديثنا معكم في هذه الجمعة المباركة إن شاء الله تعالى

عن الزراعة وفضلها.

عباد الله: لقد رغب الإسلام في الزراعة وحث عليها قال تعالى: ﴿ **أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾** ﴾ [الواقعة: ٦٣-٦٥].

قال الإمام الماوردي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: أصول المكاسب الزراعة والتجارة والصناعة وأطيبها الزراعة لأنها أقرب إلى التوكل.

والحرث: هو شق الأرض وإثارتها، والبذر فيها.

وقوله ﴿ **أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ** ﴾ أي بل أنت يا ربنا الذي تزرعه: أي تنبته حتى يكون زرعًا، قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ** ﴾ [الأنعام: ٩٥].

قال الإمام ابن المنذر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: وأجمعوا على أن دفع الرجل نخلًا مساقاة على الثلث أو الربع أو النصف أن ذلك جائز

وفي الصحيحين (١): عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا «**أن رسول الله ﷺ، عامل أهل خيبر بالشطر مما يخرج من ثمر، أو زرع**».

وفي صحيح البخاري (٢): عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قالت الأنصار للنبي ﷺ: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: «**لا**»، فقالوا: تكفونا المئونة، ونشرككم في الثمرة، قالوا: سمعنا وأطعنا.

وقال قيس بن مسلم عن أبي جعفر، قال: «ما بالمدينة أهل بيت هجرة إلا يزرعون على الثلث والربع» وزارع علي، وسعد بن مالك، وعبد الله بن مسعود وعمر بن عبد العزيز، والقاسم، وعروة، وآل أبي بكر، وآل عمر،

---

(١) البخاري برقم (٢٣٢٩) ومسلم برقم (١٥٥١).
(٢) البخاري برقم (٢٣٢٥).

وآل علي، وابن سيرين.

وقال عبد الرحمن بن الأسود: «كنت أشارك عبد الرحمن بن يزيد في الزرع» . (١)

وفي المثل العربي : فلاح مكفي سلطان مخفي.

وقيل : إذا شئت أن تحصد المال فازرعه.

أيها المؤمنون: لقد رغب رسول الله ﷺ أصحابه الكرام وأمته الخيرة في الزراعة كثيرًا ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم :٤] .

ففي الصحيحين (٢): عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : **«ما من مسلم يغرس غرسًا، أو يزرع زرعًا، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة»** .

وفي صحيح مسلم (٣): عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: دخل النبي ﷺ على أم معبد حائطًا، فقال: **«يا أم معبد، من غرس هذا النخل؟ أمسلم أم كافر؟»** فقالت: بل مسلم، قال: **«فلا يغرس المسلم غرسًا، فيأكل منه إنسان، ولا دابة، ولا طير، إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة »** .

وفي مسلم أيضًا (٤): عنه رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : **«ما من مسلم يغرس غرسًا إلا كان ما أُكل منه له صدقة، وما سُرق منه له صدقة، وما أكل السبع منه فهو له صدقة، وما أكلت الطير فهو له صدقة، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة»** .

---

(١) البخاري ج٢(١٠٤) (في باب المزارعة بالشطر ونحوه) .
(٢) البخاري برقم (٢٣٢٠) ومسلم برقم (١٥٥٣) .
(٣) مسلم برقم (١٥٥٢) .
(٤) مسلم برقم (١٥٥٢) .

ومعنى ولا يرزؤه: أي ينقصه ويأخذ منه.

وفي مُسند الإمام أحمد (١): عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل** » .

والفسيلة : هي النخلة الصغيرة، وهي الوديّة.

وفي الأدب المفرد (٢):عن الحارث بن لقيط رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان الرجل منا تُنتج فرسه فينحرها فيقول: أنا أعيش حتى أركب هذا؟ فجاءنا كتاب عمر: أن أصلحوا ما رزقكم الله فإن في الأمر تنفسا.

وعن داود بن أبي داود قال: قال لي عبد الله بن سلام: إن سمعت بالدجال قد خرج وأنت على ودية تغرسها، فلا تعجل أن تصلحه، فإن للناس بعد ذلك عيشا. سنده صحيح. (٣)

وجاء عند ابن جرير (٤): عن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال: سمعت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول لأبي: ما يمنعك أن تغرس أرضك؟ فقال له أبي: أنا شيخ كبير أموت غدًا، فقال له عمر: أعزم عليك لتغرسنها؟ فلقد رأيت عمر بن الخطاب يغرسها بيده مع أبي.

وفي الأدب المفرد (٥): عن نافع بن عاصم أنه سمع عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال لابن أخ له خرج من(الوهط) (والوهط :البستان): أيعمل عمالك؟ قال: لا أدري، قال: أما لو كنت ثقفيا لعلمت ما يعمل عمالك،

(١) أحمد برقم (١٢٩٨١) وصححه شعيب.
(٢) البخاري في الأدب المفرد برقم (٤٧٨) صححه الألباني.
(٣) البخاري في الأدب المفرد برقم (٤٨٠) صحيح.
(٤) السلسلة الصحيحة للألباني تحت رقم (٩) ج١(٤٠).
(٥) البخاري في الأدب المفرد برقم (٤٤٨) وصححه العلامة الألباني.

ثم التفت إلينا فقال: إن الرجل إذا عمل مع عماله في داره (أو في ماله) كان عاملًا من عمال الله - عَزَّوَجَلَّ -.

وعند ابن عساكر في تاريخه(١) عن عمرو بن دينار، قال: دخل عمرو ابن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في حائط له بالطائف يقال له: (الوهط) (فيه) ألف ألف خشبة، اشترى كل خشبة بدرهم! يعني يقيم بها الأعناب.

بل وفي صحيح البخاري(٢): عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي ﷺ كان يومًا يحدث وعنده رجل من أهل البادية: « **أن رجلًا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع، فقال له: أولست فيما شئت؟ قال: بلى، ولكني أحب أن أزرع، فأسرع وبذر، فتبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال، فيقول الله تعالى: دونك يا ابن آدم، فإنه لا يشبعك شيء، فقال الأعرابي: يا رسول الله، لا تجد هذا إلا قرشيًا أو أنصاريًا، فإنهم أصحاب زرع، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك رسول الله ﷺ** ».

فهذه الأدلة العظيمة التي سمعتموها معاشر المسلمين تدل دلالة واضحة على فضل الزراعة ، فلو أن المسلمين طبقوا هذه الأحاديث وعملوا بها لما مدوا أيدهم إلى أعداء الله من اليهود والنصارى وكانوا في غنى عنهم ولما تحكموا فيهم وضيقوا عليهم.

وإن مما أفسد شبابنا وأضعف اقتصادنا وتسبب في ضياع أموالنا وأوقاتنا بل وفي ضياع ديننا وصلواتنا زراعة القات ومضغه .

قال العلامة البيحاني -رحمه الله تعالى-:

إن رمت أن تعرف آفة الآفات ... فانظر إلى إدمان مضغ القات

(١) تاريخ دمشق ج٤٦(١٨٢) وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة.
(٢) البخاري برقم (٧٥١٩).

القات قتل للمواهب والقوى ومولد للهم والحسرات
ما القات إلا فكرة مسمومة ترمي النفوس بأبشع النكبات
ينساب في الأحشاء داء فاتكًا ويعرض الأعصاب للصدمات
يذر العقول تتيه في أوهامها ويذيقها كأس الشقاء العاتي
ويميت في روح الشباب طموحها ويذيب كل عزيمة وثبات
يغتال عمر المرء مع أقواله ويريه الوانًا من النقمات
هو للإرادة والفتوة قاتل هو ما حق للوجه والنظرات
فإذا نظرت إلى وجوه هواته أبصرت فيها صفرة الأموات(١)

فما أشد القات واكثر أضراره،وقد قال النبي ﷺ: «**لاضر ولا ضرار**»(٢)

وهو من الخبائث وقد قال الله في وصف نبينا محمد ﷺ ﴿ **وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡ** ﴾ [الأعراف :١٥٧] . أن فيه نوعًا من التخدير ، وهذا شهادة الخبراء في منظمة الصحة العالمية ، والأطباء والصيادلة ، وخبراء الأعشاب والنباتات الطبية ، وأن فيه ضياعًا للأموال وتبذيرًا له ، وقد نهانا الله عن تبذير المال وضياعه ، قال تعالى: ﴿ **وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ**

(١) إصلاح المجتمع ص(٤٥١) .
(٢) أحمد برقم (٢٨٦٥) عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.وحسنه العلامة الألباني في الإرواء برقم (٨٩٦) وقال: شعيب حديث حسن .

وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٧] .

نسأل الله العظيم أن يحفظ علينا ديننا .

أقول ما سمعتم واستغفروا الله إنه، هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

عباد الله: وهذا لا يعني أننا ننشغل بالدنيا في الزراعة والتجارة وغير ذلك من أعمال الدنيا وننسى الآخرة بل لا يجوز للعاقل أن يركن إلى الدنيا، وينشغل بها عن طاعة الله - عَزَّوَجَلَّ - ولهذا يقول الله تعالى ممتدحًا عباده المؤمنين: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٦-٣٧].

وقد صح عند ابن أبي حاتم في تفسيره [١] عن مطر الوراق -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أنه قال في قول الله: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ قال: أما إنهم قد كانوا يشترون ويبيعون، ولكن كان أحدهم إذا سمع النداء وميزانه في يده خفضه وأقبل إلى الصلاة.

وقال الله تعالى متوعدًا الغافلين؛ المنشغلين بالدنيا عن الآخرة: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم:٥٩].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ج٨(٢٦٠٨) برقم (١٤٦٥٣).

قال الحسن البصر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- :في قوله ﴿ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي عطلوا المساجد ولزموا الضيعات.

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَـٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَـٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَـٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المنافقون :٩-١١] .

وثبت في سُنن ابن ماجه[1] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ مر به وهو يغرس غرسًا، فقال: «يا أبا هريرة، ما الذي تغرس؟» قلت: غراسًا لي، قال: «**ألا أدلك على غراس خير لك من هذا؟**» قال: بلى يا رسول الله، قال: « **قل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، يغرس لك بكل واحدةٍ شجرةٌ في الجنة** » .

وفي سُنن أبي داود [2] : عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا تبايعتم بالعينة،وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**».

وفي صحيح البخاري [3]: عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: ورأى سكة وشيئًا من آلة الحرث، فقال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا يدخل هذا بيت قوم إلا أدخله الله الذل**» .

فكم من مزارع ضيع صلاته ودينه بسب الدنيا ، والتنافس فيها وهذا

---

(١) صحيح ابن ماجه برقم (٣٨٠٧) بإسناد حسن.
(٢) صحيح أبي داود برقم (٣٤٦٢) .
(٣) البخاري برقم (٢٣٢١) .

هو الخاسر وقد ثبت عند الترمذي (١) : عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا**» .

وفي سُنن أبي داود (٢) : عن أسلم أبي عمران قال : غزونا من المدينة نريد القسطنطينية، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، والروم ملصقو ظهورهم بحائط المدينة، فحمل رجل على العدو، فقال الناس: مه مه لا إله إلا الله، يلقي بيديه إلى التهلكة، فقال أبو أيوب: « إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما نصر الله نبيه، وأظهر الإسلام قلنا: هلم نقيم في أموالنا ونصلحها» ، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة:١٩٥] .

فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد ، قال أبو عمران: «فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية» .

اللهم بارك للمسلمين في أموالهم ومزارعهم ومعاشهم كلها ، اللهم اجعل لهم من كل هم فرجًا ، ومن كل ضيق مخرجًا ، ومن كل بلاء عافية، اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى ، وصفاتك العُلا ، أن تُعزَّ الإسلام وأهله، وأن تذل الشرك وأهله ، ربنا اكشف عنا العذاب إنا موقنون ، ربنا عجل بفرجك ورحمتك ياسميع الدعاء ، اللهم ردَّ كيد الكائدين في نحورهم ، وادفع عنا شر المفسدين في الأرض ، واجعل عاقبة الأمر لعبادك المصلين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) صحيح الترمذي برقم (٢٣٢٨) .
(٢) صحيح أبي داود برقم (٢٥١٢)

فهرس